T.C.
MARMARA ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ (ARAPÇA) BİLİM DALI

KUR'AN-KERİM'İN KELİME SEÇİMİNDEKİ DİKKATLİ ÜSLUBU

Yüksek Lisans Tezi

ABDELGHANİ LEKİRED

İSTANBUL, 2020

T.C.
MARMARA ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ (ARAPÇA) BİLİM DALI

KUR'AN-KERİM'İN KELİME SEÇİMİNDEKİ DİKKATLİ ÜSLUBU

Yüksek Lisans Tezi

ABDELGHANİ LEKİRED

Danışman
Prof. Dr. Öğr. Üyesi ÖMER ÇELİK

İSTANBUL, 2020

الملخص

الاسم واللّقب : عبد الغني لكيرد

القسم : العلوم الإسلامية الأساسية

البرنامج : العلوم الإسلامية (التفسير)

المشرف : الأستاذ الدّكتور عمر تشيليك

نوع وتاريخ الرسالة : رسالة ماجستير، 2020

الكلمات المفتاحية : القرآن الكريم، التّفسير، الدّقّة، المفردة القرآنيّة، اللّفظ، سر اختيار المفردة، التّرادف، الفاصلة القرآنية، الفروق اللّغويّة.

دقّة الأسلوب القرآني في اختيار المفردة

يتلخّص موضوع الرّسالة في التّعرّض لمسألة متعلّقة بمفردات القرآن الكريم. وقد اعتُمِد على المنهج الوصفي والمنهج التّحليلي بالإضافة إلى المنهج الاستقرائي في الجانب التّطبيقي بغية الوصول إلى إبراز جانب من جوانب الإعجاز اللّغوي، والمتمثّل في الأسلوب القرآني البديع، الذي لم يحِد عنه ولم يشذّ مطلقا، بل كان هو السّمة الثّابتة في القرآن. وقد اختصّ هذا البحث بتناول اللّبنة الأساسيّة للقرآن –المفردة القرآنيّة– بالدّراسة والبحث في جزئيّةِ كونِها مختارةً بعناية فائقة. وإبراز مميّزاتها وخصائصها وأوجه دقّتها، وإظهار التّناسق التّام لدلالتها مع جرسها، ما يؤكّد كونها متفرّدة تمام التّفرّد مقابل مفردات أخرى، وهذا ما يجعلها وجها مهمّا من أوجه الإعجاز اللّغوي للقرآن. وهي في جميع القرآن؛ لا تتخلّف عنه ولو في موضع واحد؛ وهذا ممّا أعجز العرب رغم ما بلغوه من الفصاحة والبلاغة، فلم يستطع أحد من لدنهم إلى يومنا؛ أن يأتي بسورة من مثله، وجعلهم يشهدون ويقرّون له بالبراعة والجمال والإتقان والكمال.

كما عمل البحث على كشف سرّ اختيار بعض المفردات القرآنيّة، وإثبات الفروق الدّقيقة بين المفردات المتقاربة في المعنى. وخلص إلى دقّة الأسلوب القرآني في اختيار المفردة، وأنّ ما تحمله من مدلولات ومعاني دقيقة، يقود إلى الوصول لتفاسير ومعاني واستنباطات تتّسم بالجدة والأصالة، بل وتقود أحيانا إلى تصحيح معلومات خاطئة وتقويم مفاهيم معوجّة.

ÖZET

İsim ve Soyisim : ABDELGHANİ LEKİRED

Bölüm : Temel İslam Bilimleri (Arapça)

Program : Tefsir

Danışman : Prof. Dr. Öğr. Üyesi. ÖMER ÇELİK

Tez türü ve tarihi : Yüksek Lisans 2020

Anahtar kelimeler : Kur’an-i Kerim, Tefsir, Kur’an kelimesi, Dil farklılıkları, Teradüf.

KUR’AN-KERİM’İN KELİME SEÇİMİNDEKİ DİKKATLİ ÜSLUBU

Bu tezin konusu özetle; Kur'ân'ı Kerîm sözcükleriyle ilgili herhangi bir meseleye değinilmesi hakkındadır. Tezde kullanılan araştırma metodlar ise, betimsel (vasfî) metod, analitik (tahlîlî) metod ve buna ek olarak da tatbik alanında istikrâî metottur. Bunu yapmamın sebebi ise lugatın eşsiz yönlerinden bir yönü öne çıkarmak ve Kur'ân'ın eşsiz üslubuna dikkat çekmektir. Bu eşsiz uslub öyle bir üslundur ki hiç bir zaman Kur'ân'dan soyutlanmamış ve her zaman Kur'ân'da bulunmuştur. Bu tez Kur'ân'ın ana tuğlası olan ve özenle seçilen Kur'ân müfredatlarını (Kur’ân sözcüklerini) en ince ayrıntılarına değinerek ele almaktadır. Yine bu müfredatların özelliklerini, kusursuz olma vecihlerini, nutkedilişi ile manası arasındaki ince bağı ve diğer müfredatlardan tam bir şekilde bağımsız oluşunu ele almaktadır. İşte bu gibi hususlar Kur'ân'ın eşsiz lugavî uslübunun vecihlerini önemli yapan hususlardır. Bu uslüp Kur'ân'ın tümünde mevcuttur. Bir cümlesinde bile soyutlanmamıştır. Bu durum fesâhet ve belâğatta zirve noktalara ulaşan Arap'ları aciz bırakmıştır. Şöyle ki günümüze kadar bu üslüba benzer ne bir sure ne de başka bir şey getirememişlerdir. Bundan dolayı bu üslübun bir hünerlik, ustalık, güzellik ve itkân noktasında kâmil bir uslüp olduğunu ikrâr etmişlerdir.

Yine bu tez, bazı müfredatların kullanılmasındaki sırrın beyânı, manaları bir birine yakın olan bazı müfredatlar arasındaki ince farkları, müfredatların seçiminde Kur'ân'î uslübun hassasiyeti ve bunların barındırdığı ince mana ve delaletleri de ele almaktadır. Bu müfredatlar genel itibariyle çıkarılan istinbatların manaları ve tesirlerine ulaşmaya sevk eder. Hatta bazen, yanlış bilgilerin ve garip anlayışların düzeltmesine de sevkeder.

ABSTRACT

Candidate : ABDELGHANİ LEKİRED

Department : Basic İslamic Sciences (Arabic)

Programme : Islamic Sciences - Tafsir (Exegesis)

Supervisor : Asst. Prof. Dr. ÖMER ÇELİK

Type of the Thesis : M.A. Thesis 2020

Keywords : The Holy Qur'an, Tafsir, Qur'anic vocabulary, Qur'anic wording, word selection secrecy, synonymy, Qur'anic rhyme, linguistic differences, The accuracy.

THE ACCURRACY OF THE QUR'ANIC WORDING

The subject of the thesis is related to the vocabulary of the Noble Qur'an. It is based on the descriptive and the analytical approach, in addition to the inductive approach in the practical side. It aims to highlight an aspect of the linguistic miracle, which is represented in the wonderful Qur'anic style; which does not depart from it or deviate at all, but it is a constant feature of the Qur'an. This research is concerned with examining the basic building brick of the Qur'an - the Qur'anic word - by studying and researching it from the perspective of being carefully selected. And also highlighting its characteristics and accuracy, showing the perfect harmony of its significance with its sound, which confirms that it is completely unique in comparison with other vocabulary. This makes it an important aspect of the linguistic miracle of the Qur'an, which is throughout the Qur'an not failing even in a single position. And this is what the Arabs were incapable of, despite their fluency and eloquence; as no one has been able to bring a similar surah (chapter) up to this day, to make them witness and acknowledge its ingenuity and beauty, its mastery and its perfection.

The research also reveals the secret of some Qur'anic word-selections, and proves the existence of nuances between words that are closely related in meaning. Thus, it concluded the accuracy of the Qur'anic wording, the significance and precise meanings it carries, which leads to new and authentic interpretations and deductions, sometimes even to correction of false information and wrong concepts.

المقدمة:

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ والصّلاة والسّلام على من جُعل ذكره للارتقاء في درجات الجنّات معراجا، وعلى آله وصحبه الذين عزّروه ونصروه أفرادا وأفواجا، ومن تبعهم بإحسان ممّن جعلوا القرآن قائدهم فاتّخذوه لهم شِرعة ومنهاجا.

أمّا بعد:

فالقرآن الكريم، كتاب الله ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ﴾، وهو معجزة رسوله محمّد ﷺ الخالدة ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾.

لقد كان الغوص في مفردات القرآن الكريم، لتجلية سرّ اختيارها بابا من أبواب إظهار وجه الإعجاز القرآنيّ، ثمّ هو إلى ذلك خطوة مهمّة في التّفسير البيانيّ الذي يُشَرّح الكلمة ويستخرج معانيها الدّقيقة للوصول إلى المرادِ منها، فالمرادِ من الآية.

ولقد درج أعداء الإسلام على التّشكيك في القرآن والطّعن فيه ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، واختلفت طرقهم وتنوّعت أساليبهم. ومن أهمّ مسالكهم في ذلك؛ التّوجّه لألفاظ القرآن ومحاولة إظهار عدم اتّساقها بالمعنى أو وجود ألفاظ هي أولى بالاستعمال منها.

وفي مقابل ذلك دأب الدّارسون –منذ القدم– على الاهتمام بدقّة التّعبير القرآني وأسرار الإيجاز والإطناب، وبيّنوا أنّ كلّا منهما هو عين البلاغة في موضعه، كما اهتمّوا كذلك بالمفردة القرآنيّة؛ إظهارًا لأوجه إعجازها، وأنّ اختيار كل مفردة بحكمةٍ من لدن حكيم عليم. والتي بإثباتها تبقى معجزةُ النّبي الأمّيّ قائمة، لا تتأثّر بشبهات المغرضين ولا بتشكيك المضلّلين.

فلأجل كلّ ما سبق كان مِن الطّبيعي أن يهتمّ العلماء بهذا الجانب ويولوه عناية خاصّة، فوضعوا التّآليف التي اتّفقت في أصولها وتباينت في تفصيلاتها، إلّا أنّ اهتمامهم بالمفردة القرآنيّة وإن كان ملمّا بمعظم أحكامها وحِكمها في مجموعه، إلّا أنّه ولتفرّقه في الكتب وتشعّبه بين قضايا الإعجاز جعل الوصول إلى هذه الجزئيّة الدّقيقة –أعني سرّ اختيار المفردة القرآنيّة– صعبا.

ومن هذا المنطلق آثرت أن يكون موضوع البحث حول خصائص المفردة القرآنية وأوجه دقّتها وكُنه اختيارها دون غيرها ممّا يُظنّ فيها أنّها تؤدّي المعنى المطلوب، أو تفوقها في الحسن والأسلوب. حيث اختصّ بتناول اللّبنة الأساسيّة للقرآن –المفردة القرآنيّة– بالدّراسة والبحث، بإبراز مميّزاتها وخصائصها وأوجه دقّتها، وإظهار التّناسق التّام لدلالتها مع جرسها، ما يؤكّد كونها متفرّدة تمام التّفرّد في مقابل مفردات أخرى، ما يجعلها وجها مهمّا من أوجه الإعجاز اللّغوي للقرآن. وهذا ممّا أعجز العرب رغم ما بلغوه من الفصاحة والبلاغة. وجعلهم يشهدون ويقرّون له بالبراعة والجمال والإتقان والكمال.

وقد حاولت إبراز كلّ ذلك في هذا البحث تحت عنوان:

دقّة الأسلوب القرآني في اختيار المفردة

وأتقدّم بالشّكر الجزيل والتّقدير الجميل إلى فضيلة المشرف الأستاذ الدّكتور عمر تشيليك على إشرافه على هذه الرّسالة، وعلى ما أولاه لي من إرشاد طيلة فترة العمل بكلّ تواضع، وقد نفعني كثيرا في بحثي، بدءا باختيار الموضوع والعنوان وانتهاء بما تخلّل البحث من نصائح وتوجيهات فقد أتعبته كثيرا وكان صبورا معي فله كلّ الشّكر والتّقدير. فجزاه الله خيرا ونفع به وبعلمه.

كما أتقدّم بالشّكر:

لصاحبي الفضيلة الأستاذ الدكتور خليل إبراهيم قاجار والدكتور مراد قايا. فأشكر لهما تفضّلَهما بقبول مناقشة هذا البحث.

وإلى طاقم جامعة مرمرة وكلّية الإلهيات عموما وقسم العلوم الإسلامية خصوصا بأساتذته وإداريّيه، ممّن لهم فضل علي. وكذا مركز البحوث الإسلاميّة باسطنبول (إسام) ومكتبة مسجد الفتح بحيّي بباب الوادي بأن وفّروا وسهّلوا وسائل الدّراسة والبحث.

وإقرارا بالفضل لأهله؛ لا يفوتني أن أشكر الدّولة التّركية حكومة وشعبا على حفاوة استقبالهم وحسن ضيافتهم، وعظيم كرمهم، وخاصّة مدينة اسطنبول حرسها الله وجعلها حصنا حصينا، وصرحا إسلاميّا شامخا لا يهدّ ولا يقدّ.

والشّكر موصول لكلّ أخ أو صديق أعانني في هذا البحث من قريب أو من بعيد.

ونهاية أهدي هذا العمل:

إلى باب الجنّة أمّي.

إلى من يشدّون أزري، إخوتي وأخواتي وأحبّتي.

إلى من شاطروني السّراء والضّرّاء في حياتي.

وإلى وكلّ محبّ للقرآن وللغة القرآن.

عبد الغني لكيرد

14 تموز 2020، اسطنبول.

فهرس الموضوعات

دقّة الأسلوب القرآني في اختيار المفردة

الملخص ..... أ

ÖZET..... ب

ABSTRACT..... ج

المقدّمة..... د

فهرس الموضوعات..... ز

قائمة الرّموز والإشارات ..... ل

المدخل..... 01

أهمّيّة الموضوع.....03

مشكلة البحث.....03

أسباب اختيار الموضوع..... 04

أهداف البحث..... 05

الدّراسات السّابقة.....05

صعوبات البحث.....06

منهج البحث..... 07

المنهجية المتَّبعة.....07

خطّة البحث.....08

الفصل الأوّل: فصل تمهيدي

المبحث الأول: تعريف المفردة وسبب اختيارها في عنوان البحث 09

المطلب الأوّل: تعريف المفردة.....09

المطلب الثّاني: سبب اختيار مصطلح المفردة دون الكلمة واللّفظة.....10

أوّلا: تعريف الكلمة.....10

ثانيا: تعريف اللّفظ.....11

ثالثا: الفروق بين المفردات الثّلاث.....11

رابعا: تعقيب.....13

المبحث الثّاني: اهتمام العرب بالمفردة.....14

المطلب الأوّل: اهتمام العرب باللّفظ وبيان حصول الملكة لهم

في انتقاء الألفاظ مع عدم إهمالهم المعنى.....15

أوّلا: اهتمام العرب بالمفردة وبيان حصول الملكة لهم في انتقاء الألفاظ.....15

ثانيا: بيان أنّ اهتمامهم بالمفردة والمعنى كان على حدّ سواء.....17

ثالثا: بين نظريّة النّظم للجرجاني واللّفظ 18

المطلب الثّاني: نقدهم الألفاظ 19

المطلب الثّالث: إعجاز القرآن لهم.....25

أوّلا: تحدّي القرآن لهم..... 25

ثانيا: عدم معارضتهم له مع اشتهار المعارضة فيما بينهم.....27

الفصل الثّاني: مظانّ البحث والدّراسات السّابقة

تمهيد.....30

المبحث الأوّل: كتب الفروق.....31

المطلب الأوّل: كتاب الفروق اللّغويّة.....31

المطلب الثّاني: فروق اللّغات في التّمييز بين مفاد الكلمات.....32
المطلب الثّالث: شموس العرفان بلغة القرآن 34
المطلب الرّابع: الفروق اللّغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم.....35
المطلب الخامس: دقائق الفروق اللّغوية في البيان القرآني.....36
المبحث الثاني: كتب التّرادف.....38
المطلب الأوّل: في اللّهجات العربيّة.....38
المطلب الثاني: من الإعجاز اللّغوي: أسرار التّرادف في القرآن الكريم..... 40
المطلب الثالث: التّرادف في القرآن الكريم بين النّظرية والتّطبيق.....42
المطلب الرابع: التّرادف في القرآن الكريم 43
المطلب الخامس: نفي ترادف ألفاظ القرآن الكريم.....44
المبحث الثّالث: كتب في الاعجاز وعلوم القرآن.....46
المطلب الأول: بيان إعجاز القرآن 46
المطلب الثاني: المفردات في غريب القرآن.....47
المطلب الثّالث: إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة 50
المطلب الرّابع: الاعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق.....51
المطلب الخامس: إعجاز القرآن الكريم.....52
المبحث الرابع: دراسات ومقالات تناولت الموضوع بطريقة مباشرة.....54
المطلب الأول: جمال الكلمة القرآنيّة.....54
المطلب الثّاني: سرّ اختيار المفردة القرآنية دون غيرها من البيان القرآني.....55
المطلب الثّالث: المفردة القرآنيّة بين إبداع اللّفظ وإبداع الدّلالة.....57
المطلب الرّابع: من بلاغة اللّفظ المفرد في القرآن الكريم.....58

المطلب الخامس: من أسرار دقّة اللّفظ وجماليّاته في النّسق القرآنيّ
(دراسة في بلاغة الكلمة ودلالاتها في ضوء بعض النّماذج القرآنيّة) 59
المبحث الخامس: الاستفادة من الكتب والدّراسات السّابقة في توجيه البحث.....61
الفصل الثّالث: المفردة القرآنيّة خصائصها وأوجه دقّتها
المبحث الأوّل: خصائص المفردة القرآنيّة 63
المطلب الأوّل: فصاحة المفردة..... 63
المطلب الثّاني: الجزالة والرّقّة حسب ما يحسن في كلّ موضع.....64
المطلب الثّالث: استقامة اللّفظ.....65
أوّلا: استقامة الدّلالة النّحويّة.....65
ثانيا: استقامة الدّلالة الصّرفيّة.....67
ثالثا: استقامة الدّلالة الصّوتيّة والجرس المتميّز للمفردة.....68
رابعا: استقامة في التّجانس.....69
خامسا: مشاكلة اللّفظ للمعنى أو ائتلاف اللّفظ مع المعنى.....70
سادسا: اعتدالها في التّركيب والوضع.....71
المطلب الرّابع: اتّساع دلالتها لما لا تتّسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى....72
المطلب الخامس: سلامتها من العيوب..... 74
أوّلا: السّلامة من تنافر الحروف المؤدّية إلى الثّقل على اللّسان.....74
ثانيا: السّلامة من الغرابة.....75
ثالثا: السّلامة من مخالفة القياس.....75
رابعا: السّلامة من الابتذال.....75
المبحث الثّاني: أوجه دقّة اختيار المفردة القرآنيّة.....76
المطلب الأوّل: الدّقّة الدّلاليّة.....76

المطلب الثّاني: الدّقّة في الوصف والتّصوير.....77
المطلب الثّالث: الدّقة في التّناسب مع السّياق.....79
أوّلا: الدّقّة في التّناسب مع السّياق المعنوي.....79
ثانيا: الدّقة في التّناسب مع السّياق اللّفظي.....79
المطلب الرّابع: الدّقّة في توافق الغريب من اللّفظ مع الغرابة في الموقف والمعنى.....80
المطلب الخامس: الدّقّة في التّجسيم.....81
الفصل الرّابع: أمثلة ونماذج في دقة اختيار المفردة القرآنيّة
تمهيد: 82
المبحث الأوّل: نماذج من أقوال العلماء تبيّن تفطّنهم
لدقّة المفردة القرآنية..... 83
المبحث الثّاني: الفاصلة القرآنيّة 86
المطلب الأوّل: المفردات التي خالفت فيها الفاصلة الجرس الصّوتي.....86
المطلب الثاني: المفردات التي وافقت فيها الفاصلة الجرس الصّوتي..... 90
المطلب الثّالث: مفردات الإيمان واليقين والعلم والعقل والتّفكّر والتّذكّر والفقه....99
المبحث الثّاني: الألفاظ شديدة التّقارب في المعنى.....117
المطلب الأوّل: النّصب واللّغوب.....117
المطلب الثّاني: الرّيح الرّياح..... 128
المطلب الثّالث: المطر والغيث والماء 141
الخاتمة 153
قائمة المصادر والمراجع.....155

الرّموز والإشارات المستعملة:

- ت : توفي إذا كانت في الأصل.
- هـ : هجري.
- م : ميلادي.
- ق هـ : قبل الهجرة.
- ص : الصّفحة.

مدخل:

إنّ القرآن الكريم، هو الكتاب الذي ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[1]. وهو الكتاب الذي ﴿فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[2]، أحكمت آياته، "بعجيب النّظم، وبديع المعاني، ورصين اللّفظ"[3]. أُحكِمت "فجاءت قويّة البناء، دقيقة الدّلالة، كلّ كلمة فيها وكلّ عبارة مقصودة، وكلّ معنى فيها وكلّ توجيه مطلوب وكلّ إيماءة وكلّ إشارة ذات هدف معلوم"[4]. "ثمّ فصّلت؛ فهي مقسّمة وفق أغراضها، مبوّبة وفق موضوعاتها، وكلّ منها له حيّز بمقدار ما يقتضيه"[5]. عربيّا: بالأسلوب العربيّ المبين لقوم لغتهم العربيّة[6].

إنّ القرآن منذ أُنزل، جعله الله منهاج حياةٍ للنّاس في كلّ العصور والأوقات، مَهما استجدّ في هذه الأزمنة مِن مستجدّات. ومِن هنا، كان علم التّفسير متجدّدا يفي بحاجات النّاس، ويناسب مراحل تفكيرهم العلميّ ونضجهم العقليّ. وإنّ عصرنا هذا وقد ابتعد فيه النّاس عن اللّغة وعلومها، وصار الوصول إلى فهم أوجه الإعجاز القرآنيّ خاصّة فيما يتعلّق بالجوانب اللّغويّة والبيانيّة والبلاغيّة صعبا، بل وصار واضح كلامه غريبا؛ اتّجه كثير من الباحثين مراعاة للواقع وتكيّفا مع المتغيّرات إلى العمل على تسهيل هذا العلم؛ محاولة لإعادة جذب الناس إليه، فغلب الاهتمام بجوانب الإعجاز المختلفة للقرآن، والتي فيها ما يستحسنه العالم والعامّي، كلّ على قدر استيعابه. والتّفسير العلمي له الحصّة الكبرى في ذلك نظرا لسهولة فهمه ولطافة أسراره، وممّا برز أيضا: التّصوير الفنّي للقرآن وكان رائده سيّد قطب. كذلك نجد الإعجاز البياني، وهو وإن كان قديما قِدم التّفسير؛ لكنّ طريقة طرحه طرأ عليها تغيير جعل الغوص في أغوار القرآن وفهم أوجه إعجازه

---

(1) هود: 01

(2) فصلت: 03

(3) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي؛ أبو الحسن علي النيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط1 1415هـ. (512/1).

(4) في ظلال القرآن، سيّد قطب، دار الشروق، بيروت القاهرة، ط11 1405هـ- 1985م، (1851/4).

(5) المصدر السّابق (1851/4).

(6) المصدر السّابق (3108/5).

متاحة. ونجد هذا الأسلوب غالبا على كتب عائشة عبد الرّحمن بنت الشّاطئ[1]. ومن الطّرق التي يسّرت إيصال إعجاز القرآن؛ إبراز وجه الدّقة في اختيار مفردة على غيرها، فكان هذا البحث محاولَة لتقديم إضافة في هذا المجال، في بحث تحت عنوان:

دقّة الأسلوب القرآني في اختيار المفردة

وقد اعتمد البحث في الجانب التّطبيقي على المعاجم وكتب الغريب واستعمالات العرب للكلمة، ومحاولة التّركيز على السّياق، ثمّ مراجعة المواطن التي وردت في القرآن واستقرائها ومعانيها في كل موضع، وإن كانت من قبيل ما يُظنّ فيه التّرادف قورنت بغيرها من الكلمات التي قد يُظنّ أنّها تسدّ مسدّها، حتى إذا ما اتّضح سبب اختيار لفظ على آخر بعد هذه الخطوات؛ عُمل على محاولة إيصال كلّ ذلك في قالب سهل ميسّرٍ للوصول إلى كنه القرآن ومعرفة سرّ إعجازه.

(1) خاصّة كتاب الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل نافع بن الأزرق، وكتاب التّفسير البياني للقرآن الكريم.

أهمّيّة الموضوع:

تتجلّى أهمّية الموضوع في النّقاط التّالية:

1- أنّ موضوعه متعلّق بأقدس وأشرف كتاب وهو القرآن العظيم.

2- لأنّ إبراز دقّة المفردة القرآنيّة هو إبراز لعظمة القرآن الكريم.

3- لأنّ الطّعن في القرآن هو طعن في أعظم أصول الإسلام، لذلك كان من الواجب التّصدّي لهم؛ إمّا ابتداء بإظهار إعجاز القرآن بتناول هذا الجانب، أو انتهاء بالرّد على شبههم ومطاعنهم.

4- لأنّه محاولة لفت انتباه الباحثين للتّركيز أكثر على هذا الجانب الذي لم يلق ما يستحقّه من البحث والدّراسة.

5- لأنّه يقرّب النّاس إلى فهم القرآن.

6- لأنّه متعلّق باللّغة العربيّة أفضل وأشرف اللّغات.

مشكلة البحث:

إنّ إبراز أوجه الإعجاز للقرآن الكريم مطلب سامٍ، عمل عليه العلماء قديما وحديثا. وإنّ الخوض في إعجاز المفردة القرآنيّة من خلال دراسة أبعاد الكلمة وإثبات جماليّتها وتقرير دقّتها، والوصول إلى نتيجة أنّها في منتهى البراعة والإتقان في اختيارها، ليس بدعا من ذلك.

إنّ البحث في إعجاز المفردة القرآنيّة، من حيث إبراز وجه الدّقة في اختيارها؛ هو بحث في العلم أيضا، وبناء عليه فإنّ إشكاليّة هذا البحث تكمن في تحديد الكلمات، وفهم معانيها، ودراسة السّياق الذي أتت فيه، والمراد بها، ودلالتها ونظيراتها ومقارنتها بما يظهر أنّه أولى منها، ومن ثمّ إيصال المفردات المختارة المراد البحث عن وجه الإعجاز فيها إلى إجابة شافية، تثبت إعجاز المفردة القرآنيّة. ممّا يستدعي طرح الإشكاليّة التّالية والإجابة عنها:

فما هو سرّ اختيار المفردة القرآنيّة؟ وما هو السّبيل لإبراز وجه إعجازها من حيث الدّقة في اختيارها؟

وتنبثق عن هذا الإشكال الرّئيسي التّساؤلات الفرعيّة التّالية:

1- ما هي المفردة؟ وما سبب اختيارها في عنوان البحث دون غيرها.
2- كيف تعامل العرب مع المفردة؟
3- كيف تعامل العرب مع القرآن الكريم وجزئيّته المتمثلة في مفرداته بالتّحديد؟.
4- كيف تعامل العلماء مع المفردة القرآنيّة؟
5- ما هي خصائص المفردة القرآنيّة؟
6- ما هي أوجه دقّة المفردة القرآنيّة؟
7- ما سرّ اختيار مفردة دون غيرها؟ وهل يمكن أن تكون مفردة أخرى أليق بالمعنى وأجدر بالاستعمال من التي وُضعت؟

أسباب اختيار الموضوع:

اخترت هذا الموضوع للأسباب التّالية:

أ – أسباب ذاتيّة:

1- الرّغبة في الكتابة في موضوع الدّراسات القرآنيّة.
2- المساهمة ولو بقسط ضئيل في خدمة كتاب الله الذي لا تنضب فوائده ولا تنقضي عجائبه.
3- الرّغبة في التّخصّص في هذا المجال، والمساهمة الفعليّة في مشروع علميّ، في الطّريق إلى معجم موسوعيّ ينبري لإظهار البراعة في اختيار المفردات القرآنيّة.

ب– أسباب موضوعية:

1- نقاط الأهميّة السّابقة، كانت في مقدّمة الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع.
2- أهمّيّة هذه البحوث في الوصول إلى فهم جانب من جوانب الإعجاز وحقيقته.
3- المساهمة في الوصول لإبراز دقّة المفردة القرآنيّة.

4- المصادر لاستخراج عدد من المفردات التي تجلّي دقّة اختيار المفردة القرآنيّة متوفّرة؛ بدءا بكتاب الله الذي هو المصدر الرّئيسي والأساسي. وهي دعوة للتدبّر والتّأمل في كلامه من هذه النّاحية. ثم مؤلَّفات متفرّقة تطرّقت لهذا الموضوع وأتت على ذلك في مؤلَّفاتها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

5- حاجة المكتبة القرآنيّة إلى بحوث توضّح بدقّة تناسب اللّفظ للمعنى وتناسق المعنى مع اللّفظ.

6- محاولة إظهار هذا النّوع من الإعجاز هو وسيلة حتّى لدعوة غير المسلم إلى الإسلام، لأنّه سيصل به مثلما يصل بالقارئ المسلم إلى إدراك هذا الوجه من الإعجاز. فإمّا التّسليم والإذعان، وإمّا التّنكيف والاستكبار.

أهداف البحث:

يستهدف البحث الإجابة على التّساؤلات المذكورة في الإشكاليّة، من خلال:

1- إبراز وجه إعجاز المفردة القرآنيّة من حيث دقّةُ اختيارها.
2- الكشف عن دقّة اختيار بعض المفردات القرآنيّة.
3- محاولة الوصول إلى نتائج تتّسم بالجدة والأصالة في هذا التّخصّص.
4- إثراء ما كتب حول المفردة القرآنيّة بالإضافة إلى ما سبق من البحوث في هذا المجال.
5- إبراز فصاحة القرآن الكريم وأنّه متّصف بالكمال في دقّة اختيار مفرداته.

فلأجل ما ذُكر جاء هذا البحث لكشف بلاغة المفردة القرآنيّة من جهة استعمالها هي بدلا عن بعض ما يظهر أنّه من مرادفاتها، أو أنّه لو جيء به عوض الكلمة المختارة لكان أحسن.

الدّراسات السّابقة:

أغلب ما كتب في هذا الموضوع – في حدود علمي – هو دراسات متنوّعة ومتداخلة، إذ كتب التّفسير تطرّقت لها، وكتب الإعجاز كذلك، وكتب التّرادف، وكتب الفروق اللّغويّة، وغيرها.

ولا شكّ أن كثرتها تمنع استيعابها في المقدّمة هنا، لذلك جُعل فصل كامل لدراستها، حتى يكون البحث قد استوفى جزءا مهمّا من أجزائه، ألا وهو وضع القارئ والباحث على خطى واضحة المعالم في مثل هذه الدّراسات حتى يُبنى عليها.

كما أنّ هنالك دراسات طرقت الموضوع في جوهره، معظمها مقالات على شبكة الأنترنت.

صعوبات البحث:

- الخوف من الوقوع في الزّلل في كلام الله، فهذا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه -وهو من هو في الفضل والعلم- يُروى أنّه قال: "أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، أو أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي، إن أنا قُلْتُ فِي كتاب الله عزّ وجلّ مَا لا أَعْلَم!"[1].

- تشعّب الموضوع قابلَه ضيق في الوقت، ما اضطرّني لتجاوز بعض المطالب، وعدم التّوسّع في بعضها تماشيا مع الظّروف.

- هذا النّوع من البحوث لا يخلو من المخاطرة، فقد تغلق الأفهام في بعض المواطن فلا يأبه الباحث إلّا إلى الوصول للنّتيجة المرادة، فيخلّ بالقواعد المنهجيّة، ولا يلتزم بالطّريقة الصّحيحة، فيجعل دراسته بابا للطّعن في بحثه، فيكون طعنا في القرآن؛ وحاشا أن يكون كذلك وهو كلام الله الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2].

لأجل ذلك كان على الباحث أن يكون على درجة من التّقوى والتّورع تجعله يهاب أن يقول في كلام الله أو عن كلام الله بالمجازفة وعدم التّثبّت، ثمّ بعد ذلك عليه أن يتقيّد بخطوات منهجيّة مع اكتساب رصيد من العلم يمكّنه من الخوض في هذا المجال.

---

(1) فضائل القرآن، القاسم بن سلّام، تحقيق: مروان العطيّة، محسن خرابة ووفاء تقيّ الدّين، دار ابن كثير، دمشق بيروت، ط1، 1415هـ – 1995، (375/1). وهو منقطع إلّا أنّه يتقوّى باجتماع طرقه كما ذكر ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمّد فؤاد عبد الباقي ومحبّ الدّين الخطيب، المطبعة السّلفيّة، القاهرة، ط1، (271/13).

(2) فصّلت: 42

منهج البحث:

المنهج الوصفي التّحليلي هو المنهج الذي سلكته في البحث، وذلك لمناسبته هذا النّوع من الدّراسات، كما اعتمدت على المنهج الاستقرائي في بعض مباحث الفصل الأخير الذي عنيت فيه بأمثلة ونماذج تطبيقيّة.

المنهجيّة المتَّبعة:

حرصا على جعل البحث متجانسا متناسقا؛ فقد عمدت فيه إلى ما يلي:

- توثيق الآيات القرآنيّة برواية حفص عن عاصم، وأذكر في الهامش اسم السّورة ورقم الآية فقط.
- تخريج الأحاديث على قلّتها، وعزوها إلى مصادرها، والإكتفاء بالصّحيحين ثمّ مسند أحمد والسّنن إذا وجدت الحديث فيها وإلا ففي مصادر الحديث الأخرى، مع ذكر رقم الحديث.
- عزوت الأبيات الشّعريّة إلى قائليها، وحاولت توثيقها من مصادرها قدر الإمكان.
- عند العزو للمصدر أو المرجع لأوّل مرّة أقوم بتوثيق المعلومات كاملة فأذكر اسم الكتاب، ثم اسم المؤلّف، فالتحقيق وبيانات الطّبع إن وجدت، ثم إيراد الجزء والصّفحة.
- عند تكرّر المصدر أكتفي باسم الكتاب مختصرا، واللّقب المشتهر به مؤلّفه ثمّ الجزء والصّفحة.
- ألحقت الكتاب بـ:
  - فهرس المصادر والمراجع.
  - فهرس الموضوعات.
- حاولت الالتزام قدر الإمكان بالتوازن في تقسيم المباحث، رغم أنّ طبيعة البحث تفرض إخلالا به؛ خاصة في الفصل الأخير الخاص بالأمثلة، فكان لزاما أن يأخذ أكثر من بقيّة الفصول.

خطّة البحث:

قسّمت مادّة هذا البحث إلى مقدّمة وأربعة فصول وخاتمة.

المقدّمة: ذكرت فيها أهمّية الموضوع، ومشكلة البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدّراسات السّابقة، وصعوبات البحث، ومنهج البحث ومنهجيّته.

الفصل الأوّل: جعلته فصلا تمهيديّا عرّفت في المبحث الأوّل منه بالمفردة وبيّنت سبب اختيارها في العنوان، والمبحث الثّاني جعلته لإظهار اهتمام العرب بالمفردة وحصول الملكة لهم في ذلك وأمثلة لنقدهم الألفاظ.

أمّا **الفصل الثّاني**: فكان دراسةً لِما كُتب حول الموضوع أو ما يُسمّى بالدّراسات السّابقة وكان فيه توسّع وشمل مظانّ البحث أيضا. فتطرّقت لكتب التّرادف والفروق والإعجاز، ثمّ انتقلت إلى المقالات التي تناولت الموضوع بطريقة مباشرة وبيّنت الجديد في هذه الدّراسة.

أمّا **الفصل الثّالث**: فجعلته لدراسة المفردة القرآنيّة وكان مقسّما لمبحثين؛ الأوّل لدراسة خصائص المفردة القرآنيّة، والثّاني لتبيين أوجه دقّتها.

والفصل الرّابع والأخير: مهّدت له بنقول عن العلماء تبيّن تفطّنهم واهتمامهم بدقّة المفردة القرآنيّة، ثمّ دراسة تطبيقيّة لأمثلة من القرآن تبيّن بعض أسرار دقّة اختيار المفردة القرآنيّة.

وأنهيت البحث **بخاتمة** فيها عرض لأهم النتائج المتوَصّل إليها من هذا البحث.

والحمد لله الموفّق وحده لأن جمعت هذا البحث راجيا منه التّوفيق والسّداد، إنه بكلّ جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الفصل الأوّل: فصل تمهيدي

المبحث الأول: تعريف المفردة وسبب اختيارها في عنوان البحث

المطلب الأوّل: تعريف المفردة

لغة: "الفرد: الوتر والجمع أفراد وفرادى"[1]. يقال: "ظبيةٌ فارِدٌ: انقطعت عن القطيع، وكذلك السِّدْرَةُ الفارِدَةُ التي انفردتْ عن سائر السّدر"[2].

وجاء في معجم مقاييس اللّغة: "الفاء والرّاء والدّال أصل صحيح يدلّ على وحدة. من ذلك الفرد وهو الوتر. والفارد والفرد: الثّور المنفرد"[3].

وورد في المفردات: "الفرد: الذي لا يختلط به غيره، فهو أعمّ من الوتر وأخصّ من الواحد..... ويقال في الله: فرد، تنبيها أنّه بخلاف الأشياء كلّها في الإزدواج"[4].

أمّا في لسان العرب فركّز على معنى التّميّز في شيء ما فقال: "الذي لا نظير له"[5] وقال أيضا: "الفَرد والفُرد بالفتح والضّم هو منقطع القرين لا مثل له في جودته..."[6].

---

(1) الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين بيروت، ط4، 1407هـ – 1987م، (518/2).

(2) المصدر السّابق (518/2).

(3) مقاييس اللّغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرّازي، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، 1399هـ – 1979م، (500/4).

(4) المفردات في غريب القرآن، الرّاغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الدّاودي، دار القلم، الدّار الشاميّة دمشق بيروت، ط1، 1412هـ، (ص629).

(5) لسان العرب، ابن منظور أبو الفضل محمّد بن مكرم بن علي، دار صادر بيروت، ط3، 1414هـ، (331/3).

(6) المصدر السّابق (332/3).

وأضاف صاحب المعجم الإشتقاقي المؤصّل: "الفَرود من الإبل: المتنحّية في المرعى والمشرب، وفرد بالأمر وانفرد واستفرد. واستفردت الشّيءَ: عددتُه فردا لا ثاني له ولا مثل"[1]. وذكر أنّ المعنى المحوري فيها هو "توحّد الشّيء بذاته منقطعا ومنعزلا عمّا يشاكله"[2].

اصطلاحا: المفردة هي "أصغر وحدة مستقلّة ذات معنى"[3]. وقيل في تعريفها أيضا:"هي المجموعة الصّوتيّة التي تدلّ على معنى، وهذه المجموعة هي وحدة كلاميّة تقوم مقام الجزء من الكلّ في الجملة، وهي الجزء الأوّليّ في بناء النّظم والوحدة المكوّنة له، فلا يغني أحدهما عن الآخر، وهي ليست كائنا معجميّا، إذ يتبيّن لقارئ القرآن أنّها تمتاز بدلالة جديدة يضفيها الموضوع على حياد المعجم"[4].

المطلب الثّاني: سبب اختيار مصطلح المفردة دون الكلمة واللّفظة.

أوّلا: تعريف الكلمة:

جاء في مقاييس اللّغة: "الكاف واللّام والميم أصلان: أحدهما يدل على نطق مفهم"[5]. "تقول كلّمته أكلّمه تكليما؛ وهو كليمي إذا كلّمك أو كلّمته. ثمّ يتّسعون فيسمّون اللّفظة الواحدة المفهمة كلمة، والقصّة كلمة، والقصيدة بطولها كلمة"[6].

---

(1)المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم، محمّد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 2010م. (ص1655)

(2) المصدر السّابق (ص1655).

(3) معجم المصطلحات التّربويّة والنّفسيّة، حسن شحاتة وزينب النّجار وحامد عمّار، الدّار المصريّة اللّبنانيّة، ط1، 1424هـ–2003م، (ص287).

(4) جماليّات المفردة القرآنيّة، أحمد ياسوف، دار المكتبي دمشق، ط2، 1419هـ –1999م، (ص20).

(5) مقاييس اللّغة، ابن فارس (131/5).

(6) المصدر السّابق (131/5).

فهي إذا قول يطلق في الغالب على الجملة فيقال: كلمة "لا إله إلّا الله"، ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾[1] إشارة إلى قول القائل: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ. لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾[2] و"قد تعني أحيانا كلّ العمل الأدبيّ"[3].

ثانيا: تعريف اللّفظ:

جاء في لسان العرب: اللّفظ: "أن ترمي بشيء كان في فيك، والفعل لفظ الشّيء. يقال: لفظت الشّيء من فمي ألفظه لفظا رميته"[4].و"اللّفظ بالكلام مستعار من لفظ الشّيء من الفم"[5]. فالرّابط الذي لأجله سمّي الكلام لفظا هو خروج هذا الكلام من الفم، فهو من الملفوظات، ثمّ اختصّ به فصار عند إطلاقه يقصد منه هذا الصّوت الذي يخرج من فم الإنسان.

واللّفظ هو "ما يتلفّظ به الإنسان أو من في حكمه، مهملا كان أو مستعملا"[6]. أي أفاد السّامع شيئا أو لم يفد. وفي الآية: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾[7].

ثالثا: الفروق بين المفردات الثّلاث:

من تعريفات المفردة والكلمة واللّفظ نستطيع أن نلاحظ:

- من جهة إفادة المعنى: تتّفق المفردة والكلمة في كونهما تطلقان على ما أفاد معنى فقط، وفي المقابل تفترقان عن اللّفظ في أنّه يطلق على ما يفيد معنى وما لا يفيد.

---

(1) المؤمنون: 100.

(2) المؤمنون: 99، 100.

(3) جماليّات المفردة القرآنيّة، أحمد ياسوف (ص19).

(4) لسان العرب، ابن منظور (461/7).

(5) المفردات، الأصفهاني (ص743).

(6) كتاب التّعريفات، الشّريف الجرجاني، تحقيق مجموعة من العلماء بإشراف النّاشر، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 1403هـ–1983م. (ص192).

(7) ق: 18

● من جهة أفراد المصطلحات: تتّفق المفردة واللّفظة في دلالتهما على القول الواحد، وفي مقابل ذلك تختلفان عن الكلمة في أنّها قد تطلق أيضا على الجملة.

● يظهر أنّ المفردة أقرب إلى الكلمة منه إلى اللّفظ. إلّا أنّ الكلمة أعمّ من المفردة كما سبق ذكره من جهة أنّها قد تطلق على الجملة أيضا، بل ذهب بعضهم أنّه "لا يوجد في كلام العرب لفظ «الكلمة» إلّا للجملة التّامة التي هي «كلام»"[1]. "وأمّا تسمية الاسم وحده «كلمة» والفعل وحده «كلمة» والحرف وحده «كلمة» مثل: «هل» و«بل»، فهذا اصطلاح محض لبعض النّحاة، ليس هذا من لغة العرب أصلا"[2].

إذا نخلص إلى أنّ:

● الكلمة يفهم منها معنى لا نجده في اللّفظة ولا في المفردة من حيث أنّها قد تحوي على عدد أفراد أكثر منهما.

● اللّفظة يفهم منها معنى لا نجده في الكلمة والمفردة من حيث أنّها تشمل ما له معنى وما ليس له معنى.

● المفردة يفهم منها معنى لا نجده في اللّفظة ولا في الكلمة وهي أنّها حال كونها مفردة تؤدّي فهما تختصّ به وتنفرد به دون سواها.

من كلّ ما سبق؛ يتبيّن أنّ اختيار التّعبير بالمفردة في مقابل الكلمة واللّفظ له ما يعضده، فالمفردة مأخوذة من الانفراد والتّفرّد، وهو التّمايز عن باقي الأفراد، فلا يختلط بها غيرها، ولا شبيه لها لفظا ومعنى وتفرّدا. فميزتها في تفرّدها بمعنى خاصّ بها، وهذا هو سبب اختيارها في العنوان لأنّه أدلّ على المراد ومراعاة للدّقّة التي ستكون موضوع الدّراسة في كلّ البحث.

---

(1) الرّدّ على المنطقيّين، ابن تيمية تقيّ الدّين أبو العبّاس أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: عبد الصّمد شرف الدّين الكتبي، دار الرّيّان، بيروت، ط1، 1426هـ-2005م. (ص170).

(2) المصدر السّابق (ص171).

تعقيب:

ذهب صدر الشّريعة في التّوضيح إلى أنّه لا ينبغي استعمال اصطلاح "اللّفظ" عند إطلاقه على القرآن، وأنّها تسمية غير لائقة بكتاب الله العزيز، فيقول: "المراد بالنّظم هاهنا اللّفظ، إلّا أنّ في إطلاق اللّفظ على القرآن نوع سوء أدب؛ لأنّ اللّفظ في الأصل إسقاط شيء من الفم"[1] وتبعه بعض الباحثين كعدنان الغامدي في ذلك فقال عن اللّفظ: "هو أسوأ ما ينطق ابن آدم من كلام تنطقه شفتاه من كلامه أو كلام نظرائه"[2]. والسّبب عنده أنّ كلام الله المنزّل لم يلفظه بشر، ولم يبتكره إنسان. ويرى كذلك أنّ هنالك فرقا بين لفظة يرميها قائلها من بنات أفكاره، وبين كلام الله، وأنّ وصفَه باللّفظ فيه مساواة بينه وبين كلام البشر. كما ذكر أنّه لم يأت في القرآن ولا في السّنّة التّعبير باللّفظ فيما يخصّ مفردات القرآن، ولذلك يقال أنّ القرآن يُقرأ ويُتلى ولا يقال يُلفظ[3].

وإذ يوافَق الباحث في أنّ التّعبير بما هو أدقّ وأكمل في تكريم القرآن أولى من استعمال غيره. فإنّه في مقابل ذلك يبدو أنّ في رأيه نوعا من المغالاة؛ ولو كانت الحجج التي ذكرها قويّة؛ لكان مؤدّى قوله حرمة التّعبير عن مفردات القرآن الكريم بالألفاظ. ومرَدّ رأيه نابع من حصره اللّفظ على السّيّئ من المنطوق كما ذكر. وليس كما قال! فقوله سبحانه وتعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[4] قد شمل كلّ ما يُلفظ؛ سواء كان حسنا أو قبيحا، وأنّ الملَكين مكلّفان بتسجيل ذلك. ومعلوم أنّ القرآن من جملة ذلك المتلَفّظ به، فلا يُذمّ اللّفظ بسبب نطق الإنسان به، بل الذّمّ يلحق المُتَلَفَّظ به إذا حمل صفة زائدة على ذلك، وتلك الصّفة هي القبح والسّوء.

---

(1) شرح التّلويح على التّوضيح لمتن التّنقيح في أصول الفقه، لسعد الدّين التّفتازاني الشّافعي، وهو شرح لكتاب التّوضيح لمؤلّفه صدر الشّريعة عبيد الله بن مسعود المحبوبي النّجاري الحنفي. مكتبة صبيح بمصر، (53/1).

(2) لفظة قرآنيّة؟ أم مفردة قرآنيّة؟ عدنان الغامدي، مقالة على النّت، موقع: أوجه البيان في كلام القرآن، تاريخ الإطّلاع عليها: 20-02-2020. على الرّابط: https://cutt.us/j4Iot

(3) ينظر: لفظة قرآنيّة؟ أم مفردة قرآنيّة؟ عدنان الغامدي، تاريخ الاطلاع: 20-02-2020 من موقع: https://cutt.us/j4Iot

(4) ق: 18

ثمّ إنّ معظم العلماء السّابقين قد استعملوا هذا المصطلح، بل قد غلب عليهم التّعبير به، دون أن يُعلم منكرٌ واحدٌ عليهم!. فهل يمكن أن يخفى عليهم بمجموعهم هذا المعنى السّيء الذي يُدّعى على اللّفظ.

وفعل العلماء هذا؛ يُستَأنس به في رفع إشكال كراهة أو منع إطلاق اللّفظ على المفردة القرآنيّة، لكنّه في المقابل يوقع في إشكال آخر؛ إذ ما وجه شيوع استعمالهم له ما دام في اللّغة ما هو أولى وأدقّ منه؟

وتوجيه ذلك؛ أنّه لمّا كان جلّ كلامهم حول الإعجاز القرآني، كانوا يعبّرون عن كلماته باستعمال مصطلح "اللّفظة" وكأنّهم يقولون للمنكرين والمعاندين: إنّ هذا القرآن المعجز –الذي لم يستطع فحول العرب معارضته ولا يستطيعون ولو اجتمعوا– قد نزل عليكم بلغتكم، وجاءكم بأساليبكم في الكلام، وتحدّاكم بألفاظكم. فلو أتى بألفاظ غير التي يعرفونها لتذرّعوا عند عجزهم عن معارضته أنّه على غير ما يعرفونه من الكلام. فلمّا كان مؤلَّفا من الألفاظ نفسها التي يلفظونها ولم يأت بكلام جديد كان ذلك أبلغ في فضح عجزهم، وإظهار إعجازه. وكان التّعبير بها في كلّ مرّة بمثابة تذكير ضمنيّ للمنكرين أنّه أفحمهم وأعجزهم بالمُستَعمَل من ألفاظهم.

المبحث الثّاني: اهتمام العرب بالمفردة.

لم يبدأ الاهتمام بالمفردة العربيّة مع بداية الاهتمام ببلاغتها في القرآن ووجه الإعجاز فيها. كما لم يبدأ مع النّزول القرآنيّ ودهشة العرب الأقحاح من دقّتها. فالمفردة كانت ولم تزل محلّ اعتناء بها منذ أن عُرف عن العرب تقديسهم لها، كونها اللّبنة الأساسية في فصاحة الكلام الذي اشتهروا بكونهم من أكثر الأمم اعتناء واهتماما به، وما نزل القرآن بلغتهم؛ إلّا لما بلغته اللّغة العربيّة من الكمال، الأمر الذي جعلها تحظى بشرف نزول القرآن بلسانها؛ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ

ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾[1].

ثم إنّ الحديث عن هذه الحقبة من هذا الجانب، حريّ أن يبيّن لنا أنّ الإعجاز إنّما هو واقع من لدنهم إلى يوم الدّين، كما أنّ عجزهم عن معارضته على ما بلغوه من مراتب عليّة في الفصاحة والبلاغة والدّقة في انتقاء واختيار الألفاظ؛ لدليل على أنّ عجز غيرهم أولى، وأن شُبه المتأخّرين وإشكالاتهم لا تعدوا أن تكون شبها ضعيفة ومطاعن لا ترقى أن تكون سببا للتّشكيك في الكتاب العربيّ المبين، الذي أحكمت ءاياته ثم فصّلت من لدن حكيم خبير.

المطلب الأوّل: اهتمام العرب باللّفظ وبيان حصول الملكة لهم في انتقاء الألفاظ مع عدم إهمالهم المعنى.

أوّلا: اهتمام العرب بالمفردة وبيان حصول الملكة لهم في انتقاء الألفاظ

إنّ العرب هم أرباب الفصاحة والبيان، ولقد بلغ هذا القول رتبة المتواتر من الأخبار، فاستحال التّكذيب، وتناقلت أقوالهم الرّكبان، فحُفِظ شعرهم ونثرهم وخطبهم تدليلا على ذلك؛ حتى لا يأتي أناس في زمن غير زمانهم؛ فيدّعوا أنّهم لم يكونوا بتلك الفصاحة التي يقال أنّهم كانوا عليها، فهم قد عرجوا في منازل البلاغة، واستقرّت عندهم في الذّروة الفصاحة.

و"كانت الملَكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملَكات وأوضحها إبانة عن المقاصد"[2].

وداوموا على انتقاء الأجود من الألفاظ، فهذه "قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها، ورقّة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم،

---

(1) الشّعراء: [192- 195]

(2) كتاب العبر، وديوان المبتدإ والخبر، في تاريخ العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، ابن خلدون عبد الرحمن الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر بيروت، ط2، 1408هـ – 1988م. (753/1).

فاجتمع ما تخيّروا من تلك اللّغات إلى سلائقهم"[1]. فلم يكتفوا بفصاحتهم حتى انتقوا من لغات العرب ما رفعوا لغتهم به إلى القمّة.

لقد كانت اللّغة العربيّة قبل الإسلام مكتملة ناضجة، وكان الفصحاء والبلغاء والخطباء يتباهون بها في شتّى مناسباتهم؛ حيث تظهر قدراتهم البلاغيّة والبيانيّة[2]. وكان هذا ميدانهم الذي يشتغلون به معظم أوقاتهم، ويصرفون للتّميز فيه جهودهم، يقول فيهم عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: "كان الشِّعر علم قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه"[3]. على أنّه لم يبلغنا من كلامهم إلّا القليل؛ كما صرّح بذلك ابن فارس في كتابه: "في باب القول على أنّ لغة العرب لم تنته إلينا بكلّيّتها، وأنّ الذي جاء عن العرب قليل من كثير، وأن كثيرا من الكلام ذهب بذهاب أهله"[4]. كما نُقل عن أبي عمرو بن العلاء أنّه قال: "ما انتهى إليكم ممّا قالت العرب إلّا أقلّه، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير"[5].

كما أنّ ما يُسمّى بفقه اللّغة قد أحكمته العرب سليقة وبلغت الغاية فيه، حتّى صار استعمال غيره، أو ذكر اللّفظ العام في موضع الخاصّ منه لحنا وخروجا عن لسان العرب. بل اعتبروه "أشدّ من اللّحن في الإعراب وأفحش"[6]. ومثالا على ذلك نجد أنّهم "تواضعوا على الأبيض لكلّ مافيه بياض، ثم اختصّ ما فيه بياض من الخيل بالأشهب، ومن الإنسان بالأزهر، ومن الغنم بالأملح، حتّى صار استعمال الأبيض في هذه كلِّها لحنا وخروجا عن لسان العرب[7].

---

(1) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزّبيدي، دار الهداية. (22/1).

(2) ينظر: اللّغة العربيّة نشأتها ومكانتها في الإسلام، وأسباب بقائها نور الله كورت، ميران أحمد أبو الهيجاء، محمّد سالم العتوم (ص125).

(3) طبقات فحول الشّعراء ، محمّد بن سلّام الجمحي، تحقيق: محمود محمّد شاكر، دار المدني جدّة. (ص24).

(4) الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، دار محمّد علي بيضون، ط1، 1418هـ – 1997م. (36/1).

(5) طبقات فحول الشّعراء، محمّد بن سلّام (ص25).

(6) ينظر: تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون (758/1).

(7) ينظر: المصدر السّابق (758/1).

ثانيا: بيان أنّ اهتمامهم بالمفردة والمعنى كان على حدّ سواء:

إنّ ما يورَد من اهتمام العرب بالمفردة إنّما هو لطبيعة الموضوع الذي يبحث في المفردة، وإلا فلا ينكر عارف بالعرب أنّ عنايتهم بالمعاني ليست أقلّ من عنايتهم بالألفاظ، بل كان ذلك على حدّ سواء؛ فالتّلازم هو طبيعة اللّفظ والمعنى، فلا وجود للمعنى دون لفظ، كما أنّه لا وجود للّفظ دون معنى. فالمعنى صورة ذهنيّة واللّفظ هو القصد من تلك الصّورة الذّهنيّة أو هويّتها. فالمعاني هي الصّورة الذّهنية للألفاظ، والألفاظ هي الصّورة الصّوتيّة للمعاني.

"فالعلاقة إذا بين اللّفظ والمعنى على نحو العلاقة بين الرّوح والجسد"[1]. و"الكلام جسد وروح، فجسده النّطق وروحه معناه"[2]. إذ "الألفاظ أجساد والمعاني أرواح، وإنّما تراها بعيون القلوب، فإذا قدّمت منها مؤخّرا، أو أخّرت منها مقدّما، أفسدت الصّورة وغيّرت المعنى، كما لو حوّل رأس إلى موضع يد، أو يد إلى موضع رجل، ولتحوّلت الخلقة وتغيّرت الحلية"[3].

كما ردّ ابن جنّي على من ادّعى هذه الدّعوى على العرب، وذكر كلاما طويلا في باب خاصّ بالرّد على من ادّعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني فقال: "اعلم ...أنّ العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها، وتهذبّها، وتراعيها... فإنّ المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخم قدرًا في نفوسها"[4]. وبيّن أنّ عنايتهم بالألفاظ؛ لأنّها عنوان المعاني والطّريق إلى إظهار أغراضها ومراميها، فلذلك "أصلحوها ورتّبوها، وبالغوا في تحبيرها وتحسينها؛ ليكون ذلك أوقع لها في السّمع وأذهب بها في الدّلالة على القصد"[5].

---

(1) تاريخ النّقد الأدبي عند العرب، إحسان عبّاس، دار الثّقافة بيروت، ط4، 1983م. (140/1).

(2) عيار الشّعر، أبو الحسن محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي القاهرة.(17/1).

(3) الصّناعتين الكتابة والشّعر، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمّد البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة بيروت، 1419هـ. (ص161).

(4) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنّي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط4. (ص 216).

(5) المصدر السّابق (ص216، 217).

ثالثا: بين نظريّة النّظم للجرجاني واللّفظ.

إنّ المتأمّل لكلام عبد القاهر الجرجاني في حديثه عن نظريّة النّظم وأهمّيّتها، والتي كانت لها إرهاصات مع الجاحظ والخطّابي، يظهر له من خلال كتابه دلائل الإعجاز وهو يؤسّس لهذه النّظريّة أنّه ينكر أيّ مزيّة للّفظ، حتى قد يظنّ الظّانّ أنّ اللّفظ قبيح، والحسن كل الحسن للنّظم، إلّا أنّه إذا اكتشف سبب تلك الشّدّة، حُمل كلامه محملا حسنا؛ ووُجِّه توجيها ألين في الخطاب.

فقد وضّح المحقق أبو فهر محمود محمّد شاكر في مقدّمة تحقيقه لدلائل الإعجاز أنّ كتاب الجرجاني جاء ردّا على القاضي عبد الجبّار المعتزلي إذ "كان كلّ همّه أن ينقض كلام القاضي في "الفصاحة"، وأن يكشف عن فساد أقواله في مسألة "اللّفظ"، بالمعنى المؤقّت المحدّد في كلامه في كتابه "المغني"، دون المعنى المطلق للّفظ"[1]، خاصّة وأنّ منزلة القاضي جعلت الكثيرين يأخذون كلامه كمسلَّمة غير قابلة للنّقاش.

والقاضي في نظر عبد القاهر عالي المنزلة في الأصول وعلم الكلام، لكنه ليس كذلك –في علم البلاغة والفصاحة والبيان– حتّى يؤخذ بكلامه ويقتدى بقوله ويُمكّن لرأيه[2]! وأمّا مقولته التي كثيرا ما ردّدها وخطّأها وردّ عليها فهي قول القاضي: "إنّ المعاني لا يقع فيها تزايد، فإذن يجب أن يكون الذي يُعتبر: التّزايد عند الألفاظ التي يعبّر بها عنها"[3]. وقوله: "إنّ الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنّما تظهر في الكلام بالضّم، على طريقة مخصوصة"[4].

---

(1) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: أبو فهر محمود محمّد شاكر، مطبعة الخانجي القاهرة ومطبعة المدني القاهرة، (ص: هـ).

(2) ينظر: المصدر السّابق (ص464).

(3) المغني في أبواب التّوحيد والعدل، القاضي عبد الجبّار، تحقيق ج16: أمين الخولي.(16/199-200).

(4) المصدر السّابق (16/199).

وإغفال هذه العلاقة –مناسبة تأليفه للكتاب وأنّه في مقام الرّدّ– "يؤدّي أو قد أدّى إلى غلط فاحش في فهم مسألة "اللّفظ" و "المعنى" عند عبد القاهر في كتابه هذا. فلا "اللّفظ" فُهم على حقيقته عنده، ولا "المعنى" أيضا عرف على حقيقته عنده"[1].

ولولا شدّته في كتابه لأنّه كان في مقام الرّدّ لكان تعبيره عن نظرته للألفاظ أوضح، ولما وقع هذا الإقصاء والانتقاص لأهمّيّة اللّفظ، ونسبته لعبد القاهر الجرجاني.

وحين يُعلم كلّ ما سبق تتوضّح نظرة الجرجاني للألفاظ وأنّه لا يقصيها ولا ينكر أهمّيّتها ووزنها في الكلام كما يتبادر إلى ذهن من يطّلع على كتابه دون علم بخلفيّة تأليفه.

ولعلّ نظرة خفيفة على مؤَلَّف آخر له قد يكشف لنا أنّ اعتماد رأيه حول اللّفظ بالاقتصار على ما قال في دلائل الإعجاز غلط، وكمثال للتوضيح على ذلك نأخذ كلاما للجرجاني نفسه في مؤَلَّف آخر له وهو: الرّسالة الشّافية حيث يقول: "اعلم أنّ لكلّ نوع من المعنى نوعا من اللّفظ هو به أخصّ وأولى، وضروبا من العبارة هو بتأديته أقوم، وهو فيه أجلى، ومأخذا إذا أخذ منه كان إلى الفهم أقرب، وبالقَبول أخلق، وكان السّمع له أوعى، والنّفس إليه أميل"[2].

فوجب على الدّارسين إعادة النّظر في "دلائل الإعجاز" وفي كتبه الأخرى ليصلوا في قضيّة "اللّفظ" و "المعنى" إلى نتائج موضوعيّة يُطمأَنّ إليها[3].

المطلب الثّاني: نقدهم الألفاظ

رغم بلوغ العرب الذّروة في البلاغة والفصاحة، وحفاظهم عليها – بمجموعهم– إلّا أنّ نقدهم لبعضهم وعقد المجالس الأدبيّة لعرض شعرهم، وحكم النُّقاد لقول أو لشعر على غيره، لَأكبر دليل على أنّهم يعلمون أن اللّغة أوسع من أن يحيط بها الفرد، بل تجاوزوا للفرد منهم على هنَات لعلمهم

(1) دلائل الإعجاز، الجرجاني، (ص: هـ).

(2) الرّسالة الشّافية، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمّد خلف الله ومحمّد زغلول سلام، دار المعارف مصر، ط3، 1976م.(ص117).

(3) يُنظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، مقدّمة محمود شاكر (ص: ز).

باستحالة أن يجمع اللّغة إنسان، فلا تجد عربيّا حتّى ممّن بلغ السّيادة في البلاغة إلا وقد تُكُلِّم في بعض شعره. ولم تصبه بذلك عند أهل الاختصاص نقيصة، لأنّهم قد علموا أنّ "كلام العرب أكثر من أن يُحصى"[1]، على أن يكون ذلك الخطأ دقيقا لا يُتَّقى إلّا بتنقيح دهر، وعلى مثل هذا جاء قول الشّافعي: "ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرُها ألفاظا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبيّ"[2]. وشبّهه بالعلم بالسُّنّة فقال: "والعلم به عند العرب كالعلم بالسُّنّة عند أهل الفقه، لا نعلم رجلا جمع السُّنن فلم يذهب منها عليه شيء"[3]. غير أن استيعابهم لمعظمها هو الغالب على تفاوت بينهم. فعلموا أن لها نظاما صوتيّا وصرفيّا ونحويّا وتركيبيّا، كما لألفاظها دلالاتُها الخاصّة بها، فتقيّدوا بها. و"كلّ خروج عن هذا النّظام اللّغوي المتكامل يُعدّ لحنا، سواء أكان هذا الخروج بخلط الكلام بلغة أخرى، أم باستعمال اللّفظة في غير موضعها"[4].

ومن شدّة اهتمامهم بلغتهم؛ عقدوا للكلمة أسواقًا يأتون فيها بكلّ جديد من شعر أو نثر أو خطابة، وكان العرب يرجعون إلى منطق قريش، ذلك أنّها كانت أفصح العرب فكانوا يبالغون في انتقاد اللّهجات وينتقون الأفصح منها، فشاع فيهم المنطق الفصيح وبلغت اللّغة أعلى الدّرجات[5].

وكان لهم حكّام نقّاد يَفصلون بين المتنافسين، منهم النّابغة، إذ كانوا يضربون له قبّة حمراء من أدم بسوق عكاظ، وتأتيه الشّعراء، فتعرض عليه أشعارها[6]. ويتحاكمون إليه أيّهم أشعر.

---

(1) الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة، أحمد بن فارس (12/1).

(2) الرّسالة، الشّافعي محمّد بن إدريس، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي مصر، ط1، 1358هـ-1940م. ص 34.

(3) المصدر السّابق (ص34).

(4) اللّغة العربيّة نشأتها ومكانتها في الإسلام، وأسباب بقائها، نور الله كورت، ميران أحمد أبو الهيجاء، محمّد سالم العتوم، مجلّة كلّيّة الإلهيّات بجامعة بينجول تركيا، العدد السّادس سنة 2015، الصّفحات [125-170]. (ص138).

(5) ينظر: تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرّافعي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1421هـ-2000م. (78/1).

(6) ينظر: الشّعر والشّعراء، ابن قتيبة، (332/1).

وأشهر أسواق العرب في الجاهليّة حتّى ظهور الإسلام: سوق عكاظ[1]، وسوق ذي المجاز[2]، وسوق مَجَنَّة[3]، وغيرها. فيتنافس الشّعراء بعرض شعرهم، "ويقوم بينهم المحكِّمون من أمثال النّابغة فيحكمون للمتفوّق ببراعته"[4]. وهم بمجالسهم تلك "مرنوا على الانتقاد؛ حتّى رقت أذواقهم، وسمت طبائعهم، وقويت سلائقهم؛ وحتّى صاروا في آخر أمرهم أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللّسان عند النّطق، وأحسنها مسموعًا، وأبينها إبانة عمّا في النّفس"[5].

وكان اهتمامهم بثلاث نقاط رئيسيّة[6] إن أغفلها المتكلّم كان مصيره النّقد والتّخطيء وهي:

1- خروج الشّاعر عن الواقع وعدم مراعاة الصّدق في الحديث.
2- الرّبط القويّ بين الألفاظ وما تدلّ عليه.
3- النّظر في اللّفظ من حيث الدّلالة على معناه الجمالي.

وهذه أمثلة من نقدهم الألفاظ لتبَيُّن مدى الدّقة التي كانوا عليها:

أوّلا: حسّان بن ثابت القائل:

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمَعْنَ بالضُّحَى. . . وأسيَافُنَا يَقْطرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَما

وَلَـدْنا بَنِي العَنْقَاءِ وابَنْى مُحَـرقٍ. . . فَأَكْـرِمْ بِنَا خالاً وأَكْرِمْ بنا ابنا

---

(1) اسم سوق من أسواق العرب في الجاهليّة، قال الأصمعي: عكاظ نخل في واد بينه وبين الطّائف ليلة، وبينه وبين مكّة ثلاث ليال.معجم البلدان، شهاب الدّين أبو عبد الله ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م. (142/4).

(2) موضع سوق على فرسخ من عرفة، ناحية كبكب، كانت تقوم في الجاهليّة ثمانية أيّام. معجم البلدان، ياقوت (55/5).

(3) اسم سوق للعرب كان في الجاهليّة، قال الأصمعي: وكانت مجنّة بمرّ الظّهران قرب جبل يقال له الأصفر، وهو بأسفل مكّة على قدر بريد منها، وكانت تقوم عشرة أيّام من آخر ذي القعدة. معجم البلدان، ياقوت (59/5).

(4) تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، ط1، 1960. (50/1).

(5) تاريخ آداب العرب، الرّافعي (75/1).

(6) خصائص التّعبير القرآني وسماته البلاغيّة، عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة ط1، 1413هـ–1992م. (58-59)

وقد ألقاه أمام النّابغة فقال له: "أنت شاعر، ولكنّك أقللتَ جفانك وأسيافك، وفخرتَ بمن ولدتَ ولم تفخر بمن ولدك"[1].

"وقال قوم ممّن أنكر هذا البيت في قوله: "يلمعن بالضّحى" ولم يقل: "بالدُّجَى"، وفي قوله: "وأسيافنا يقطرن" ولم يقل يجرين؛ لأنّ الجري أكثر من القطر"[2].

فالنّابغة وغيره نقدوا شعر حسّان بالنّظر في اللّفظ من حيث دلالته على معناه الجمالي.

ثانيا: المهلهل بن ربيعة القائل:

فَلَوْلاَ الرّيح أَسْمَعَ مَنْ بحُجر. . . صَلِيلُ البِيضِ تُقْرَعُ بالذّكُورِ

"عن دعبل بن علي قال: أكذب الأبيات قول مهلهل"[3]، لما فيه من المبالغة الزائدة. إذ بين حُجر التي هي اليمامة ومكان الواقعة ما يقارب عشرة أيّام. والعربيّ لا يميل للمبالغة والتّهويل في تصويره للعواطف، وإن فعل فيعتبر عيبا من حيث أنّه استعمل ألفاظا تفوق المعنى المتقبّل عقلا، فهم قد بلغوا درجة من تحرّي الدّقة في استعمال الألفاظ بما تتوافق مع المعنى تمام التّوافق.

ثالثا: المتلمّس القائل:

وقَد أتناسَى الهمَّ عند احتِضارِهِ. . . بِناجٍ عليه الصيْعَرِيَّةُ مُكْدِمُ[4]

سمعه طرفة بن العبد "فقال: استنوق الجمل. فضحك النّاس وسارت مثلا. فقال له المتلمّس: ويل لرأسك من لسانك"[5].

---

(1) الموشح في مآخذ العلماء على الشّعراء، المرزباني أبو عبد الله بن محمّد بن عمران بن موسى، تحقيق: محمّد حسين شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1415هـ-1995م. (ص76).

(2) المصدر السّابق (ص77).

(3) المصدر السّابق (ص92).

(4) ديوان المتلمّس الضّبعي، رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي، تحقيق: حسن كامل الصّيرفي، معهد المخطوطات العربيّة 1390هـ-1970م. (ص320),

(5) الصّناعتين، العسكري (ص86).

ففي كلمة طرفة إشارة إلى خطأ في الاستعمال اللّغوي لكلمة "الصّيعرية" حيث استُعملت صفة للجمل، وهي لا تكون إلا وصفا للنّاقة في العُرف اللّغوي. فاستعمل اللّفظ في غير موضعه.

رابعا: أبو العيال الهذلي القائل:

ذكرت أخي فعاودني ... صداع الرّأس والوصب[1]

"فذكر الرّأس مع الصّداع فضل"[2]. فكلمة الصّداع حال كونها مفردةً؛ يُفهم منها أنّه ألم الرّأس فكان الاكتفاء بالصّداع دون زيادة لفظ الرّأس أولى.

خامسا: قيس بن الخطيم الأنصاري القائل:

تمشي الهوينى إذا مشت قطفاً ... كأنَّها عود بانةٍ قصف[3]

"عن أبي العبّاس أحمد بن يحيى ثعلب قال: ممّا يعاب على قيس بن الخطيم قوله: ...كأنّها عود بانة قصف. لأنّ المرأة إنّما تشبّه بالعود المتثنّي لا بالمتقصّف"[4].

سادسا: النّابغة الذّبياني القائل:

أمن آل ميّة رائح أو مغتدي * * * عجلان ذا زاد، وغير مزوّدِ.

زعم البوارح أنّ رحلتنا غدا * * * وبذاك خبّرنا الغراب الأسودُ [5].

والقائل أيضا:

سقط النّصيف ولم ترد إسقاطه ... فتناولته واتّقتنا باليدِ

---

(1) ديوان الهذليين، محمّد محمود الشّنقيطي، الدّار القوميّة للطّباعة والنّشر، القاهرة، 1385هـ-1965م. (242/2).

(2) الموشح في مآخذ العلماء على الشّعراء، المرزباني (ص114).

(3) الكامل في اللّغة والأدب، أبو العبّاس المبرّد محمّد بن يزيد، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة، ط3، 1417هـ – 1997م. (214/2).

(4) الموشح في مآخذ العلماء على الشّعراء، المرزباني (99/1).

(5) ديوان النّابغة الذّبياني، النّابغة الذّبياني، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة، ط2. (ص89).

بمخضّب رخص كأنّ بنانه ... عنم[1] يكاد من اللّطافة يعقدُ [2].

عن محمّد بن سلّام: "لم يقو أحد من الطّبقة الأولى ولا من أشباههم إلا النّابغة فى بيتين"[3].

فقد عيب عليه الإقواء[4]، "فلم يأبه له حتّى أسمعوه إيّاه فى غناء... فقالوا للجارية: إذا صرت إلى القافية فرتّلي. فلمّا قالت: «الغراب الأسود» و «باليد» – علم فانتبه فلم يعد فيه"[5].

سابعا: زهير بن أبي سلمى القائل:

فتنتج لكم غلمان أشأم، كلّهم ... كأحمر عاد ثمّ ترضع فتفطم

قال ابن سلّام: أراد "أحمر ثمود" فلم يمكنه الشّعر، فقال: "عاد"[6].

وينبّه الأصمعي إلى خطئه في هذا الإطلاق، ولـمّا استُشكل عليه بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾[7]؛ أجابهم بقوله: "معناه التي كانت قبل ثمود، لا أنّ هاهنا عادَين"[8].

ثامنا: الأعشى القائل:

استأثر الله بالوفاء وبال *** عدل وولّى الملامة الرّجلا[9].

فالملامة يستحقّها الرّجل والمرأة على حدّ سواء، فذكر الرّجل جعل اللّفظ غير مستوف للمعنى المراد، فعيب كلامه لأجل ذلك.

---

(1) العنم: نبت أحمر يصبغ به.

(2) ديوان النّابغة، النّابغة (ص93).

(3) خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط4، 1418هـ – 1997م. (133/2).

(4) الإقواء: هو رفع بيت وجرّ آخر. الموشح في مآخذ العلماء على الشّعراء، المرزباني (20/1).

(5) الموشح في مآخذ العلماء على الشّعراء، المرزباني (51/1).

(6) الأمثال، أبو عبيد القاسم بن سلّام، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتّراث، ط1، 1400هـ – 1980م. (332/1).

(7) النّجم: 50

(8) الموشح في مآخذ العلماء على الشّعراء، المرزباني (59/1).

(9) ديوان الأعشى الكبير، الأعشى ميمون بن قيس، تحقيق: محمّد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز (ص233).

فهذه الأمثلة وهذه الملاحظات تدلّ على إدراك الرّجل العربيّ لأيّ خلل يدخل الكلام حتّى ولو كان صادرا من فحول الشّعر وأسياد الكلام. وأنّ معايير الجمال راسخة عندهم يُعملونها بالسّليقة. ولأجل ذلك فإنّ "من شعراء العرب[1] من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا[2]، وزمنا طويلا، يردّد فيها نظره، ويجيل فيها عقله، ويقلّب فيها رأيه، اتّهاما لعقله، وتتبّعا على نفسه..."[3]. "ويظهر لك قصور البشر في أنّ الفصيح منهم يصنع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده، ثمّ لا يزال ينقحها حولا كاملا، ثم تعطى لآخر نظيره فيأخذها بقريحة جامة فيبدّل فيها وينقّح، ثمّ لا تزال كذلك فيها مواضع للنّظر والبدل"[4].

المطلب الثّالث: إعجاز القرآن لهم

من الطّبائع المتجذّرة التي جُبلت عليها النّفس البشريّة؛ عدم التّسليم بالعجز، والاعتراف بالفضيلة للغير؛ إذا وجدوا لدفع التّسليم سبيلا ولعدم الاعتراف بذلك مخرجا وبديلا، خاصّة إذا كان الميدان المتحَدّون فيه ميدانهم!

"ولذلك جاءت معجزته ﷺ من جنس ما نبغوا فيه؛ كي تأتيهم الحجّة والتّعجيز"[5].

أوّلا: تحدّي القرآن لهم:

لقد توافر لدى العرب –كما مرّ معنا– من المَلَكة ما يجعلهم أهلا لهذا التحدّي الذي أعلنه القرآن، واجتمع لديهم الدّافع إليه وهو رفضهم له، ثمّ ظهر دافع آخر وهو تحدّي القرآن لهم في

(1) كزهير بن أبي سلمى والحطيئة وغيرهم.

(2) كريتا =كاملا

(3) البيان والتّبيين، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر اللّيثي، مكتبة الهلال بيروت، 1423هـ. (8/2).

(4) المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمّد عبد الحقّ بن غالب المعروف بابن عطيّة الأندلسي، تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 1422هـ. (52/1).

(5) تفسير الشّعراوي، محمّد متولي الشّعراوي. (7329/12). من الشّبكة بتاريخ: 20-02-2020 رابط الموقع: https://archive.org/stream/alhelawy03/sharawy_12#page/n256/mode/2up.

ميدانهم الذي نبغوا فيه، وهم إلى ذلك قد انتفت عنهم الموانع؛ فلسانهم أكمل الألسنة، والقرآن جاءهم بهذا اللّسان لم يخرج عنه في آية ولا مفردة.

لقد كان تحدّي القرآن واضحا في كلامه، قويّا في عباراته، حيث يعتبر من عجزوا عن التّحدّي مقرّين بإعجازه طوعا؛ بالإيمان به والإذعان لأمره. أو كرها؛ فينصرفون إلى الاستمرار في محاربة من جاء به، بطرق أخرى غير الإتيان بمثله، فيكون إقرارا ضمنيّا بعلمهم يقينا أنّهم لن يستطيعوا أن يأتوا بمثله ولو اجتمع أوّلهم وآخرهم، وإنسهم وجِنّهم. ولكن أنّى لهم أن يعلنوا ذلك؛ ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾[1].

لقد جاء التّحدّي في خمس آيات من القرآن واختلف أسلوبه في ذلك وإن كان مؤدّى كل تلك الآيات إظهار إعجاز القرآن لهم، وأنّهم لن يفعلوا رغم كلّ ذلك الإستفزاز لهم.

وآيات التّحدّي على ترتيب السّور القرآنيّة في المصحف[2] وهي:

1- ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾[3].
2- ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ...﴾[4].
3- ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ...﴾[5].
4- ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾[6].

---

(1) النّمل: 14

(2) مراعاة التّرتيب حسب المصحف هدفه عدم الخوض في مسائل جانبيّة عن البحث، كترتيب مراحل التّحدّي التي تتعارض مع ترتيب السّور حسب النّزول. ينظر: دراسات في علوم القرآن، فهد الرّومي، ط12 1424هـ–2003م. (ص271).

(3) البقرة: 23

(4) يونس: 38

(5) هود: 13

(6) الإسراء: 88

5- ﴿أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾[1].

جاءت ثلاث آيات من أصل الخمسة التي للتّحدّي مبتدأة بدعوى الإفتراء والتّقوّل، وذلك زيادة في تعجيزهم من جهة أنّ المفتري يسهل معارضته، خاصّة ممّن لهم دربة ورياضة على الكلام والبلاغة في مقابل من ليس له من ذلك نصيب.

وبقولهم أنّه افتراء كان التّحدّي أقوى، فهم قد عاشوا مع النّبي ﷺ منذ صغره، ويعلمون أنّه لم يزاول شعرا ولا خطابة، فإذا كان من لا علاقة له برياضتهم قد جاء بهذا القرآن، فكان أولى بأهل الدّربة أن يكونوا أقدر منه على الافتراء، وأن يأتوا ببعض من مثله، فلماذا لم يفتروا مثله؟![2].

كما أنّ التّحدّي بالسّورة دليل على أنّهم حتّى مع بلوغهم ما بلغوه من الفصاحة، إلّا أنّهم لا يستطيعون المحافظة على ذلك النّسق العالي والكامل لأكثر من جملة أو جملتين، "فكلام العرب ومَن تكلّم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة من جميع أنحائها في العالي منه؛ إلّا في الشّيء اليسير المعدود، ثم تعرض الفترات الإنسانيّة، فينقطع طيب الكلام ورونقه، فلا تستمرّ لذلك الفصاحة في جميعه؛ بل توجد في تفاريق وأجزاء منه"[3].

ثانيا: عدم معارضتهم له مع اشتهار المعارضة فيما بينهم

لقد اشتهر عن العرب فنّ المعارضات؛ وهو أن يقول الشّاعر قصيدة في موضوع ما، فيأتي شاعر آخر، فينظم قصيدة؛ محاكياً القصيدة الأولى في وزنها، وقافيتها، وموضوعها، مع حرصه على بلوغ درجتها الفنّية أو التّفوق عليها، فيأتي بمعان تبلغها أو تَفُوقها في الجمال الفنّي أو في جمال التّمثيل[4]. كحادثة الاحتكام إلى أمّ جندب زوجة امرئ القيس، والتي كانت بين علقمة

---

(1) الطّور: 33، 34

(2) ينظر: تفسير الشّعراوي، الشّعراوي (6374/10).

(3) أسرار ترتيب القرآن، السّيوطي جلال الدّين، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا ومرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة القاهرة. (ص22).

(4) ينظر: تاريخ النّقائض في الشّعر العربي، أحمد الشّايب، مكتبة النّهضة المصريّة القاهرة، ط2، 1954م.(ص7).

بن عبدة وامرئ القيس[1]. وغير ذلك كثير من المعارضات التي امتلأت كتب الأدب بها. بل صار ممّا يفتخر به القوم؛ هو حسن معارضة أحدهم لصاحبه.

لأجل ذلك كانت دعوة القرآن الكريم لمثل ما برعوا فيه؛ دعوةً في ميدانهم، وتحدّيا في مضمارهم، فلم يكن منهم إلّا أن اعترفوا بالعجز، باختيارهم القتال وتقديمهم رقابهم للسّيف، فهم عرفوا أنّ ذلك أهون من معارضته. فلو كانت المعارضة في متناولهم ثمّ اختاروا القتال؛ لكان ذلك مخالفا للعقل والمنطق، فلمّا لم يفعلوا دلّ على يقينهم أنّه لا طاقة لهم بما استسهله بعض المتأخّرين.

ثمّ إنّ فحول الشّعراء قد عورضوا، كامرئ القيس، وعمرو بن كلثوم وغيرهما. " أفليس الذين تنافسوا هناك أقدر منه على الافتراء؟ ألم يكن امرؤ القيس شاعرا فحلا؟ لقد كان، وكان له نظير يعارضه."[2] بل فاقه آخرون في بعض معارضاتهم كعلقمة بن عبدة في وصف الخيل.

وإذ عورض هؤلاء، فمن باب أولى أن يعارض من لم يكن له من مجالس الشّعر والمعارضة نصيب، فلم يُسمع عنه ﷺ أنّه كان يرتاد أسواق العرب ولا ألقى فيها شيئا من شعر أو خطبة.

"إذن: فهاتوا من يفتري مثل سور القرآن، فإن لم تفتروا، فمعنى ذلك أنّ القرآن ليس افتراء"[3].

فهؤلاء أرباب البلاغة، وأصحاب البيان الذين نزل عليهم الخطاب لم يقع منهم تحدّي. فإن كان لم يصدر من مثلهم، كان مستحيلا عقلا أن يقع ممّن هم دونهم؟!. وهم إنّما لم يحاولوا لعلمهم أن لا سبيل لهم إلى ذلك، وأنّ مجرّد المحاولة سيجعلهم مثار سخرية واستهزاء أمام قومهم ومجتمعهم، فاختاروا سبيل الحرب وتوجّهوا إلى القتال مع شدّته، على أن يأتوا بمثل القرآن[4].

وتصدير العنوان بعدم معارضتهم له؛ كان القصد منه أنّه لم يعارَض معارضة حقيقيّة تجعل النّقاد يقارنون بينهما، أو تجعل النّصّين محلّ أخذ وردّ من قِبلهم، فيكون بذلك قد ارتقى النّصّ المَقول إلى درجة من القوّة تخوّل لقائله أن يعدّه معارضة، وليس كذلك!. إذ منتهى ما يُنسَب

(1) الشّعر والشّعراء، ابن قتيبة (212/1).

(2) تفسير الشّعراوي، الشّعراوي (6374/10).

(3) المصدر السّابق (6374/10).

(4) ينظر: دراسات في علوم القرآن، فهد الرّومي (ص12-13).

لبعضهم كمسيلمة كما في قوله: "ياضفدع نقّي كم تنقين، لا الماء تكدّرين ولا النّهر تفارقين"[1] وغيرها من الأقوال المسجوعة، "فمعلوم أنّه خال من كلّ فائدة؛ لا لفظه صحيح، ولا معناه مستقيم، ولا فيه شيء من الشّرائط الثّلاث التي هي أركان البلاغة"[2]. فهو أحقر من أن يُسمّى معارضة لعدم توفّر شروط المعارضة فيه، ولتفاهته، بل ولخلوّ هذا الكلام من أيّ فائدة، وفيه "قال أبو بكر رضي الله عنه حين طرقت سمعه: أشهد أنّ هذا الكلام لم يخرج من بال"[3].

وإن كان قد اعتبره بعض العلماء معارضة وقاموا بنقده، كالخطّابي في رسالته "بيان إعجاز القرآن"، فهو من باب التّجوّز في التّعبير عن كلّ ما ورد في مثل معنى المعارضة. لأنّها –مقولات مسيلمة– "أهون من أن توضع في الميزان، أو يشار إليها في مجال الاحتجاج لإعجاز القرآن من جهة البلاغة. ومجرّد ذكرها في هذا المقام الجليل، ولو للكشف عن سقمها وإسفافها، يرفع شأنها ويعطيها من القيمة ما لا تستحقّ"[4].

وكذلك ما هو واقع من بعض المتأخّرين، وما ينشر فيما سُمّي "الفرقان الحقّ"[5] وغيره؛ فليس له أي قيمة في ميزان النّقد العلمي. وكلامهم أسقط من أن يُلتفَت إليه. وإن كان قد انبهر بهم من انبهر فلم يك ذلك إلّا لبعدهم عن روح الكلام العربي. فظنّوا كلّ مَقول كلاما، وكلّ مسجوع بيانا. ويكفي في إدحاض سَقَطهم ما ذُكر آنفا من أنّ من كانوا في قمّة الفصاحة قد عجزوا عن ذلك، فكان من هو دونهم في الفصاحة أعجز، ولإدراك مواطن إعجازه أبعد.

---

(1) النّكت في إعجاز القرآن، الرّماني أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، تحقيق: محمّد خلف الله و محمّد زغلول سلام، دار المعارف مصر، ط3، 1976م. (ص98).

(2) بيان إعجاز القرآن، الخطّابي أبو سليمان حمد بن محمّد بن إبراهيم بن الخطّاب البستي، تحقيق: محمّد خلف الله، محمّد زغلول سلام، دار المعارف مصر، ط3، 1976م. (ص55).

(3) المصدر السّابق (ص56).

(4) الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق، عائشة بنت الشّاطئ، دار المعارف، القاهرة، ط3. (ص103).

(5) موقع الكلمة.نت: http://www.alkalema.net/furqan/

الفصل الثّاني: مظانّ البحث والدّراسات السّابقة

تمهيد:

إنّ المنشغلين بالتّفسير من الرّعيل الأول إلى زمننا هذا؛ قد اهتموا بالمفردة القرآنيّة، وسرِّ استعمالها، وتفضيلها على غيرها من الكلمات التي يُظنّ أنّها تؤدّي المعنى المراد. فكانت كتب التّفسير بشكل عامّ تتطرّق إلى ذلك في سبيل الوصول إلى معنى المفردة لمعرفة المراد منها؛ فالمرادِ من الآية أو العبارة؛ وبذلك يظهر أنّه لم يكن المقصود الأوّلي هو إبراز تلك الفروق، ولذلك لم تمتلئ كتبهم بمحاولة تجليتها، بل كان إيرادها لزيادة الإيضاح والإفهام. إلى أن برز التّفسير البيانيّ والذي عنى أكثر ما عنى بالمفردة القرآنيّة وإبراز تناسقها مع المعنى المراد، ثم إنّ هذا الاهتمام بالمفردة القرآنيّة وما حوته دقّتها من أسرار وجماليّات؛ قد أفضى لتنوّع الطّرق في إثبات ذلك؛ فمنهم من اهتمّ بالفروق اللّغوية، وما حوته كلّ كلمة من معنى لا تحمله غيرها، ومنهم من طرقها من باب نفي التّرادف في القرآن الكريم. وهنالك قسم آخر اهتمّ بدلالة الألفاظ وراح يناقش دلالة اللّفظ على المعنى المدلول، وأهميّة اللّفظ وارتباطه الوثيق بالمعنى.

فكلّ هذه الدّراسات قد تناولت جانبا من الجوانب المهمّة في دراسة المفردة. فكان الهدف من استعراض هذه الدّراسات السّابقة، هو محاولة التّعريف بالدّراسات التي أتيح الاطّلاع عليها، والتي تناولت الموضوع قيد الدّراسة؛ سواء في جزئيّة من جزئيّاته، أو تطرّقت إلى صلبه، ثمّ تبيين أوجه الأصالة في هذا البحث مقارنة بها. وقد قُسّمت هذه الدّراسات إلى مجموعات روعي فيها التّقارب في الموضوع، كما روعي في كلّ مجموعة التّرتيب الزّمني مستهَلّا بالمتقدّمين فالمتأخّرين.

المبحث الأوّل: كتب الفروق:

المطلب الأوّل: كتاب الفروق اللّغويّة لأبي هلال العسكريّ (ت: 395هـ).

هو كتاب في اللّغة عموما للّغوي أبي هلال العسكري، وهو أوّل ما صُنّف في هذا الباب. وباعتبار أنّ المؤَلَّف صار مرجعا في الفروق، وبما أنّ مؤلِّفه قد أدرج كثيرا من الفروق المنتقاة من القرآن الكريم، فكان وضع الكتاب ضمن الدّراسات التي تحدّثت عن الفروق بين ألفاظ القرآن له سبب وجيه، رغم أنّه توسّع في إثبات الفروق لمفردات أخرى لم يأت لها ذكر في القرآن. ويعتبر كتابه هذا من أوّل ما ألّف في بابه حيث يقول عنه: "ثمّ أنّي ما رأيت نوعا من العلوم وفنّا من الأداب إلا وقد صنّف فيه كتب تجمع أطرافه وتنظّم أصنافه إلّا الكلام في الفرق بين معان تقاربت حتّى أشكل الفرق بينها"[1].

رام من تأليف هذا الكتاب أن يجمع فيه ما يُظَنّ أنه من المترادف بذكر الفروق الدّقيقة بين الألفاظ المتقاربة في المعنى، والتي صار أكثر النّاس لا يفرّقون بينها ويجعلونها بمعنى واحد. واقتصر على الأهم فالمهمّ من الفروق فقال في مقدّمته: "... فعملت كتابي هذا مشتملا على ما تقع الكفاية به من غير إطالة ولا تقصير"[2].

– أولى المفردات القرآنيّة مزيد عناية بل أولى اهتمامه بها بالدّرجة الأولى، كما تطرّق إلى ألفاظ الفقهاء والمتكلّمين وغيرهم[3]. فأتى على كثير من المفردات القرآنيّة المتقاربة المعنى وفصّل فيها القول، كالشّكر والحمد[4]، والهمز واللّمز[5]، والقسم والحلف[6] وغيرها.

---

(1) الفروق اللّغويّة، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: محمّد إبراهيم سليم، دار العلم والثّقافة القاهرة. (ص29).

(2) المصدر السّابق (ص30).

(3) المصدر السّابق (ص30).

(4) المصدر السّابق (ص60).

(5) المصدر السّابق (ص65).

(6) المصدر السّابق (ص68).

- ترك الغريب من الألفاظ لقلّة فائدتها؛ إبقاءً للكتاب على صفة الكفاية[1].

- حوى كتابه ثلاثين بابا بدأه بالرّدّ على القائلين بالتّرادف والانتصار لمذهبه في انتفائه، ثمّ شرع بعد ذلك بإيراد الفروق في الأبواب المتبقيّة.

- استدلّ في إثباته الفروقَ إلى إثبات اختلاف المعاني باختلاف الحركات؛ فيكون من باب أولى أن تختلف المعاني باختلاف اللّفظ[2].

- عوّل على الدّلالة الأصليّة للألفاظ، معتمدا على الاشتقاق وأصل الوضع، وقد يتجاوز الدّلالة اللّغوية إلى اعتبارات أخرى كالدّلالة النّحوية والصّرفية والمنطقيّة والعقليّة[3].

- يتميّز كتابه بقلة الشّواهد أو خلوّ بعض الفروق منها[4].

- يرى بعضُ الدّارسين أنّ كتابه مليء بالتّكلّف، كجعفر الحسيني[5]. وأحمد صلاحية[6] ومثّل بمفردتي "النّأي والبعد"، فأبطل ما أورده العسكريّ في الفرق بينهما وذهب للقول بترادفهما.

المطلب الثّاني: **فروق اللّغات في التّمييز بين مفاد الكلمات** لنور الدّين بن نعمة الله الحسينيّ الجزائريّ (ت: 1158هـ).

يعتبر كتابه وإن كان متأخّرا ثاني أهمّ كتب الفروق بعد فروق العسكري، لعدم وجود من ألّف كتابا مستقلّا في هذا الفنّ بعد أبي هلال، بل كانت مسائل متفرّقة في كتب التّفاسير واللّغة.

---

(1) الفروق اللّغويّة، العسكري (ص30).

(2) المصدر السّابق (ص24).

(3) الفروق اللّغويّة، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، مقدّمة المحقّق: (ص21).

(4) كتفريقه بين النّصيب والحظّ. القروق اللّغويّة (ص165).

(5) ينظر: ظاهرة التّرادف في اللّغة العربيّة وأثرها في الدّراسات القرآنيّة، السّيّد جعفر السّيّد باقر الحسيني. ص32.

(6) تأصيل ظاهرة الفروق اللّغويّة ودراسة الكتب المؤلّفة فيها، أحمد عبد القادر صلاحية، تاريخ الاطّلاع على المقالة: 2020-02-25 من موقع: https://wadod.org/vb/showthread.php?t=6000

يهدف كتابه إلى توضيح المعنى الدّقيق بين مفردتين، ونادرا ما يذكر أكثر من مفردتين كإيراده البدل والثّمن والعوض[1]. وهذا مخالف لصنيع العسكريّ الذي أدخل في الباب كل المفردات المتقاربة في المعنى.

رتّبه على الحروف ويلاحظ فيه أنّه:

- يعتمد على الأوائل من الحروف دون الأواخر.
- في ترتيبه لم يكن يردّ المفردة إلى أصل المادّة فمثلا الفرق بين الابتداع والاختراع ذكره في باب الألف وليس الباء والفرق ين التّسبيح والتّقديس ذكره في باب التّاء. وقد وضّح ذلك في مقدّمة كتابه حتى لا يلتبس على القارئ[2].
- يعتمد أقرب حرف في التّرتيب بين الكلمتين ويضعه في قسم ذلك الحرف كالفرق بين الأمل والطّمع حيث وضعه في قسم الكلمات المبتدأة بالهمزة.[3].
- لا يعتمد على ترتيب الكلمات المبتدأة بالحرف نفسه؛ فالاستطاعة والقدرة بعد الأنعام والنَّعم رغم أنّ ترتيب الحرف الثّاني بعد الهمزة في الاستطاعة الذي هو السّين قبل الحرف الثاني من كلمة الأنعام الذي هو النّون.

– أحيانا يورد شواهد لِما يذهب إليه من القرآن والسّنّة وكلام العرب.

– لم يقف عند المفردات اللّغويّة بل فرّق كذلك بين المصطلحات الفقهيّة والكلاميّة.

– ذكر في نهاية كتابه أنّ المادّة الموجودة هي ما تيسّر له، وإن وقف على فروق أخرى فسيلحقها بالكتاب، حيث يقول: "هذا ما تيسّر لي في هذا الوقت جمعه وإيراده من الفروق، وإن وقفت على غير ذلك فيما بعد ألحقته إن شاء الله تعالى بالكتاب"[4].

---

(1) فروق اللّغات في التّمييز بين مفاد الكلمات (مخطوط) الورقة 5 الجزء ب من ترقيم الي دي أف.

(2)المصدر السّابق، الورقة 5 الجزء ب.

(3) المصدر السّابق، الورقة 9 القسم ب .

(4) المصدر السّابق الورقة 68 قسم ب، أسطر 1، 2، 3.

المطلب الثّالث: شموس العرفان بلغة القرآن. لعبّاس أبو السّعود.

كتاب في الفروق اللّغويّة وضعه المؤلّف لطلّاب اللّغة العربيّة، جعله في إصلاح وتهذيب ما يبدو له من أخطاء يقع فيها كثير من المنتسبين للتّخصّص في اللّغة العربيّة. وعمل فيه على إظهار بعض من الفروق الدّقيقة بين الألفاظ التي لا يمكن الوقوف عليها، إلّا بعد بحث وتنقيب طويل في مراجع اللّغة.

- لم يراع في كتابه ترتيبا ولا منهجا معينا، بل كانت أمثلة متفرّقة.
- وزّع مواضيع كتابه على أبواب أربعة:

● الباب الأوّل: في أخطاء بعض الخاصّة: وهي ملاحظات وتنبيهات على ألفاظ لا تساير قوانين الفصحى؛ فشت عند الخاصّة من النّاس فشوا عظيما، فنبّه عليها وصحّحها[1].

● الباب الثّاني: فيما بين بعض الألفاظ المتقاربة من الفروق: وهي العبارات والألفاظ التي تشابهت مبانيها واختلفت معانيها، وهذا ممّا يثير الالتباس. فنبّه عليها كذلك بغية وضع اللّفظة موضعها، وإعطاء المعنى حقّه[2].

● الباب الثّالث: جعله في بعض ما يؤخذ على مؤلّف القاموس الفيروزآبادي وصاحب هامشه نصر الهوريني، وبعض العلماء، فعقّب على كلامهم، ونقد بعضا من نقولاتهم وآرائهم[3].

● الباب الرّابع: في ألفاظ لها أكثر من معنى: حيث يرى أنّ الفصحى تمتاز بأنّ لبعض ألفاظها أكثر من معنى، وهو يحاول في هذا الباب كشف طائفة منها[4].

- أكثر ما له علاقة بموضوع البحث هو الباب الثّاني:

---

(1) شموس العرفان بلغة القرآن، عبّاس أبو السّعود، دار المعارف، 1980م. (ص09).

(2) المصدر السّابق. (ص135).

(3) المصدر السّابق (ص197).

(4) المصدر السّابق (ص223).

● جعله لقسم الفروق بين الألفاظ المتقاربة في خمسين صفحة ، وتطرّق لأمثلة كثيرة منها أمثلة قرآنيّة؛ كتفريقه بين الميْت والميّت[1]، والتّرجّي والتّمنّي[2]، والحمد والشّكر[3]، والهُون والهَوْن، والبِغاء والبُغاء والبغي،... وغيرها.

● أكثر ما ركّز على الكلمات متقاربة المخارج في التّلفّظ، أو متغيرة حركات أحرفها.

● لا يحيل إلى المصادر والمراجع التي استقى منها ما توصّل إليه من هذه الفروق[4].

المطلب الرّابع: الفروق اللّغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم. لمحمّد بن عبد الرّحمن الشّايع

هو كتاب في الفروق اللّغويّة من تأليف محمّد بن محمّد بن عبد الرّحمن بن صالح الشّايع الأستاذ المشارك في قسم القرآن الكريم وعلومه بجامعة الإمام بالرّياض.

هدف في كتابه إلى تحديد دلالات الألفاظ تحديدا دقيقا، ومعرفة الفروق الدّقيقة بين الألفاظ التي يُظنّ فيها التّرادف بدراسة هذه الظّاهرة في اللّغة العربيّة، لما لها من فائدة في فهم كتاب الله وسنّة نبيّه، كما أنّها مفيدة في فهم باقي نصوص العربيّة الصّحيحة الفصيحة.

قسّم كتابه على ثلاثة أبواب، ولكلّ باب ثلاثة فصول:

- تكلّم في الباب الأوّل حول قضيّة التّرادف والفروق عند علماء العربيّة، فقام بتعريف التّرادف وقارن بين تعريفات المتقدّمين والمتأخّرين، ثم تحدّث عن مذهب القائلين بالتّرادف، ومذهب القائلين بالفروق وأدلّتهم.

- أمّا الباب الثّاني فكان حول التّرادف والفروق عند الأصوليّين، وإنّما خصّهم بباب مستقل لما للأصوليّين من مباحث كثيرة ودقيقة في ميدان اللّغة، حيث اهتمّوا بتحديد مدلولات الألفاظ.

---

(1) شموس العرفان بلغة القرآن، عبّاس أبو السّعود، (ص139).

(2) المصدر السّابق (ص141).

(3) المصدر السّابق (ص142).

(4) وهو ملاحظ في مسائل الكتاب المدروس.

– وجاء الباب الثّالث مركّزا على مسألة التّرادف في القرآن الكريم،والقائلين بوجوده في القرآن، والنّافين لذلك، ثمّ القائلين بمنع التّرادف والقائلين بالفروق عند علماء التّفسير، مع دراسة لبعض الأمثلة القرآنيّة.

– تحدّث بالتّفصيل عن مسألة التّرادف عند كلّ طائفة، وبيّن القائلين به ثمّ المانعين وأدلّة أصحاب كلّ رأي.

– أفرد لأسباب وقوع التّرادف مبحثا كاملا.

– ذكر أنّ عمله في الجانب التّطبيقيّ أنّه يورد بعض المفردات التي قيل بترادفها؛ ثم ينقضه بالاحتكام إلى الأسلوب القرآني[1].

– كلّ الأمثلة التي أتى بها من القرآن، كالحمد والشّكر[2]، والرّيب والشّك[3]، والحلف والقسم[4]، والشّرعة والمنهاج[5]، والقعود والجلوس[6]، وغيرها كثير. فيلاحظ أنّه سار في الجانب التّطبيقي على الخطّة التي وضعها لنفسه وتقيّد بها.

– لم يراع أسلوبا محدّدا في اختيار المفردات فكانت عبارة عن أمثلة متنوّعة.

المطلب الخامس: دقائق الفروق اللّغوية في البيان القرآني. لمحمّد ياس خضر الدّوري.

هي رسالة علميّة كجزء من متطلّبات درجة دكتوراه فلسفة في اللّغة العربيّة لمحمّد ياس خضر الدّوري، تحت إشراف الدّكتور: خليل بنيان الحسون، لعام 2005م.

---

(1) الفروق اللّغويّة وأثرها في تفسير القرآن الكريم، محمّد بن عبد الرّحمن بن صالح الشّايع، مكتبة العبيكان الرّياض، ط1، 1414هـ – 1993م. (ص10).

(2) المصدر السّابق (ص215).

(3) المصدر السّابق (ص227).

(4) المصدر السّابق (ص238).

(5) المصدر السّابق (ص244).

(6) المصدر السّابق (ص285).

ركّز على أهمّيّة المفردة القرآنيّة، والرّدّ على القائلين بالتّرادف في القرآن، وتوجيه كثير من الألفاظ المتقاربة المعنى والتّفريق بينها.

- قسّم كتابه إلى أربعة فصول:

● أثر الفروق اللّغوية في التّعبير القرآني: تكلّم فيه عن مفهوم الفرق اللّغوي وتطرّق لمسألة التّرادف ثم ثنّى بنظريّة السّياق وأثرها في كشف الفروق.

● فروق الألفاظ: حيث بدأ الجانب التّطبيقي واستهلّه بالفروق في الألفاظ، وقسّمها من حيث أسماء الذّوات، والصّفات، والأحداث وما يصدر عنها.

● فروق الأبنية: تناول الفروق من جهة بناء الكلمة، فبدأ بأبنية الأفعال، ثمّ الأسماء، فأبنية الجموع. وهو في كلّ قسم يأتي بأمثلة وتقسيمات فرعيّة تدخل تحت العناوين الجامعة لكلّ قسم.

● فروق الألفاظ المتقاربة الأصوات: تناول فيها:

- الألفاظ المتقاربة الحروف كالهزّ والأزّ[1].
- ثنّى بالألفاظ المتباعدة الأصوات كالتجسّس والتّحسّس[2].
- انتقل إلى الفروق بين الألفاظ المتغايرة الحركات كالسِّلْم والسَّلْم والسَّلَم[3].
- تطرّق إلى فروق الألفاظ المتعاقبة بين الواو والياء، وقسّمها إلى:

أ- الأسماء: كالصّوم والصّيام[4]، والعتوّ والعتيّ[5].

ب- الأفعال: كغاث من الغوث، وغاث من الغيث[6].

---

(1) دقائق الفروق اللّغويّة في البيان القرآني، محمّد ياس خضر الدّوري، دار الكتب العلميّة بيروت.(ص282).

(2) المصدر السّابق (ص294).

(3) المصدر السّابق (ص300).

(4) المصدر السّابق (ص308).

(5) المصدر السّابق (ص309).

(6) المصدر السّابق (ص310).

المبحث الثاني: كتب التّرادف

وهي الكتب التي جعلت مسألة التّرادف موضوع بحثها، وكان تداخل هذا النّوع من التّأليف مع ما نحن بصدد دراسته من جهتين:

- إمّا دراسة موضوعيّة تورد القائلين بالتّرادف والأمثلة التي استدلّوا بها على مذهبهم، ثمّ القائلين بانتفائه والأمثلة التي استدلّوا بها على نفيهم. وكثير من الأمثلة المذكورة لمنكري التّرادف وإثبات الفروق إنما استمدّوها من القرآن.
- وإمّا دراسة تنتصر لمذهب القائلين بانتفاء الترادف إذ نجد أغلب ما يستدلّون به على توجّههم إنّما هي المفردات التي ظاهرها التّرادف؛ وخاصّة من القرآن الذي هو ميدان خصب لاستخراج مثل هذه الأمثلة.

لأجل ذلك كان ذكر بعض مؤلفات هذا الفنّ كنوع من الدّراسات السّابقة له ما يعضده ويدعمه. وسيكون الاختيار مقيّدا قدر الإمكان بالتّآليف المكثرة من الأمثلة القرآنيّة، أو بأهمّيّة المؤلَّف في السّاحة العلميّة.

المطلب الأوّل: في اللّهجات العربيّة. لإبراهيم أنيس.

كتاب في اللّهجات العربيّة؛ جمع فيه مؤلّفه إبراهيم أنيس الكثير من شواردها ورواياتها، مستقاة من المعاجم كلسان العرب لابن منظور، والمخصّص لابن سيده، وبوّبها ونظمها على ضوء النّظريّات الصّوتيّة الحديثة. وقد تطرّق في كتابه إلى قضيّة التّرادف، وهو وإن لم يتوسّع فيها، إلّا أنّ مكانته عند علماء العربيّة، ولأنّه جعل رأيه شاملا للقرآن ومثّل لذلك منه؛ فقد صار رأيه مهمّا وكثيرا ما يرجع إليه الباحثون في مسألة التّرادف.

هدف في الجزء الخاصّ بمسألة التّرادف إلى إبراز وجهة نظره بأنّ التّرادف موجود في اللّغة العربيّة وفي القرآن وفق شروط وضوابط، وحاول الانتصار لهذا القول بعد أن بيّن آراء العلماء السّابقين، واستدلّ على رأيه بأمثلة من القرآن الكريم.

– جعل الفصل السّادس من كتابه خاصا بالتّرادف والمشترك اللّفظي والتّضاد.

– ذكر أنّ علماء القرن الثّاني كانوا مسلّمين بقضيّة التّرادف، ثمّ في أواخر القرن الثّالث بدأ بعض علماءه كثعلب يلتمسون فروقا بين الكلمات التي عدّها من سبقهم من قبيل المترادف، ثمّ انتهى ذلك إلى إيراد الخلاف بين علماء اللّغة في فكرة التّرادف بين منكرين ومثبتين[1].

– ذهب إلى أنّ منكري التّرادف يلتمسون فروقا دقيقة بين معاني الكلمات لا تخلو في بعض الأحيان من التّكلّف والتّعسّف.

– يرى أنّ مثبتي التّرادف قد وقع لدى كثيرٍ منهم غلوّ في رأيهم إلى حدّ أن سمحوا بمئات الكلمات للمعنى الواحد في بعض الأحيان[2].

– يتّبع الأصفهانيّ في إثبات التّرادف أن يكون اللّفظان من بيئة واحدة[3]، أمّا إذا كانت البيئتان مختلفتين فلا مجال للحديث عن التّرادف أصلا.

– يتردّد في قبول قصّة أبي هريرة التي تناولت كلمتي المدية والسّكين وأنّ قومه لم يكونوا يطلقون عليها إلّا تسمية المُدية[4]، والقصّة كما أوردها لم يوقف عليها في كتب الحديث، لكن قصّة عدم معرفة أبي هريرة للفظ السّكين، وأنّ قومه يطلقون عليها "المدية" مثبَتة في الصّحيحين[5].

---

(1) في اللّهجات العربيّة، إبراهيم أنيس، مطبعة لجنة البيان العربي، ط2، 1952م. ط2 (ص162).

(2) المصدر السّابق (ص162).

(3) المصدر السّابق (ص163).

(4) المصدر السّابق (ص164).

(5) من حديث أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: "كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذّئب فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنّما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسّكين أشقّه بينهما، فقالت الصّغرى: لا تفعل يرحمك الله، هو ابنها، فقضى به للصّغرى" قال أبو هريرة: والله إن سمعت بالسّكين إلّا يومئذ، وما كنّا نقول إلّا المدية" صحيح البخاري، أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمّد زهير النّاصر، دار طوق النّجاة، ط1، 1422هـ. كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: "ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنّه أوّاب (162/4). صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجّاج القشيري النّيسابوري، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، كتاب الأقضية، باب بيان اختلاف المجتهدين: (1344/3). واللّفظ للبخاري.

– أرجع السّر في إنكار التّرادف أنّ أصحاب هذا الرّأي كانوا من الاشتقاقيّين؛ فأسرفوا في إرجاع كلّ كلمة من كلمات اللّغة إلى أصل اشتُقّت منه[1].

– يثبت التّرادف في بعض ألفاظ القرآن الكريم، ويعيب على بعض المفسّرين الذين يلتمسون في كل لفظ من ألفاظه شيئا لا يرونه في نظرائه من الألفاظ الأخرى.

– ساق بعض الأمثلة[2] التي يراها تبرهن على صحّة ما ذهب إليه من وقوع التّرادف في القرآن منها:

- ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾[3] ﴿وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[4]
- ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾[5] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾[6].
- ﴿ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا﴾[7]، ﴿فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا﴾[8].
- ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾[9]، ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[10]

المطلب الثّاني: من الإعجاز اللّغوي: أسرار التّرادف في القرآن الكريم.

كتاب من تأليف عليّ اليمنيّ دردير. تحدّث فيه عن قضيّة الإعجاز في القرآن الكريم وخصّ بالذّكر الإعجاز اللّغوي؛ الذي يأتي في مقدّمة جوانب الإعجاز. وجعل الكلمة هي ميدان دراسته، بتطرّقه لقضيّة التّرادف في القرآن الكريم.

---

(1) في اللّهجات العربيّة، إبراهيم أنيس (ص168).

(2) المصدر السّابق (ص168).

(3) يوسف: 91.

(4) البقرة: 47. البقرة: 122.

(5) النّساء: 18. وفي النّسخة "أحدكم" وهو خطأ مطبعي.

(6) الأنعام: 61.

(7) آل عمران: 164.

(8) المؤمنون: 32.

(9) البقرة: 54. وفي النّسخة "إلى الله بارئكم" وهو خطأ مطبعي.

(10) الرّعد: 16.

تطرّق لجانب من جوانب إعجاز القرآن، من خلال إثبات إعجازه اللّغوي، عن طريق نفي التّرادف في القرآن الكريم.

- تحدّث عن قضيّة التّرادف في اللّغة[1] فَالقرآنِ[2]، وذكر في كلّ قسم القائلين بوجوده والنّافين لذلك، وانتهى إلى القول بعدم وقوع التّرادف في القرآن، وأنّه غير وارد على الإطلاق.

- تناول قضيّة التّأكيد بالمرادف، ومثّل للقائلين بوقوع التّرادف بقصد التّأكيد بالزّركشي في برهانه، وأتى بشواهد من كتابه كقوله تعالى: "فجاجا سبلا" و"ضيّقا حرجا" وعقّب على الزّركشي في اضطرابه من قضيّة التّرادف إذ يثبتها هنا وينكرها في مواضع أخَر، ثم اعتذر له في ذلك بأنّ كتابه اهتم فيه بجمع آراء العلماء دون الفصل فيها[3].

- عرّج بعد ذلك على قضيّة عطف المترادفات، وذكر من انتصر لها ومن ردّها، وساق أمثلة لها، وبيّن اختلافات في بعضها[4].

- تطرّق إلى مسألة المترادف في المتشابهات، وحاول كشف أسرار بعضها؛ كانفجر وانبجس، وختم وطبع، والنّصيب والكفيل، وهمد وخشع[5].

- تحدّث عن ترادف الأسماء، وبدأ بأسماء القرآن وركّز على ثلاثة منها وهي: القرآن والفرقان والكتاب، كما تحدّث عن اسمي النّبي ﷺ المذكورَين في القرآن وهما: محمّد وأحمد. ومثله أسماء عيسى عليه السّلام وهي: المسيح وعيسى وابن مريم وبيّن أنّ لكلّ اسم دلالته الخاصّة.

- ذكر الكلمات المتقاربة المعنى، والتي أتت كلّ لفظة منها في موضع دون غيره؛ مراعاة للمعنى حسب مايقتضيه المقام؛ كالكذب[6] وما يدور في معناه؛ كالخرص والإفك والزّور والبهتان

---

(1) من الإعجاز اللّغوي: أسرار التّرادف في القرآن الكريم، علي اليمني دردير، دار ابن حنظل، 1405هـ – 1985م. (ص11).

(2) المصدر السّابق (ص17).

(3) المصدر السّابق (ص25).

(4) المصدر السّابق (ص41).

(5) وقع المؤلّف في سهو حين ذكر جملة أنّها من القرآن وليست كذلك، إذ قال: "همد القوم أي ماتوا، ومنه في القرآن كما همدت ثمود". من الإعجاز اللّغوي: أسرار التّرادف في القرآن الكريم، (ص75).

(6) من الإعجاز اللّغوي: أسرار التّرادف في القرآن الكريم، علي اليمني دردير (ص103).

والإفتراء والاختلاق. وكذلك السَّنة[1] وما يدور في معناها؛ كالعام والحجة والحول، ووضّح مناسبة كل كلمة لمقامها.

المطلب الثّالث: التّرادف في القرآن الكريم بين النّظرية والتّطبيق.

كتاب من تأليف محمّد نور الدّين المنجد، تعرّض فيه لمسألة التّرادف في القرآن الكريم، محاولا الجمع بين جانبي القضيّة نظريّا بالتّطرّق لمذاهب العلماء وترجيحه في المسألة، وتطبيقيّا بالتّمثيل للنّظريّة من القرآن الكريم.

عمل على إرساء قواعد في الجزء النّظري يستدلّ فيه على مسألة التّرادف في القرآن الكريم وينتصر فيه للقول بعدم وجود التّرادف، وفي الجانب التّطبيقي حاول إثبات ما توصّل إليه بالتّمثيل من مفردات القرآن التي يُدَّعى فيها التّرادف.

- حوى كتابه بابين:

- **الباب الأوّل:**

- جعله للجانب النّظري، وعرّف فيه التّرادف، كما نبّه على جهود وآراء السّابقين حول ظاهرة التّرادف؛ بين المثبتين والمنكرين، وبين القدامى والمحدثين، كما عدّد أسباب التّرادف عند القائلين به، وآثاره مقسّمة إلى إيجابيّة وسلبيّة.

- لم يقتصر عند إيراده آراء السّابقين على المتكلّمين عن قضيّة التّرادف في القرآن، بل توسّع إلى غيرهم كاللّغويين والأصوليّين والمناطقة[2].

- **الباب الثّاني:**

- خصّصه لأمثلة من المفردات القرآنيّة؛ بلغت ثمانية عشر مجموعة، كلّ مجموعة تحوي كلمتين فأكثر على حسب تقاربها في المعنى.

---

(1) من الإعجاز اللّغوي: أسرار التّرادف في القرآن الكريم، علي اليمني دردير (ص117).

(2) التّرادف في القرآن الكريم بين النّظرية والتّطبيق، محمّد نور الدّين المنجد، دار الفكر بيروت – دار الفكر دمشق، ط1، 1417هـ – 1997م.(ص93).

- أحيانا لا يكتفي بالكلمات المتقاربة في المعنى بل يتجاوزها ليضيف إليها كلّ ما ورد في ذلك المعنى الأصليّ المذكور. ويأتي بكلمات أخرى إنّما فسّرت بالمعنى الأصلي بالتّأويل أو بالاستعارة، كإيراده كلّا من: إمام، رقيم، مسطور، سفر، قط، كتاب، لوح في معنى متقارب ثم يأخذ في ذكر الفروق بينها[1].

المطلب الرّابع: التّرادف في القرآن الكريم.

مقالة للباحث عثمان محمّد غريب بمجلّة النّور للدّراسات الحضاريّة والفكريّة. ناقش فيها الباحث قضيّة التّرادف، مستندا لأقوال العلماء، ناقلا آراء المثبتين والنّافين، معترفا بوقوع الاختلاف في المسألة بين المفسّرين، محاولا ترجيح ما رآه الأصحّ والأصوب.

انتصر للقول بأنّ وقوع التّرادف في اللّغة وارد لكنّه نادر، وانتفاءه كلّيّا من القرآن، وإثبات أنّ القرآن معجز، وإذ هو كذلك فهو يؤكّد على أنّه لا توجد لفظة أو عبارة تحلّ محلّ أخرى.

- ناقش فيها مسألة التّرادف في اللّغة والقرآن بعد أن عرّفه.
- أتى بأقوال علماء اللّغة حول التّرادف.
- يرى أن التّرادف واقع ولكنّه نادر في اللّغة وغير وارد في القرآن[2].
- أتى بأمثلة الكلمات التي اتّصلت بها الياء في بعض المواضع، ولم تتّصل في مواضع أخَر، كالمهتد والمهتدي واتّبعني اتّبعن[3].
- انتقل إلى الدّقّة في الرّسم القرآنيّ ككتابة امرأة و امرأت، ووجّه ذلك. كما زاد على الأوجه المذكورة أنّ امرأت -بالتّاء المفتوحة- جاءت على لغة طي[4].
- توسّع في كلمة الرّبا وركّز على كتابتها بالواو (ربوا).

---

(1) التّرادف في القرآن الكريم بين النّظرية والتّطبيق، محمّد المنجد (ص175).

(2) مقالة التّرادف في القرآن، عثمان محمّد غريب، مجلّة النّور للدّراسات الحضاريّة والفكريّة السّنة السّادسة يوليو 2015 العدد 12، الصّفحات [08 - 45]. (ص23).

(3) المصدر السّابق (ص25).

(4) المصدر السّابق (ص26).

– تطرّق إلى الإعجاز العدديّ وتوسّع في مثال سورة نوح وأنّ عدد حروفها 950 حرفا مرسوما[1] وهو ما يؤكّد آية سورة العنكبوت ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[2].

– مثّل لقضيّة عدم وجود التّرادف في القرآن ببعض الأمثلة: كالعدل والقسط[3]، واللّباس والثّياب[4]، والخالد والمخلّد[5]، وغيرها.

– وعلى العموم لم يركّز على نقض التّرادف في الكلمات المتقاربة المعنى في القرآن؛ إلّا في أمثلة قليلة في الجزء الأخير من مقالته في خفاء الفروق بين الألفاظ وعلاقته بالتّرادف، وإن كان قد أفاد في الأمثلة الدّالة على الدّقة في اختيار الألفاظ والحروف والرّسم والزّيادة في الكلمات وإضافة بعض الأحرف: كلامِ التّأكيد في الحضّ على الصّبر في قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[6]، والإعجاز العدديّ وغيرها.

المطلب الخامس: نفي ترادف ألفاظ القرآن الكريم.

مقالة للباحث تومان غازي حسين في مجلّة اللّغة العربية وآدابها بالعراق العدد 14، بتاريخ 30 حزيران 2012، بين الصّفحات [375- 412].

ردّ على أحمد مختار عمر القائل بترادف بعض ألفاظ القرآن الكريم، لأنّ رأيه سيكون له خطورة باعتباره أحد علماء اللّغة اللّامعين [7].

---

(1) مقالة التّرادف في القرآن، عثمان محمّد غريب (ص31).

(2) العنكبوت: 14

(3) مقالة التّرادف في القرآن الكريم، عثمان غريب (ص34).

(4) المصدر السّابق (ص35).

(5) المصدر السّابق (ص37).

(6) الشّورى: 43

(7) نفي ترادف ألفاظ القرآن الكريم ردّا على الدّكتور أحمد مختار عمر القائل بترادف بعضها، تومان غازي حسين، مجلّة اللّغة العربيّة وآدابها، السّنة 2012م، الإصدار 14، المجلّد، الصّفحات [373 - 412]. (ص375).

– سعى في بحثه إلى تبيان شيء من أسرار التّنزيل على مستوى اختيار المفردات لمعانيها الدّقيقة التي تفصلها عن نظيراتها في المعنى.

– ذكر مفهوم التّرادف وآراء العلماء فيه، وحججهم وأدلّتهم، وهو صنيع جلّ من كتب في التّرادف[1].

– وضّح أنّه يمكن بحث التّرادف في اللّغة بمعزل عن بحثها في القرآن الكريم، وبذلك تكون نتائج كل بحث مقتصرة على موضوع الدّراسة غير قابلة للتّعميم. فتبقى نتائج كلّ بحث صالحة للحيّز الذي درسَتْه لا تتعدّاه، فلا يكون إذ ذاك ترابط بينهما، ويجوز حينئذ إثبات التّرادف في اللّغة وإنكاره في القرآن[2].

– أتى بأمثلة ادّعى فيها أحمد مختار عمر التّرادف، فردّ على المؤلّف وفنّدها ووضّح الفرق بينها وبين المفردات التي لم توضع مكانها، وبيّن أنّ الكلمة المختارة هي الأَولى بالمعنى المراد؛ ولا غنى عنها إلى غيرها من الألفاظ المتقاربة في المعنى. من ذلك: آثر وفضّل[3]، وأرسل وبعث[4]، وأتى وجاء وحضر[5]، وحجرة وغرفة[6].

– ختم بحثه بنتيجة أنّ ما يراه البعض أنّه ترادف ظاهري في النّص القرآنيّ؛ إنّما هو أحد مستويات الإعجاز، لأنّه يمثّل الاختيار الأسلوبي للمفردات لدقّة معانيها المواكبة للسّياقات النّصّيّة والمقاميّة المختلفة[7].

---

(1) نفي ترادف ألفاظ القرآن الكريم، تومان غازي (ص375).

(2) المصدر السّابق (ص383).

(3) المصدر السّابق (ص388).

(4) المصدر السّابق (ص391).

(5) المصدر السّابق (ص393).

(6) المصدر السّابق (ص398).

(7) المصدر السّابق (ص400).

المبحث الثّالث: كتب في الاعجاز وعلوم القرآن

المطلب الأوّل: بيان إعجاز القرآن. للخطّابي (ت:388هـ).

ويعتبر كتابه هذا من الكتب المهمّة التي تحدّثت عن مسألة الإعجاز القرآني، والبلاغة القرآنيّة خصوصا، حيث تطرّقت للعديد من القضايا البلاغيّة التي أثبت بها المؤلّف إعجاز القرآن الكريم.

هدف إلى إثبات إعجاز القرآن؛ خاصّة في جانبه البلاغي الذي يراه من أهمّ دلائل إعجازه، والردّ على المعارضات والشّبه التي حاولت الطّعن في البلاغة والاختيار القرآنيّ للمفردات والتّعابير.

- بدأ بإثبات عجز العرب عن التحدّي، ذلك أنّهم بأفرادهم لا يحيطون بألفاظ اللّغة، وأنّ أفهامهم لا تدرك جميع المعاني التي يحملها تلك اللّفظ، وليس لهم معرفة تامّة بجميع أنواع النّظم[1].
- عدّد أوجه إعجاز القرآن.
- ألمح إلى قضيّة النّظم فجعل عناصر الكلام ثلاثة[2]: لفظ حامل، معنى به قائم، رباط لهما ناظم.
- رغم تلميحه لقضيّة النّظم إلّا أنّ تركيزه على المفردة واضح في كتابه، إذ جعله الشّرط الأوّل في عناصر الكلام ليستقيم، وعبّر عنه بلفظ حامل، ثمّ قال: "وإذا تأمّلت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشّرف والفضيلة حتّى لا ترى شيئا من الألفاظ، أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه..."[3].
- اهتمّ بدقّة اختيار الألفاظ وفرّق بين كثير من الكلمات التي يُظنّ فيها التّرادف كالفرق بين الشّحّ والبخل[4]، والعتق وفكّ الرّقبة[5]، وغيرها.

---

(1) بيان اعجاز القرآن، الخطّابي (ص 26-27).
(2) المصدر السّابق (ص27).
(3) المصدر السّابق (ص27).
(4) المصدر السّابق (ص30).
(5) المصدر السّابق (ص33)

– ردّ على بعض الشّبهات التي تحاول الطّعن في الاختيار القرآني للمفردة دون غيرها، منها:

● الدّقة في قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ﴾[1]، ردّا على من قال أنّ التّعبير بالإفتراس أولى، لأنّ هذا الأخير وصف خاصّ بالسّباع[2]، والأكل عامّ لجميع الحيوانات.

● الدّقة في التّعبير في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ﴾[3]، فمنهم من قال بأنّ لفظة "يسير" غير متوافقة مع الكيل في كلام العرب، والمنكرون تعلّقوا بذلك وأنّها إن وردت فهي بمعنى العدد والكمّية لا فيما هو متيسّر وسهل. فردّ عليهم وبيّن خطأهم ووجّه التّعبير القرآني في ذلك من كلام العرب، وبيّن أنّ منتهى الدّقّة في ذلك المعنى هي تلك اللّفظة دون غيرها[4].

● الدّقّة في التّعبير بفعل الزّكاة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾[5]، ردّا على من جعل التّعبير مخالفا للكلام العربيّ الذي لم يرِد أنّه عُبِّر فيه بفعل الزّكاة[6].

– يذكر بعض المعارضات الواهية كالتي كانت من مسيلمة وغيره، وبيّن أنّها لا تتوفّر على شروط المعارضة وأُسسِها فضلا عن أن تصل لدرجة المقارنة بينها وبين كلام الله[7].

المطلب الثّاني: **المفردات في غريب القرآن**. للرّاغب الأصفهاني.(ت: 502هـ)

كتاب في مفردات القرآن، يصنّفه العلماء ضمن كتب غريب القرآن، عنى فيه المؤلّف بدلالات الألفاظ، وامتاز فيه بالدّقّة والإسهاب في شرحها. وجعله على التّرتيب الألف بائي[8].

---

(1) يوسف: 17.

(2) بيان إعجاز القرآن، الخطّابي (ص38 و 41).

(3) يوسف: 65.

(4) بيان إعجاز القرآن، الخطّابي (38، 42، 43).

(5) المؤمنون: 4.

(6) بيان إعجاز القرآن، الخطّابي (38و 44).

(7) المصدر السّابق (55-56).

(8) أنواع التّصنيف المتعلّقة بتفسير القرآن الكريم، مساعد بن سليمان الطّيّار، دار ابن الجوزي، الرّياض، ط2، 1423هـ (ص87).

عمل على فصل القول في معاني كثير من المفردات القرآنيّة، مراعيا في ذلك معنى المفردة الحقيقي، وإتباعها بما اشتقّ منها، والمعاني المجازيّة للمادّة، ويبيّن مدى ارتباطها بالمعنى الحقيقي، مستشهدا بالقرآن أوّلا ثمّ بالحديث ثانيا، ثمّ بأشعار العرب وأقوالهم[1].

لقد كان أثر الاهتمام بالمفردة عند الأصفهانيّ واضحا جليّا، وجعل ذلك من أوائل ما يجب أن تصرف إليه الأفهام فقال: "أوّل ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللّفظيّة، ومن العلوم اللّفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه"[2]. ثمّ أوضح أنّ أهمّية الألفاظ ليست مقتصرة على الدّراسات المتخصّصة في علوم القرآن بل تتعدّى ذلك إلى غيرها من علوم الشّرع فقال: "...فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذّاق الشّعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم"[3].

عزم على تأليف كتاب يبيّن فيه سبب اختيار كلّ مفردة فقال: "وأتبع هذا الكتاب- إن شاء الله تعالى ونسأ في الأجل- بكتاب ينبئ عن تحقيق «الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، وما بينها من الفروق الغامضة» ، فبذلك يعرف اختصاص كلّ خبر بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من أخواته"[4]، وأتى بأمثلة بها فروق قد خفيت على كثير من أهل العلم، وقال أنّهم بتفسيرهم مفردة بأخرى يظنّون أنهم قد فسّروا القرآن ووفّوه التّبيان!. ومن الأمثلة[5] التي ذكرها:

- القلب والفؤاد والصّدر.
- الحمد لله والشّكر لله.
- لا ريب فيه ولا شكّ فيه.

---

(1) المفردات، الأصفهاني (ص19).
(2) المصدر السّابق (ص54).
(3) المصدر السّابق (ص55).
(4) المصدر السّابق (ص55_56).
(5) المصدر السّابق (ص55-56).

- خواتم بعض الآيات: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1]، وفي أخرى: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، وفي أخرى: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[3]، وفي أخرى: ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[4]، وفي أخرى: ﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[5]، وفي أخرى: ﴿لِّذِي حِجْرٍ﴾[6]، وفي أخرى: ﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾[7]

والله أعلم هل ألّف كتابه هذا وفُقد، أم لم ينسئ الله في أجله فأدركته المنيّة قبل أن يؤلّفه؟!.

وهذه بعض الأمثلة من كتابه "المفردات" التي تدلّ على اهتمامه بالمفردة:

- "الاختيان: مراودة الخيانة، ولم يقل: تخونون أنفسكم، لأنّه لم تكن منهم الخيانة، بل كان منهم الاختيان، فإن الاختيان تحرّك شهوة الإنسان لتحرّي الخيانة"[8].

- "يقال: جزيته بكذا وجازيته، ولم يجئ في القرآن إلا جزى دون جازى، وذاك أن المجازاة هي المكافأة، وهي المقابلة من كل واحد من الرّجلين، والمكافأة هي: مقابلة نعمة بنعمة هي كفؤها. ونعمة الله تتعالى عن ذلك، ولهذا لا يستعمل لفظ المكافأة في الله عز وجل"[9].

- "الفرق بين الحرام والبسل أن الحرام عامّ فيما كان ممنوعا منه بالحكم والقهر، والبسل هو الممنوع منه بالقهر، قال عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ﴾[10] أي: حرموا الثّواب"[11].

---

(1) الرّوم: 37.
(2) يونس: 24.
(3) البقرة: 230.
(4) الأنعام: 98.
(5) آل عمران: 13.
(6) الفجر: 05.
(7) طه: 54.
(8) المفردات، الأصفهاني (ص305).
(9) المصدر السّابق (ص195-196).
(10) الأنعام: 70.
(11) المفردات، الأصفهاني (ص123).

المطلب الثّالث: إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة. للرّافعي (ت: 1356هـ).

ويمثّل الجزءَ الثّاني من كتاب تاريخ آداب العرب. قدّم الكاتب فيه رأيه بخصوص قضيّة الإعجاز القرآني، وكذلك البلاغة النّبويّة؛ التي تأتي في المرتبة الثّانية في درجات البلاغة بعد القرآن الكريم مباشرة، وقبل كلّ الكلام العربيّ الآخر.

هدف من كتابه -في جزء إعجاز القرآن- إلى إبراز حقيقة وجه الإعجاز، ومحاولة ذكر ما أمكن من وجوه الإعجاز، مركّزا على بلاغة القرآن ونظمه وأسلوبه.

- جعل كتابه في قسمين: الأوّل: لإعجاز القرآن، والثّاني: للبلاغة النّبويّة.
- تكلّم عن قضايا متعدّدة ومتفرّقة من القرآن.
- ذكر أوجه الإعجاز في القرآن وركّز على نظم القرآن، وأعطى لكلّ من الحروف وأصواتها، والكلمات وحروفها، والجمل وكلماتها نصيبا من الدّراسة وبيّن وجه الإعجاز في كلّ منها.
- أتى على ذكر بعض الكلمات التي يُظنّ أنّها زائدة، ووضّح أنْ لو حُذفت من الكلام لذهب الكثير من حسنه ورونقه، فتبيّن بذلك أن قول علماء النّحو بأنّها زائدة إنّما هي من جهة الإعراب لا المعنى[1].
- تناول بعض الكلمات التي ظاهر حالها أنّها ثقيلة على اللّسان، لا يظهر عليها أنّها تحوي شيئا من رونق البيان، فإذا بها وقد أتى بها القرآن ارتقت وصارت قمّة في البيان، ككلمة "النّذر" في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ﴾[2]؛ وكيف مُهّدت لها الطّريق لتكون سهلة ليّنة على اللّسان[3]، ومثلُ ذلك الكلمات التي حوت أطول عدد حروف ككلمة "يستخلفكم" في قوله تعالى: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، الرّافعي (ص159).
(2) القمر: 36.
(3) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، الرّافعي (ص157).

ٱلْأَرْضِ﴾[1]، وكلمة "فسيكفيكهم" في قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾[2]، وانتقل بعد ذلك إلى لفظة غريبة حتى أنّه وصفها أنّها أغرب ما في القرآن وما حسُنت في كلام قطّ؛ وهي كلمة "ضيزى" في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾[3] فإذا باللّفظة تتحوّل لتكون أفصح ما يؤدّي المعنى المراد، وأحسن ما ينظم من الألفاظ على غرابتها الملائمة لغرابة القسمة المذكورة في الآيات قبلها[4].

المطلب الرّابع: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، لعائشة عبد الرّحمن المعروفة ببنت الشّاطئ (ت:1968م)

تطرّقت فيه الباحثة لقضيّة الإعجاز البياني في محاولة منهجيّة لفهم عجز المتحَدّين عن الإتيان بسورة من مثل القرآن.

هدفت الباحثة من كتابها إلى إبراز وجه مهمّ من أوجه الإعجاز القرآني المتمثّل في الإعجاز البياني، ودعّمت ذلك بجانب تطبيقيّ، تناولت فيه فواتح السّور، وسرّ الحرف، ودلالات الألفاظ، وسرّ الكلمة والأساليب، وسرّ التّعبير.

- اهتمّت بقضيّة الإعجاز البيانيّ في القرآن الكريم، وركّزت على دلالات الألفاظ وسرّ الكلمة[5].

- افتتحت كتابها بمبحث تمهيدي تحدّثت فيه عن وجوه الإعجاز وبسطت القول فيها وبيّنت رأيها فيه.

---

(1) الأعراف: 129.

(2) البقرة: 137.

(3) النّجم: 22.

(4) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، الرّافعي (ص158).

(5) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة بنت الشّاطئ (ص209).

– تطرّقت إلى جهود العلماء السّابقين وطريقة معالجتهم مسألة الإعجاز البيانيّ كما قامت بنقدهم في ذلك[1].

– أكثر ما اهتمّت به هو دلالات الألفاظ وسرّ الكلمة القرآنيّة. بدأته بالكلام حول مسألة التّرادف بين المثبتين والمنكرين، ثم انتقلت بعد ذلك إلى جمع من الكلمات التي يُظنّ فيها التّرادف ودرستها وحلّلتها، مهتدية بالقرآن حيث جعلته هو الحكَم للفصل في ذلك، لتصل أنّه لا ترادف في القرآن[2].

– ذكرت مسائل متعلّقة بالأسلوب وأسرار التّعبير القرآنيّ المعجز.

– خصّصت الجزء الثّاني لدراسة مسائل سُمّيت بمسائل ابن الأزرق، وهي مجموعة من الكلمات القرآنيّة سأل فيها نافع بن الأزرق عبدَ الله بن عبّاس رضي الله عنهما وطلب إليه في تفسير كلّ مسألة منها أن يأتي بشاهد له من كلام العرب.

– تناولت قضيّةَ الكلمات التي يُظنّ فيها التّرادف بإسهاب وأطالت النّفَس في ذلك؛ فجعلت كلام العرب دليلها، واستقراء الآيات القرآنيّة التي تناولت المفردةَ سائقها لمعرفة المعنى الدّقيق المراد من كلّ كلمة[3].

المطلب الخامس: **إعجاز القرآن الكريم** لفضل حسن عبّاس وسناء فضل عبّاس.

كتاب في إعجاز القرآن عموما، تناول فيه المؤلّف وابنته قضايا مختلفة مرتبطة بالإعجاز القرآني، أهمّها مسألة تاريخ الإعجاز بدءا بالأقدمين فالمحدَثين، كما تطرّقا لوجوه الإعجاز وفصّلا فيها ومثّلا لها.

هدف الباحثان من كتابهما إلى محاولة تقصّي ما أمكن من جهود القدماء والمحدَثين في قضيّة الإعجاز، ومحاولة بسط القول حول وجوه الإعجاز، وتحديد أهمّ أوجه الإعجاز القرآني.

---

(1) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة بنت الشّاطئ [99–135].

(2) المصدر السّابق (ص237).

(3) المصدر السّابق [215 – 236].

- يبدأ الكتاب بتمهيد عن المعجزة وشروطها والتّحدّي القرآنيّ ومراحله[1].

- الباب الأوّل كان دراسة تاريخيّة تتضمّن جهود القدماء والمحدَثين في الإعجاز والأدوار التي مرّت بها الكتابة في الإعجاز وكتبهم في ذلك.

- أمّا الباب الثّاني فكان للتّفصيل في وجوه الإعجاز وتمّ تقسيمها إلى ستّة أوجه وهي:

أ- الإعجاز البياني.

ب- الإعجاز العلمي.

ت- الإعجاز التّشريعي.

ث- الإخبار عن الأمور الغيبيّة.

ج- الإعجاز النّفسي والرّوحي.

ح- ما يُسمّى بالإعجاز العددي.

- يُلاحَظ إسهاب في قسم الإعجاز البيانيّ وفي مباحثه الكثير ممّا له علاقة بموضوع البحث؛ حيث تمّ التّطرّق لأهمّيّته، وللكلمة القرآنيّة وقيمتها وخصائصها، ونفي التّرادف عنها في كتاب الله، وأمثلة تطبيقية للتّدليل على ذلك، منها الفرق بين الخوف والخشية[2]، وجاء وأتى[3]، والفعل والعمل[4]،..الخ.

- تمّ التّطرّق لمسألة استعمال الألفاظ المختلفة في مواضع مشابهة[5]. وهذا المبحث أيضا له علاقة بالدّقة في اختيار الكلمات.

---

(1) إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عبّاس و سناء فضل عبّاس، 1412هـ -1991م. [10 - 32].

(2) المصدر السّابق (ص175).

(3) المصدر السّابق (ص177).

(4) المصدر السّابق (ص178).

(5) المصدر السّابق (ص188).

المبحث الرابع: دراسات ومقالات تناولت الموضوع بطريقة مباشرة

المطلب الأوّل: جمال الكلمة القرآنيّة. للخضر روبحي.

مقالة للباحث لخضر روبحي من جامعة المسيلة الجزائر بمجلّة الممارسات اللّغويّة لجامعة مولود معمّري الجزائر، العدد 14، تاريخ النّشر 2012م، الصّفحات [75-89].

هدفت الدّراسة إلى تجلية أوجه جمال الكلمة القرآنيّة، ركّز الباحث على ذكر خصائص الكلمة القرآنيّة، بما يتناسب مع موضوع البحث في إبراز دقّتها ومناحي جمالها.

- قام الباحث بالتطرّق لمفهوم الكلمة وشروطها لتأدية المعنى كاملا.
- ذكر خصائص الكلمة القرآنيّة، وهي:

أ- التّناسق الصّوتي على مستوى الكلمة: وجزّأه إلى أقسام، ومثّل لكلّ قسم بأمثلة:

- التّناسب بين صفات الصّوت ومعنى الكلمة[1].
- التّناسبَ بين إيحاء الصّوت ومعنى الكلمة[2].
- التّناسب بين الكلمات[3].
- المناسبة والتّناسق بين نوع الحركة والمعنى[4].

ب- الدّقّة في الوضع واتّساقها الكامل مع المعنى: وقسّمه كذلك؛ فاندرج تحت هذا العنوان:

- الدّقّة في الاختيار[5].
- الدّقّة في المعنى[6].

---

(1) جمال الكلمة القرآنية، لخضر روبحي، مجلّة الممارسات اللّغويّة لجامعة مولود معمّري الجزائر، العدد 14، تاريخ النّشر 2012م، بين الصّفحات [75-89]. (ص04).

(2) المصدر السّابق (ص05).

(3) المصدر السّابق (ص05).

(4) المصدر السّابق (ص06).

(5) المصدر السّابق (ص06).

(6) المصدر السّابق (ص07).

- الدّقّة في الوصف[1].
- الدّقّة في التّصوير[2].

-ختم بحثه بنتيجة إثبات جماليّة الكلمة القرآنيّة والتي من شأنها أن تزيد القارئ إدراكا ويقينا بإعجاز القرآن وكماله[3].

المطلب الثّاني: سرّ اختيار المفردة القرآنيّة دون غيرها من البيان القرآني.

مقالة للباحث أحمد ياس خضر شارك به في مجلّة العلوم الإسلاميّة في العدد الثّاني والعشرين لسنة 1435هـ في تسعة عشر صفحة وهي في المجلّة بدءًا من الصّفحة 389.

هدفت الدّراسة إلى كشف أسرار "اختيار الكلمة القرآنيّة، وما لها من معاني دقيقة، وما لها من مكانة من حيث رصانتها ودقّة مدلولها"[4].

- استهلّ مقالته بمقدّمة موجزة عن المفردة القرآنيّة ومكانتها في النّظم القرآني وتلاها بتمهيد ذكر فيه باختصار مقاييس جمال الكلمة، واهتمام العلماء بها وإدراكهم لجماليّتها[5].

- قسّم مقالته إلى ثلاث مباحث:

أ-***اختيار المفردة ومقام الآية والمناسبة:*** تحدّث فيه عن ائتلاف اللّفظ والمعنى[6] وأتى بأمثلة ممّن أحاطوا بهذا المجال كابن أبي الإصبع، والخطيب الإسكافيّ.

---

(1) جمال الكلمة القرآنية، لخضر روبحي (ص07).

(2) المصدر السّابق (ص08).

(3) المصدر السّابق (ص08).

(4) سرّ اختيار المفردة القرآنيّة دون غيرها من البيان القرآني، أحمد ياس خضر، مجلّة العلوم الإسلاميّة العدد الثّاني والعشرون 1435هـ، [385-403]. (ص385).

(5) المصدر السّابق (ص390).

(6) المصدر السّابق (ص393).

ب- ***دقّة اختيار المفردة في كلام الله ودقّة مدلولها:*** وبيّن فيه أنّ القرآن قد عبّر عن قضايا بأوسع مدلول، وأدقّ تعبير. ومثّل بأمثلة منها قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾[1] في مقابل ما عبّر به امرؤ القيس في معنى مشابه لذلك فقال: فألقى بصحراء الغبيط بَعاعه[2]. وذكر أنّه لـمّا علم العرب منزلة القرآن وفصاحته صاروا يفتخرون بموافقة الاستعمال القرآنيّ لألفاظهم، ونقل عن الجاحظ في البيان والتّبيين واقعة بين ابن المناذر وبعض من أهل مكّة تبيّن ذلك[3].

ج- ***اختيار المفردة وموافقتها للانسجام الصّوتي:*** حيث يرى أنّ القرآن يمثّل جرسا صوتيّا موحّدا لا يخضع للأوزان الشّعريّة. ويظهر ذلك أكثر ما يظهر في التّرتيل؛ الذي هو قراءة منغّمة، وذلك التّنغيم هو الذي يظهر التّناسق جليّا في الحروف والجمل والآيات[4]، ومن الأمثلة التي أتى بها قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[5] فلو حاول الواحد تغيير مواضع الكلمات فقط بأن جعل كلمة "منّي" قبل "العظم" فتصير: "ربّ إنّي وهن منّي العظم..." لأحسّ بثقل وتنافر في الحروف[6]، فكانت الصّيغة التي أتت بها هي الكمال في ذلك.

- ختم بحثه بجملة من الملاحظات منها أهمّية السّياق، وإمكانيّة ملاحظة الانسجام في البناء الصّوتي، ولطافة العبارات القرآنيّة في مقابل عبارات العرب[7].

---

(1) النّور: 43.

(2) عجز البيت: نزول اليماني ذي العياب المخول. ديوان امرئ القيس، تحقيق: عبد الرّحمن المصطاوي، دار المعرفة بيروت، ط2، 1425هـ-2004م. (ص68).

(3) سرّ اختيار المفردة القرآنيّة، أحمد ياس خضر (ص396-397).

(4) المصدر السّابق (ص398).

(5) مريم: (2، 3، 4).

(6) سرّ اختيار المفردة القرآنيّة، أحمد ياس خضر (ص399).

(7) المصدر السّابق (ص401).

المطلب الثّالث: المفردة القرآنيّة بين إبداع اللّفظ وإبداع الدّلالة (دراسة في جماليّة الكلمة في السّياق القرآنيّ). لممدوح إبراهيم محمود محمّد.

مقالة حول جماليّة الكلمة في السّياق القرآني من خلال دراسة المفردة القرآنيّة، من تأليف ممدوح إبراهيم محمود محمّد. وهي جزء من المجلّة العلميّة لكلّية اللّغة العربيّة بأسيوط العدد الخامس والثّلاثون الجزء الأوّل 2016م. وقد هدف من خلال مقالته إلى إبراز المفردة القرآنيّة وإخراجها من كونها، لفظة معجميّة، إلى كلمة لها مكانتها المهمّة في ميزان الإبداع والجمال الذي تميّزت به في سياقها القرآني.

- عرّف بالمفردة القرآنيّة وذكر خصائصها، والمراحل التي تمرّ بها عند تفسيرها[1].
- اهتمّ بقضيّة السّياق ودوره في إبراز جماليّة المفردة[2].
- تطرّق لوجه آخر من أوجه إبداع اللّفظ وهو التّناسق الصّوتي والجرس الصّوتي[3].
- تكلّم عن جماليّة الحركات وارتباطها باللّفظ والمعنى[4].
- تكلّم في المبحث الثّالث عن تغاير الصّيغ الفعليّة، ومثّل لبعضها دون حصر ولا استقصاء.
- جعل جزءا مهمّا من المبحث الرّابع في مقالته خاصّا بتفرّد الكلمة القرآنيّة بالمعنى المراد.
- حاول إبراز السّر في استعمال القرآن لبعض المفردات الثّقيلة والغريبة واختياره لها دون غيرها من الكلمات التي قد يُظنّ أنّها أنسب للمقام وأفصح في الكلام[5].

---

(1) المفردة القرآنيّة بين إبداع اللّفظ وإبداع الدّلالة دراسة في جماليّة الكلمة في السّياق القرآني، ممدوح إبراهيم محمود محمّد، المجلّة العلميّة لكليّة اللّغة العربيّة بأسيوط، العدد الخامس والثّلاثون الجزء الأول 2016م. في الصّفحة 429 المراحل التي تمرّ بها المفردة عند تفسيرها مأخوذ من ورقة بحثية على النّت لمساعد الطّيار وأضاف بعض الأمثلة عليها. وقد نُشرت هذه المقالة على الشّبكة بملتقى أهل التّفسير بتاريخ 1424هـ-2003م.تاريخ الاطّلاع عليها: 17-02-2020. ورابط الموقع: https://cutt.us/ypuTl

(2) المفردة القرآنيّة بين إبداع اللّفظ وإبداع المعنى، ممدوح إبراهيم (ص433).

(3) المصدر السّابق (ص440).

(4) المصدر السّابق (ص461).

(5) المصدر السّابق (ص569).

المطلب الرّابع: من بلاغة اللّفظ المفرد في القرآن الكريم لوليد قصّاب.

مقالة على الشّبكة للباحث وليد قصّاب، تناول فيها الكاتب وجها من أوجه الإعجاز البلاغي المرتبط باللّفظ.

هدف من خلال مقالته إلى التّركيز على أهمّيّة اللّفظ بإبراز خصائص اللّفظ القرآني المفرد، متمثّلة في الدّقّة في التّعبير، وإيجاز اللّفظ، وحسن انتقائه وغير ذلك. دون إغفال للنّظم الذي يُظهر حسن اللّفظ الحقيقي.

- تحدّث عن اللّفظ المفرد ونقل كلاما عن ابن الأثير فتناول شروط اللّفظ المفرد وشروط الحسن فيه، وبعض الألفاظ الدّالة على المعنى الواحد، كالجوف والبطن؛ ففي سورة الأحزاب ذكر الجوف في قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾[1]. وفي سورة آل عمران ذكر البطن فقال سبحانه: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾[2]. ونقل عن ابن الأثير رأيه في ذلك وأنّ كليهما حسَن في الاستعمال، وهما على وزن واحد، إلّا أنّ القرآن استعمل أحد اللّفظين في موضع واللّفظ الثّاني في موضع آخر، وردّ ذلك إلى تركيبه مع ألفاظ أخرى على نسق معيّن[3].

- وازن بين بعض الآيات مع بعض الأشعار في استعمالها للألفاظ نفسها وبيّن وجه دقّة الاختيار القرآني.

- تطرّق بعد ذلك إلى الدّقة في التّعبير ونقل بعضا من أقوال أهل العلم في ذلك كالرّاغب الأصفهاني والخطّابي.

- ختم بتفطّن العرب لأيّ تغيير في الألفاظ لأنّهم كانوا -بحسّهم اللّغوي المرهف السّليم- يعرفون الخطأ من الصّواب، ومثّل لذلك بأمثلة قرآنيّة، منها قوله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا

---

(1) الأحزاب: 4.

(2) آل عمران: 45.

(3) من بلاغة اللّفظ المفرد في القرآن، وليد قصاب، مقالة على النّت من موقع رابطة العلماء السّوريّين. (ص3). تاريخ الاطّلاع: 19-02-2020. رابط الموقع: https://islamsyria.com/site/show_library/198

جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[1]، إذ قرئت على مسمع أعرابي، ولم يكن قد قرأ القرآن، لكن القارئ أخطأ وحرّف آخرها فقال "فاعلموا أنّ الله غفور رحيم". فأنكر ذلك الأعرابي وقال: إنْ كان هذا كلام الله فلا يقول كذا، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزّلل، لأنّه إغراء عليه[2].

المطلب الخامس: من أسرار دقّة اللّفظ وجماليّاته في النّسق القرآنيّ. دراسة في بلاغة الكلمة ودلالاتها في ضوء بعض النّماذج القرآنيّة. للصّدّيق حاجي.

وهي مقالة للباحث الصّدّيق حاجي نشره في مجلّة العلوم الإنسانيّة عدد 48 ديسمبر 2017، المجلّد (أ) ص [361-371].

هدف الباحث من خلال مقالته إلى التّركيز على وجه من وجوه الإعجاز القرآني، وسرٍّ من أسرار عجائبه الدّقيقة، والمتمثّل في إبراز جمال الدّقّة في اختيار اللّفظ القرآني، وتفرّد استخدامها في النّظم القرآني.

- تحدّث عن معنى اللّفظ.
- ثنّى بمظاهر اهتمام العرب بألفاظهم، ولكنّه اكتفى بذكر نُقول لبعض العلماء يذكرون فيه اهتمام العرب باللّفظ كابن جنّي، ولم يأت بشواهد من كلام العرب ليدلّل بها على كلامه.
- أورد مسألة دقّة اختيار القرآن للألفاظ؛ واستشهد بكلام السّكاكي[3] في حديثه عن آية سورة هود في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4].

---

(1) البقرة: 209.

(2) ينظر: من بلاغة اللّفظ المفرد في القرآن، وليد قصاب (ص5-6).

(3) مفتاح العلوم، السّكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة بيروت، ط2، 1407هـ-1987م. (ص417 – 420).

(4) هود: 44.

- أتى بأمثلة عن الدّقّة وقسّمها إلى:

● الدّقّة في الاختيار: ومثّل لها بالبطن والجوف وكلام ابن الأثير في ذلك. والوهن والضّعف؛ والتّدليل بذلك على دقّة القرآن في اختيار ألفاظه[1].

● الدّقّة في المعنى: ومثّل لذلك بالغيث والمطر، والرّيح والرّياح[2].

● الدّقّة في التّناسق: ومثّل له بالتّناسق بين استعمال لفظ "الأكل" مع الذّئب دون "الافتراس" الذي هو الصّفة الشّائعة في الاستعمال مع السّباع[3].

● الدّقّة في الوضع والاتّساق مع المعنى: تطرّق إلى أمثلة للتّوضيح، من ذلك ما نقله عن أبي حيّان في مفردة "أف" مبيّنا دلالتها وما توحي به من معنى مطابق تمام التّطابق بين صورتها ونطقها[4].

● الدّقّة في الوصف: بتحديد المعنى وتصويره ومثّل له بقوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُونَ﴾[5]. والسّر في تكرار الكاف في كلمة "كبكبوا" وما تؤدّيه من كمال الوصف لحال الكافرين وهم يطرحون في الجحيم[6].

---

(1) من أسرار دقّة اللّفظ وجماليّاته في النّسق القرآنيّ دراسة في بلاغة الكلمة ودلالاتها في ضوء بعض النّماذج القرآنيّة ، الصديق حاجي، مجلة العلوم الإنسانية العدد 48 ديسمبر 2017، المجلد أ، ص [361 - 371]. (ص365).

(2) المصدر السّابق (ص366).

(3) المصدر السّابق (ص367).

(4) المصدر السّابق (ص368).

(5) الشّعراء: 94.

(6) من أسرار دقّة اللّفظ وجماليّاته في النّسق القرآنيّ، الصّدّيق حاجي (368).

المبحث الخامس: الاستفادة من الكتب والدّراسات السّابقة في توجيه البحث:

لقد كان للدّراسات السّابقة الأثر في توجيه الدّراسة الحاليّة من خلال إثراء جانبها النّظري، وبعد استعراض وإيراد ما تيسّر من الكتب والمقالات في هذا المجال؛ يمكن ذكر ما يميّز الدّراسة الحاليّة في النّقاط التّالية:

- من خلال عرض هذه الدّراسات وعلى الرّغم من أنّها تناولت جانبا أو جوانب من الموضوع المدروس، إلّا أنّها لم تحط بالموضوع من كلّ جوانبه، بل كان كل بحث مقتصرا على إثبات جانب من هذه الجوانب، كون الهدف من كلّ دراسة من تلك الدّراسات هو التّركيز على نقطة ما؛ سعى الباحث لتجليتها وإبرازها، فلمّا لم يكن الهدف الرّئيس منها هو عينه هدف الدّراسة الحاليّة، كان هذا الاختلاف في نوع الدّراسة وموضوعها.
- تناولت الدّراسة سبب اختيار مصطلح المفردة دون الكلمة واللّفظة.
- الدّراسات السّابقة لم تتوسّع في كثير من القضايا التي احتاجت للبسط، بينما الدّراسة الحاليّة توسّعت في الجوانب التي لم يتمّ بسط القول فيها، كجانب اهتمام العرب باللّفظ وبلوغهم الكمال البشري، والتّمثيل بنماذج من كلام العرب وأشعارهم، فالتّدليلِ بذلك على أنّ إعجاز القرآن قد أدركه العرب، وهو السّبب الذي جعلهم لا يتجرّؤون على محاولة معارضته، فضلا عن ادّعاء إيجاد نقيصة أو اكتشاف مثلبة فيه.
- الرّبط بين نظريّتي النّظم واللّفظ، وتوجيه رأي الجرجاني حول اللّفظ في كتابه دلائل الإعجاز، والذي غلط فيه كثير من الباحثين ونسبوا للجرجاني قولا شديدا حول اللّفظ لاعتمادهم كتاب دلائل الإعجاز دون غيره من مؤلّفاته.
- جمع ما أمكن من خصائص المفردة القرآنيّة المبثوثة في الكتب المتفرّقة لعلماء اللّغة والإعجاز.
- إبراز أوجه دقّة اختيار المفردة القرآنيّة.
- محاولة إيراد أمثلة تمتاز بالجدة والأصالة للتّدليل على دقّة اختيار المفردة القرآنيّة.

- نقد بعض الأمثلة التي يوردها كثير من الباحثين على أنّ نتائجها مسلَّمة، ومحاولة الوصول إلى نتائج موضوعيّة مبينيّة على أسس واضحة.

- رغم أنّ كثيرا من الدّراسات السّابقة تكلّمت عن دقّة المفردة القرآنيّة، إلّا أنّها تناولتها من الجانب الذي ركّزت عليه تلك الدّراسة، فبعضها حول التّرادف والأخرى حول الفروق اللّغويّة للمفردات القرآنيّة المتقاربة في المعنى وغيرها. أمّا الدّراسة الحاليّة فقد شملت العديد من الجوانب التي لها علاقة بالموضوع في محاولة إثبات إعجاز ودقّة المفردة القرآنيّة.

الفصل الثّالث: المفردة القرآنيّة خصائصها وأوجه دقّتها

المبحث الأوّل: خصائص المفردة القرآنيّة

"من المعروف عند أرباب البلاغة أنّ المفردة القرآنيّة تمتاز في آن معاً بجمال وقعها في السّمع، واتّساقها الكامل مع المعنى، واتّساع دلالتها، وسلاسة حروفها، وبديع انتظامها، ومراعاتها لما تنضمّ له"[1].

وفي محاولة لذكر أهمّ تلك المميّزات والخصائص التي تمتاز بها المفردة القرآنيّة، يحسن التّنبيه أنّ تلك الخصائص هي نفسها خصائص المفردة العربيّة الفصيحة، إلّا أنّ تخصيص القرآنيّة بالذّكر لأنّها حوت على هذه الخصائص في جميع مفرداتها، عكس الكلام العربي الذي حوى الغثّ والسّمين، والجيّد والرّديء[2].

المطلب الأوّل: فصاحة المفردة:

بتلاؤم نسيجها الصّوتي وجمال وقعها في السّمع وخلوّها من التّنافر[3]، فكلّ المفردات القرآنيّة مستوفية للشّروط اللّازمة للمفردة للحكم بفصاحتها وهي[4]:

الأوّل: تباعد مخارج حروف المفردة.

الثّاني: الحُسن في السّمع للمفردة المختارة على ما سواها وإن اتّسمت كلّ لفظة بالتّساوي في التّأليف من الحروف المتباعدة.

---

(1) اللّفظ الفريد في القرآن المجيد، حسّان راتب المصري، الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب دمشق، ط1، 2011 (ص7-8).

(2) يذكر العلماء خصائص المفردة القرآنيّة في ثنايا كتبهم؛ إلّا أنّ بعض هذه الخصائص متداخلة فيما بينها، إذ توفّرها يقتضي احتواءها لغيرها من الخصائص الأخرى، ففي محاولة جمعها لا غرو من تكرار بعضها في المواضع التي تحتاج لإعادة ذكرها للتّركيز على جزئيّة منها.

(3) أسرار التّعبير القرآني، محمّد بن سعيد باصالح: مقالة على النّت، تاريخ الاطّلاع عليها: 27-02-2020 من موقع: http://mhmd-basalh.blogspot.com/2012/10/blog-post_9456.html

(4) سرّ الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 1402 – 1982م. ص [64 - 87].

الثّالث: أن تكون الكلمة غير متوعّرة ولا وحشيّة.

الرّابع: ألا تكون الكلمة ساقطة أو عاميّة.

الخامس: أن تكون اللّفظة من الكلام العربي الصّحيح فلا تكون شاذّة.

السّادس: ألا يكون اللّفظ ممّا عبّر به عن معنى آخر يُكرَه ويُستنكَف ذكره فإذا ما أورد هذا النوع من الألفاظ حتّى وإن لم يقصد به ذلك المعنى المكروه فإنه يقبح ويعتبر عيبا في فصاحة اللّفظة.

السّابع: أن تكون اللّفظة معتدلة في تركيبها غير كثيرة الحروف[1].

المطلب الثّاني: الجزالة والرّقّة حسب ما يحسن في كلّ موضع:

وجزالة اللّفظ "أن يكون متينا على عذوبته في الفم ولذاذته في السّمع"[2] على أن لا يكون سوقيّا مبتذلا، أو غريبا نابيّا، ويحسن استعماله "في وصف مواقف الحرب وفي قوارع التّهديد، والتّخويف، وأشباه ذلك"[3]، ومعيار تمييز الجزل هو: "أن يكون بحيث تعرفه العامّة، ولا تستعمله في محاوراتها"[4].

أمّا الرّقيق من الألفاظ: فهو "اللّطيف الرّقيق الحاشية النّاعم الملمس"[5]؛ على أن لا يكون ركيكا سفسفا، و"يستعمل في وصف الأشواق، وذكر أيّام البعاد، وفي استجلاب المودّات وملاينات الاستعطاف"[6]، وهي –خاصّيّة الجزالة والرّقّة– متوفّرة للبشر؛ ذلك أنّ اللّفظ هو اللّفظ لم يتغيّر في نفسه، ولم يأت القرآن بألفاظ جديدة لم يعرفها العرب. فهو متاح لهم على أن

---

(1) وذُكرت هنا مع شروط فصاحة المفردة وسيتمّ التّركيز عليها في خاصّيّة مستقلّة لأهمّيّتها.

(2) المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، ضياء الدّين ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر القاهرة. (185/1).

(3) المصدر السّابق (185/1).

(4) خصائص التّعبير القرآني وسماته (ص99).

(5) المثل السّائر، ابن الأثير (186/1).

(6) المصدر السّابق (185/1).

يكون دون تكلّف، وهو -التّكلّف- ما لا يوجد في كتاب الله البتّة، فدلّ على أنّ المزيّة في كون الجزالة والرّقّة هي السّمة اللّازمة للّفظ القرآني حين يحتاج المعنى إلى اللّفظ الجزل أو الرّقيق.

ومثال الجزل في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[1].

ومثال الرّقيق من الألفاظ قوله تعالى في سورة الضحى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[2]. وما ذكره القرطبي في تفسيره[3] من وجود درجة عالية من الجزالة يصدق فيها أنّها لا تصح من مخلوق بحال فهي جزالة التّعبير المركّب من مجموع الألفاظ الجزلة ، ومثاله سورة "ق والقرآن المجيد" وأواخر سورة الزّمر، وأواخر سورة إبراهيم.

المطلب الثّالث: استقامة اللّفظ:

وتظهر في عدّة جوانب منها الجرس أو الدّلالة أو تجانس اللّفظ مع قرائنه من الألفاظ[4].

أوّلا: استقامة الدّلالة النّحويّة:

وهذه الاستقامة تعرف بالسّياق؛ لكن يُتنبّه لأهمّيّتها في المفردة نفسها ودورها في إيصال المعنى الدّقيق المراد إيصاله. وليس معناها أن تأتي على ما تعارف عليه أهل اللّغة فقط -وإن كان هو الغالب لأن القرآن جاء بلسان العرب وأساليبهم- فقد يحدث أن يجد النّحويون أنفسهم صعوبة لمعرفة الأوجه النّحويّة، فيُظنّ بذلك أنّه قد خالف قواعد اللّغة وأساليبها، وليس

---

(1) الأنعام: 94.

(2) الضّحى: [5 - 8]

(3) الجامع لأحكام القرآن أو تفسير القرطبي، القرطبي أبو عبد الله محمّد بن أحمد شمس الدّين، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريّة القاهرة، ط2، 1384هـ – 1964م. (73/1).

(4) خصائص التّعبير القرآني وسماته، عبد العظيم المطعني (ص99).

الأمر كذلك؛ بل من ظنّ هذا فمن قصوره، ذلك أنّ العرب لم يذكروا له نقيصة، ولو وجدوا لما سبقهم لثلمه والانتقاص منه أحد، ثمّ إنّ النّحويّين أنفسهم قد وجّهوا كلّ كلمة في القرآن نحويّا. ومن المسَلَّم به أنّ القرآن لم يحِد عن أسلوب العرب، أضف إليه أنّه هو الحَكَم الذي يُرجع إليه ويُستفاد منه وتُستنبط منه القواعد النّحوية لا العكس. فعلى سبيل المثال نجد لفظ "قريب" في قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1] قد خالفت فيه الصّفة "قريب" الموصوفَ "رحمت الله" مع أنّ الأصل موافقة الصّفة للموصوف في التّذكير والتّأنيث. وهو وإن لم يكن في كلام العرب فيصير هو قاعدة لما ذُكر آنفا من كونه هو الحَكم الذي يُرجع إليه، إلّا أنّنا لو بحثنا في كلام العرب فإنّنا نجده عندهم، من ذلك قول قيس بن الخطيم في قوله:

إنّي لأهواك غير ذي كذب *** قد شُفّ منّي الأحشاء والشّغف

بل ليت أهلي وأهل أثلة في *** دار قريب من حيث تختلف[2].

وتوجيهه أنّ ما كان على وزن "فعيل" بمعنى اسم الفاعل يُجرُونه مجرى فعيل بمعنى مفعول؛ فيصحّ أن يوصف به المذكّر والمؤنّث شرط ذكر الموصوف. كقولك: امرأة قتيل وفتاة جريح[3]. ومثلها: دار قريب. فظهر بذلك أنّ هذا الوجه –مخالفة الصّفة للموصوف– مستقيم من النّاحية النّحويّة. وهذه الاستقامة لها دلالة إن عُلمت فنعمّا هي، وإن لم تُعلم وُكل علمها إلى الله. والذي يظهر أنّ "الرّحمة صفة من صفات الرّب تبارك وتعالى، والصّفة قائمة بالموصوف لا تفارقه، لأنّ الصّفة لا تفارق موصوفها، فإذا كانت قريبة من المحسنين فالموصوف تبارك وتعالى أولى بالقرب منه، بل قرب رحمته تبع لقربه هو..."[4] فيكون المعنى: "إنّ الله قريب من المحسنين وإنّ رحمة الله

(1) الأعراف: 56.

(2) ديوان قيس بن الخطيم، جمع وتحقيق: الدكتور ناصر الدّين الأسد، دار صادر بيروت، 1967م. (ص112).

(3) شرحان على مراح الأرواح في علم الصّرف، ديكنقوز أو دنقوز شمس الدين أحمد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط3، 1379هـ – 1959م. (ص71).

(4) تفسير القرآن الكريم، ابن قيّم الجوزيّة، تحقيق: مكتب الدّراسات والبحوث العربيّة والإسلاميّة، إشراف الشّيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال بيروت، ط1، 1410هـ. (281/1).

قريبة من المحسنين. فاستغنى بخبر المحذوف عن خبر الموجود"[1] وفُهِم المعنَيان من تذكير مفردة "قريب".

ثانيا: استقامة الدّلالة الصّرفيّة:

وهذه الاستقامة تلعب دورا مهمّا في صياغة المعاني الفنّية الدّقيقة؛ حيث أنّ صيغة المفردة –مقرونة بالسّياق– هي الرّابط الأقوى في العلاقة بالمعنى المراد، وهو ما يخلق للمفردة دلالتها الخاصّة بتلك الدّرجة من الدّقّة في ذلك الموضع[2]. فنجد أنّ البنية الصّرفيّة مهمّة في تحديد دلالة المفردة ومنه في معرفة المعنى العام، ولا يستقيم هذا المعنى إلّا باستقامة الدّلالة الصّرفية، كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[3]. فإنذار الرّسول ﷺ محدّد بالفترة التي هو فيها بين ظهرانيهم، فجاءت لفظة "لتنذر" بصيغة فعليّة لتفيد انقطاع الإنذار بالتحاقه ﷺ بالرّفيق الأعلى، بينما مفردة "ذكرى" بصيغتها المصدريّة قد دلّت على الاستمراريّة مع وصف القرآن الخالد وسيبقى موصوفا بأنّه ذكرى إلى قيام السّاعة[4].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾[5]. فإنّ بقاء الرّسول ﷺ فيهم موقوت، فكانت الصّيغة الفعليّة تحمل دلالة تحديد هذه الفترة التي تمنع عنهم العذاب ببقائه ﷺ. بينما أتت اللّفظة "معذّبهم" بالصّيغة الاسميّة مقرونة مع الاستغفار، للدّلالة على أن المانع من العذاب في هذه الحالة ثابت ودائم بدوام الاستغفار[6].

---

(1) تفسير القرآن الكريم، ابن قيّم الجوزيّة (281/1).

(2) الإعجاز الصّرفي في القرآن دراسة نظريّة تطبيقيّة التّوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، المكتبة العصريّة صيدا، 1429هـ – 2008م. (ص266 و 268).

(3) الاعراف: 02.

(4) مقالة التّوجيه المعنوي للبنية الصّرفية في القرآن الكريم، لقمان مصطفى سعيد، مجلّة التّربية والعلم المجلّد 17 العدد 2 السّنة 2010. (ص173).

(5) الأنفال: 33.

(6) التّعبير القرآني، فاضل صالح السّامرائي، دار عمّار عمان الأردن، ط2، 1422هـ – 2002م. (ص26). الخطاب القرآني في شخصيّة الرّسول الكريم محمّد ﷺ، عدنان جاسم محمّد الجميلي، دار الكتب العلميّة بيروت، 1424هـ – 2003م. (ص144).

ثالثا: استقامة الدّلالة الصّوتيّة والجرس المتميّز للمفردة:

فالقرآن يعني"بالجرس والإيقاع عنايتَه بالمعنى"[1]. فيوحي جرس المفردة بمضمونها قبل أن يوحي به مدلولها اللّغوي[2]. فوصف ريح عاد بأنّها صرصر في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ﴾[3] يوحي بشدّتها حتى لمن لا يفهم معنى المفردة ابتداء. يقول ابن عاشور في تفسيرها: "الصّرصر: الشّديدة، يكون لها صوت كالصّرير"[4].

أمّ أبو حيّان الأندلسي في البحر المحيط فيقول في تفسيرها: "عتت على خزّانها، فخرجت بغير مقدار، أو على عادٍ فما قدروا على أن يتستّروا منها، أو وُصفت بذلك استعارة لشدّة عصفها"[5]. ففي اللّفظة نجد صفير الصّاد الذي يوحي بتلك الرّيح، وانفجار الرّاء يوحي بشدّتها، وتكرار الصّوت بمجيئ اللّفظة على على وزن فعلل يوحي بقوّة الرّيح وضراوتها.

وكذلك مفردة "الصّاخّة" في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾[6]، فيها شدّة في تلفّظها بتوالي حرفي التّفخيم، والصّاد في أعلى مراتب التّفخيم لأنه مفتوح وبعده ألف، والخاء أيضا في المرتبة الثّانية من التّفخيم لأنّه مفتوح وليس بعده ألف، والتّضعيف في حرفي الصّاد والخاء كلّ ذلك يوحي بهولها وعظمها "والصّاخّة لفظ ذو جرس عنيف نافذ، يكاد يخرق صماخ الأذن، وهو يشقّ الهواء شقّا"[7].

---

(1) مقالة: الجرس والإيقاع في تعبير القرآن، كاصد ياسر حسين، مجلّة آداب الرّافدين، كليّة الآداب جامعة الموصل، العدد 9 لسنة 1978م. (ص335).

(2) أسرار التّعبير القرآني، محمّد بن سعيد باصالح: تاريخ الاطّلاع: 27-02-2020.
http://mhmd-basalh.blogspot.com/2012/10/blog-post_9456.html

(3) الحاقة : 06.

(4) تفسير التّحرير والتّنوير، محمّد الطّاهر بن عاشور، الدّار التّونسية تونس، 1984م. (116/29).

(5) البحر المحيط في التّفسير، أبو حيّان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمّد جميل، دار الفكر بيروت، 1420هـ. (255/10).

(6) عبس: 33.

(7) في ظلال القرآن، سيّد قطب (3834/6).

فنظام القرآن الدّلالي؛ جعل لكلّ كلمة جرسا يحمل به ظلالا للمعاني، وجعل لكلّ صوت من الأصوات سمات خاصّة به تميّزه، فتشكّل له ملامح موحية، وكان اختيار أصواتها بما يطابق أصداءها، وتستوحي دلالتها، فيظهر الأثر الصّوتي وما أضفاه بتلك المفردة على السّياق الذي وردت فيه[1].

رابعا: استقامة في التّجانس:

وذلك بائتلاف المفردة مع قرائنها من الألفاظ، واتّساقها الكامل مع المعنى، فذلك ما يعطي الكلمة قوّة في نفسها، رغم أنّ استمداد هذه القوّة كان من مفردة أخرى مقترنة معها في السّياق إما بعطف أو غيره، ويمثّلون لعدم التّجانس بالعطف بين المفرد والجمع. وقد تُستشكل بعض الآيات كما في قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾[2]. فالفعل بصيغة الجمع رغم أنّ السّياق القرآني ذكر الفاعل "خصمان" بصيغة المثنّى!. وتوجيه ذلك أن التّعبير بالخصم باعتباره "صفةً وُصف بها الفوج أو الفريق فكأنّه قيل: هذان فوجان أو فريقان يختصمان، ومثله ما نراه في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا﴾[3]. "فقوله: هذان للّفظ، واختصموا للمعنى"[4]، الذي هو مجموع أفراد الفوجين فاستحقّ التّعبير بالجمع لذلك[5].

ومثال آخر في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[6] ولم يقل ينفقونهما، وقد وُجّه ذلك أنّ الضّمير عائد على أقرب

---

(1) الدّلالة الصّوتيّة للصّفات التي لا ضدّ لها في الخطاب القرآني (نماذج مختارة من القرآن الكريم)، فراكيس امحمّد، مجلّة الباحث المحكّمة التّابعة لجامعة ابن خلدون تيارت الجزائر، العدد التّاسع مارس 2014م. الصّفحات [08-24].

(2) الحجّ: 19.

(3) الحجرات: 09.

(4) مفاتيح الغيب، فخر الدّين الرّازي، دار إحياء التّراث العربي بيروت، ط3، 1420هـ. (214/23).

(5) استفدته من مشرفي الدّكتور عمر تشيليك في مكتبه بجامعة مرمرة كلّيّة الإلهيات أثناء مراجعة العمل حول البحث يوم: 03-02-2020.

(6) التّوبة: 34.

مذكور وهو الفضّة. فهم لا ينفقون الفضّة فضلا عن أن ينفقوا الذّهب، فذِكر عدم إنفاق الأدنى قيمة أغنى عن ذكر عدم إنفاقهم الأعلى والأغلى[1]. فبضنّهم بالفضّة تبيّن أنّهم بالذّهب أضنّ.

خامسا: مشاكلة اللّفظ للمعنى أو ائتلاف اللّفظ مع المعنى:

وهو "أن تكون: ألفاظ المعنى المراد يلائم بعضها بعضاً، ليس فيها لفظة نافرة عن أخواتها، غير لائقة بمكانها، كلّها موصوف بحسن الجوار"[2]، وتكون هذه المشاكلة "إذا وقع اللّفظ موقعه بغير زيادة ولا نقص"[3]، وهي في القرآن جميعه، وأكثر ما تظهر؛ في المفردات التي قيل بغرابتها، فإذا نُظر إلى السّياق والمعنى العام للنّص عُرف أنّ ذلك المعنى لم يكن ليصلح له أفضل من المفردة التي وضعت. ويمثَّل لائتلاف اللّفظ والمعنى بمفردة "ضيزى" حيث أنّك تراها مجتزأة عن سياقها فتجدها من أثقل الألفاظ وأغربها، وأقلّها استعمالا في لسان العرب في مقابل ما يبدو أنّه من مرادفاتها كقسمة ظالمة، أو قسمة جائرة، ورغم ما يبدو من أولوّية الألفاظ الأخرى عليها، إلّا أنّك لو تأمّلت لوجدتها على غرابتها "من أغرب الحسن وأعجبه، ولو أردت اللّغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها"[4]، فهي أتت إنكارا على العرب الذين جمعوا بين رفضهم أن يُنسب لهم البنات ولم يكتفوا بذلك حتّى صاروا يتوارون من القوم من سوء ما يبشّرون به ولم يكتفوا بذلك أيضا بل عمدوا إمّا إلى إمساكهنّ على هُون أو دفنهنّ أحياء مخافة العار، وفي مقابل كلّ هذا النّفور من البنات تجدهم قد نسبوا لأنفسهم الذّكور فقط دون الإناث، بينما نسبوا لله –تعالى الله عمّا يقولون– البنات، فكانت قسمتهم أن جعلوا لله ما فرّوا منه وكرهوه ونفوه عن أنفسهم. وصارت بذلك من أشدّ أنواع القسمة غرابة، فجيء باللّفظ المناسب لتلك الغرابة[5].

---

(1) غرائب التّفسير وعجائب التّأويل، تاج القرّاء برهان الدّين الكرماني، دار القبلة للثّقافة الإسلاميّة – جدّة، مؤسّسة علوم القرآن – بيروت. (451/1).

(2) بديع القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تحقيق: حفني محمّد شرف، دار نهضة مصر. (ص77).

(3) خصائص التّعبير القرآني، عبد العظيم المطعني (ص99).

(4) إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، الرّافعي (ص158).

(5) ينظر: المصدر السّابق (ص158).

سادسا: اعتدالها في التّركيب والوضع:

حيث "جاءت في معظمها من أعدل التّراكيب وهو الثّلاثي الذي يبدأ بحرف وينتهي بحرف ويتخذ من الحرف الثّالث وصلة بين الحرفين ويقل كثيرًا في القرآن الرّباعي حيث لا يكاد يبلغ بضع عشرات من الكلمات ويخلو تمامًا من الخماسي إلا ما كان من لفظ عرّب"[1]. وسنحاول تتبّع ذلك في القرآن ليبدو أكثر وضوحا وجلاء[2]:

أ- **الفعل في القرآن:**

1- **الفعل الثّلاثي المجرّد: 525 فعل.**

2- **الفعل الثّلاثي المزيد:**

- على وزن أفعل: 243 فعل.
- على وزن فعّل: 170 فعل.
- على وزن فاعل: 65 فعل.

3- **الفعل الرّباعي المجرّد:**

- رباعي غير مضاعف: فعل واحد هو: بعثر.
- رباعي مضاعف: سبعة أفعال: هي: زلزل، وسوس، حصحص، عسعس، دمدم، زحزح، كبكب.

4- **الفعل الرّباعي المزيد:**

- فعلان: تقشعرّ، اطمأنّ.

---

(1) أسرار التّعبير القرآني، محمّد بن سعيد باصالح: تاريخ الاطّلاع: 27-02-2020.
http://mhmd-basalh.blogspot.com/2012/10/blog-post_9456.html

(2) أبنية الأفعال المجرّدة في القرآن الكريم ومعانيها دلالة صرفيّة دلاليّة، أحلام ماهر محمّد حميد، دار الكتب العلميّة بيروت (ص284) دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمّد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث القاهرة.(172/5). أبنية الأفعال دراسة لغويّة قرآنيّة، نجاة عبد العظيم الكوفي، دار الثّقافة، 1409هـ – 1989م.(ص25-26).

ب- الاسم في القرآن:

1- **الاسم الثّلاثي**: كثير جدّا.

2-الاسم الرّباعي:

- الرّباعي المجرّد: سبعة أسماء: برزخ، خردل، سرمد، زخرف، سندس، سلسلة، شرذمة
- الرّباعي المزيد:

- المزيد بحرف: ثلاثة عشر اسما، وهي: قرطاس، قسطاس، قنطار، صلصال، وسواس، حلقوم، خرطوم، عرجون، فردوس، خنزير، قطمير، سرادق، جهنّم.

- المزيد بحرفين: ثلاثة أسماء، وهي: عنكبوت، زمهرير، قمطرير.

3- الاسم الخماسي:

- الخماسي المجرّد: لا يوجد
- الخماسي المزيد بحرف: اسمان، وهما: زنجبيل، سلسبيل.

المطلب الرّابع: اتّساع دلالتها لما لا تتّسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى[1]:

فاللّفظة القرآنيّة كثيرا ما تتّسع لأكثر من معنى واحد، وهي إذا جيء بها فلأجل ذلك؛ أي لتحمل في مفردتها أكثر من معنى، وتكون تلك المعاني كلّها مطلوبة مرادة، فبدلا من إطالة الكلام لجمع معنيين أو أكثر، يأتي بلفظة واحدة تجمع المعاني المرادة كلّها، فالقرآن "يستثمر دائما برفق أقلّ ما يمكن من اللّفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني"[2] فيوجز في التّعبير لأدنى حدّ، ويوسّع

(1) التّعبير الفنّي في القرآن، بكري شيخ أمين، دار الشّروق القاهرة، ط1، 1393هـ – 1973م. (ص179).

(2) النّبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمّد بن عبد الله درّاز، تحقيق: أحمد مصطفى فضيلة، دار القلم، 1426هـ – 2005م. (ص162).

في المعنى ليشمل كلّ المراد[1]. ففي قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[2] نجد أنّ مفردة "الخلق" تدلّ على أكثر من معنى، وكلّ معنى صالح في الآية دون تعارض. فالخلق يأتي بمعنى المخلوقات أي هي له كلّها، ويأتي بما يدلّ على المصدر، فتكون الصّفة له، والمعنى أنّ له الإيجاد والاختراع وأنّه خاصّ به سبحانه وتعالى. وكِلا المعنيين -المخلوقات والإيجاد- تصحّ نسبتهما إليه في وقت واحد سبحانه وتعالى[3].

وفي قوله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ. وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[4] فصيغة الأمر واحدة، ولكن المأمور به هنا لمعنيين:

أوّلا: جعل الدّعاء مقيّدا بصفة معيّنة وهي صفة التّضرّع والخوف والطّمع أي ادعوه دعاء تضرّع وخوف وطمع.

ثانيا: تقيّد المطلوب منه وهو الدّاعي بهذه الصّفة، أيّ متضرّعين خائفين طامعين.

ولم يُحتَج لإيصال هذه المعاني بتكرار صيغة الأمر، ولا بوصف الدّعاء بصفة مخصوصة، ولا بتقييد الدّاعي بطريقة مخصوصة، بل كلّ ما في الأمر أن أتى بصيغة واسعة الدّلالة تحمل كلّ تلك المعاني، فأتى بصيغة تحمل كلّ الدّلالات المستفادة والمعاني المرادة. ففُهم أنّ كلّ تلك الأمور مطلوبة في الوقت نفسه.

ومن الألفاظ التي جمعت المعاني الكثيرة، مؤدّية بذلك ما لا تؤدّيه العبارات الطويلة؛ اختيار لفظة "مكلّبين" في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾[5]. فهي كافية لتدلّ على

---

(1) صور من اتّساع دلالة الألفاظ والتّراكيب في تفسير الكشّاف، محمّد فاضل صالح السّامرائي، مجلّة جامعة أمّ القرى لعلوم الشّريعة واللّغة العربيّة وآدابها ج19 العدد 42، رمضان 1428هـ. الصّفحات [343 - 394] (ص343).

(2) الأعراف: 54.

(3) اتّساع الدّلالة في الخطاب القرآني، محمّد نور الدّين المنجد، دار الفكر دمشق، ط1: 1434هـ – 2013م. (ص197).

(4) الأعراف: (55-56).

(5) المائدة: 04.

المعنى المراد من نوع الجوارح، ثمّ لم يقتصر المعنى على ذلك بل فهم من اشتقاقه لكلّ تلك الأنواع الجارحة من اسم الكلب بكلمة مكلّبين "ليدلّ على أنّه أعمّها نفعا، وأبعدها صيتا، وأنبهها ذكرا"[1].

المطلب الخامس: سلامتها من العيوب[2]:

وهذه العيوب متقاربة ومتداخلة مع ما اشتُرط عدمه في اللّفظة. فاللّفظ لا يُعدّ فصيحا إلاّ إذا سلم من العيوب التي تقدح في فصاحته، والسّلامة من العيوب في القرآن جميعِه، لا يُستثنى من ذلك حرف ولا كلمة.

والتّمثيل لهذه العيوب في القرآن غير ممكن، لذلك يُكتفَى بضرب أمثلة من كلام العرب عند إخلالهم بهذه الشّروط. وهذه الشّروط هي:

أوّلا: السّلامة من تنافر الحروف المؤدّية إلى الثّقل على اللّسان:

تنافر الحروف "وصف في الكلمة يوجب ثقلها على السّمع، وصعوبة أدائها باللّسان"[3]، وما وُجد في القرآن مثل "كبكبوا"، فإنّه ينجلي عند وضع المفردة في السّياق الذي وردت فيه، وتصير الكلمة قمّة في الفصاحة؛ جامعةً بين سلامة الصّوت وتأديتها بجرسها أكمل معنى.

من تنافر الحروف نجد قول امرئ القيس:

غدائره مستشزرات إلى العلا *** تضلّ المداري في مُثَنّى ومرسل[4].

---

(1) الحيوان، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، دار الكتب العلميّة، ط2، 1424هـ. (350/2).

(2) انظر: خصائص التّعبير القرآني، عبد العظيم المطعني (102/1). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، تحقيق: يوسف الصّميلي، المكتبة العصريّة بيروت. (20/1-24).

(3) جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي (20/1).

(4) ديوان امرئ القيس (ص43).

ثانيا: السّلامة من الغرابة:

والغرابة أن تكون الكلمة غير ظاهرة المعنى ولا مألوفة الاستعمال عند العرب الفصحاء[1].

ومن الغرابة في الاستعمال ما قاله عيسى بن عمر النّحوي لقومه: ما لكم تكأكأتم عليّ كتكأكئكم على ذي جِنّة إفرنقعوا عنّي[2].

ثالثا: السّلامة من مخالفة القياس:

ومخالفة القياس أن تكون الكلمة شاذّة غير جارية على القانون الصّرفي المستنبط من كلام العرب.

ومن أمثلة مخالفة القياس قول أبي النّجم العجلي:

الحمد لله العليّ الأجلل *** الواسع الفضل الوهوب المجزل [3]

رابعا: السّلامة من الابتذال:

وهي العامّية السّاقطة التي أبلاها كثرة الاستعمال، أو كان لها معنى مستقبح غلب عليها.

ومن أمثلة الابتذال قول المتنبّي:

ومن النّاس من تجوز عليهم *** شعراء كأنّها الخازباز[4]

---

(1) جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي (21/1).

(2) إنباه الرّواة على أنباه النّحاة، جمال الدّين القفطي. (377/2).

(3) خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي (390/2).

(4) ديوان المتنبّي، دار بيروت للطباعة والنّشر، بيروت، 1403هـ – 1983م. (ص205). والخازباز: حكاية صوت الذّباب ويسمَّى به الذّباب أيضا. اللّامع العزيزي شرح ديوان المتنبّي، أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعرّي، تحقيق: محمّد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدّراسات الإسلاميّة، ط1، 1429هـ -2008م. (ص/595).

المبحث الثّاني: أوجه دقّة اختيار المفردة القرآنيّة:

لقد دعا القرآن نفسُه إلى تحرّي الدّقة في استعمال الألفاظ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْ﴾[1]. وقال أيضا: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾[2]. فحضّهم -رغم بلوغهم أعلى الدّرجات من الفصاحة- على استعمال اللّفظ الدّقيق بما يناسب حالهم، فدلّ ذلك على:

- أنّ تحرّي الدّقة في الكلام مطلوب.
- أنّهم وهم من أفصح العرب إلّا أنّهم وقعوا في هذا الخطإ، فدلّ على أنّ من سيأتي بعدهم أكثر عرضة للوقوع في هذا النّوع من الأخطاء.
- أنّ هذا الطّلب بتحرّي الدّقة لا يصدر إلا ممّن راعاها في جميع جوانبها.

إنّ الكلام عن أوجه الدّقة في اختيار المفردة القرآنيّة والمعايير التي روعيت في ذلك لا يعني بوجه من الوجوه أنّ اختيارها في موضع ما؛ هو لذلك السّبب دون غيره، بل إنّ هذه الأوجه مجتمعة في المفردة على حسب ما تحتاجه المفردة من دلالات لإيصال المعنى المراد، فقد يكون الأظهر للباحث هو مراعاة الفاصلة لظهور ذلك في الرّسم والجرس الصّوتي؛ فلا يكون إدراجها تحت معيار مراعاة الفواصل إقصاءً لبقيّة الأوجه، بل إنّ إيرادها تحت معيار ما؛ إنّما هو من جهة تغليب ما هو أشدّ ظهورا بالنّظرة البشريّة في تلك المفردة من الأسباب دون غيرها.

المطلب الأوّل: الدّقّة الدّلاليّة:

إنّ المفردة القرآنيّة لا تعدو أن تكون لفظة عربيّة قد اعتاد العرب استعمالها وتأليف كلامهم منها، فتبيّن بذلك أنّ السّر الكامن وراء المفردة القرآنيّة ليس لأجل أنّها لفظة، فهي قد تساوت في ذلك مع نفسها حين تفَحُّصها في مجالها المعجمي، لكنّ الاختلاف إنّما يقع بها نفسها أيضا

(1) البقرة: 104.
(2) الحجرات: 14.

على حسب ما تدلّ عليه في سياقها، فكانت أهمّيتها في السّياق لا تقل عن أهمّيّة السّياق نفسه، وهنا وقع البَون بين القرآن والكلام البشري، ذلك أنّ استعمال البشر يعتريه نقص وسهو وخطأ وجهل، فتكون اللّفظة على بلاغة قائلها وعلى فصاحة العبارة المقولة؛ غير بالغة للكمال الذي تصل إليه المفردة القرآنيّة في كلّ أحوالها. ذلك أنّك تجد "الفصيح منهم يصنع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقحها حولا كاملا، ثم تعطى لآخر نظيره فيأخذها بقريحة جامّة فيبدّل فيها وينقح ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنّظر والبدل"[1].

وهذه الدّقّة الدّلاليّة هي نفسها التي ذُكرت في استقامة كلّ من الدّلالة النّحويّة والصّرفيّة وغيرها.

المطلب الثّاني: الدّقّة في الوصف والتّصوير

إنّ التّعبير عن المشاعر وتصوير المواقف ووصف حالة معيّنة تحتاج إلى الدّقّة بقدر ما يريد المتكلم إيصاله من الدّقة في المعنى، وتصوير الموقف أو الشّعور بما يجعل المتلقّي والمستمع كأنّه يرى الشّيء أو الحالة الموصوفة، ويتماهى فيها حتى يشعر بما يعايشه الموصوف كأنّه هو.

إنّ الدّقة القرآنيّة تكمن في إيصال كلّ ما ذُكر؛ في مفردة مختارة تؤدّي الغرض الذي جاءت لأجله دون زيادة معنى غير مراد، ودون إهمال لمعنى كان يجب أن يكون غير أنّ التعبير عيي عن ذلك. فالمفردة القرآنيّة تعرض الصّورة حيّة، فينتقل المستمع من حال الإستماع إلى حال الرؤية والمشاهدة، فتصل به المفردة إلى الهدف الذي أريد لها أن توصل إليه.

من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[2] فالقرآن الكريم عبّر بقوله: "وجلت قلوبهم" في وصف المؤمنين الذين قال فيهم بعدها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[3] فهو سيصفهم وصفا

(1) المحرّر الوجيز، ابن عطيّة (52/1).

(2) الأنفال: 02.

(3) الأنفال: 04.

دقيقا، إن كان فيهم فهم المؤمنون حقّا، وإن لا فلا؛ بقدر نقص هذا الوصف أو غيره من الأوصاف التي ذُكرت في الآية. وفي تفسيرها يقرّبها لنا سيّد قطب فيقول: "إنّها الارتعاشة الوجدانية، التي تنتاب القلب المؤمن حين يُذكَّر بالله في أمر أو نهي، فيغشاه جلاله، وتنتفض فيه مخافته، ويتمثّل عظمة الله ومهابته، إلى جانب تقصيره هو وذنبه، فينبعث إلى العمل والطّاعة"[1]. فهذه الحال التي فسّرت بما فسّرت به قد عبّر عنها بكلمة واحدة فقط هي: "وجلت".

والباقلّاني كذلك تنبّه إلى هذه الدّقّة اللّامتناهية التي لا يستطيعها البشر، ونبّه إليها كذلك في مواضع شتّى من كتابه. منها ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾[2]، حيث يرى أنّ تأمّل موقع قوله تعالى: "ليأخذوه" يكفي للوقوف على دقّتها في الوصف، وأنّ غيرها من الألفاظ لا تقع في الحسن موقعها، ولا تصل درجتها، فلا تقوم مقامها في الجزالة لفظة؟ ولا يسدّ مسدّها في الأصالة نكتة؟ فلو وضع موضع "ليأخذوه" كلمات يُظنّ أنّها تؤدّي الغرض وتوصل المعنى الذي أريد مثل: "ليقتلوه" أو "ليرجموه" أو "ليطردوه" أو "ليهلكوه" أو ليذلّوه" ونحوها. ماكان ذلك بديعا ولا بارعا ولا بالغا.[3] ثمّ ختم الكلام بالاعتراف بالإعجاز في الدّقة في اختيار المفردات فقال: "فكيف يهتدي إلى وضع هذه المعاني بشريّ، وإلى تركيب ما يلائمها من الألفاظ إنسيّ؟"[4].

إنّ المتأمّل في مفردتي "وجلت" و "ليأخذوه" وغيرها من مفردات القرآن يعلم علم اليقين أنّ "التّعبير القرآني دقيق في بنائه اللّفظي ليدلّ دلالة دقيقة على مدلوله المعنوي"[5].

---

(1) في ظلال القرآن، سيّد قطب (1475/3).

(2) غافر: 05.

(3) إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلّاني، تحقيق: السّيد أحمد صقر، دار المعارف مصر، ط5، 1997م. (197-198).

(4) المصدر السّابق (ص198).

(5) في ظلال القرآن، سيّد قطب (1474/3).

المطلب الثّالث: الدّقة في التّناسب مع السّياق:

أوّلا: الدّقّة في التّناسب مع السّياق المعنوي:

السّياق المعنوي هو "ما يحيط بالنّصّ من عوامل داخليّة أو خارجيّة لها أثر في فهمه من سابق أو لاحق به، أو حال المخاطِب والمخاطَب، والغرض الذي سيق له، والجوّ الذي نزل فيه"[1].

فالمفردة القرآنيّة مختارة بدقّة لتتناسب مع السّياق الذي أتت فيه، في موضعها دون تقديم ولا تأخير عنه، وبالصّيغة المتوافقة معه من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث، وبالصّفة الأكمل في أداء المعنى من كونها اسميّة أو فعليّة، أو كونها اسم فاعل أو مفعول أو صفة مشبّهة أو صيغة مبالغة، أو غيرها ممّا يحتاج إليها السّياق أن تكون فيها. بل وتأتي المفردة مواكبة للمراد من السّياق حتى من جهة وضوح الموقف أو غرابته. فالمفردة القرآنيّة "بناء قد أحكمت لبناته، ونسّقت أدقّ تنسيق، لا تحسّ فيها بكلمة تضيق بمكانها، أو تنبو عن موضعها"[2].

ثانيا: الدّقة في التّناسب مع السّياق اللّفظي:

فالألفاظ المتناسقة والمتجانسة تعطي جرسا صوتيّا يعطي من الدّلالة والمعاني ما لا تعطيه ألفاظ أخرى، فتأتي المفردة حاملة لأتمّ معنى، وأحلى نغم صوتيّ يحتاجهما السّياق في تناسق وتكامل عجيب، فلا السّياق اللّفظيّ يؤثّر سلبا في اختيار المفردة بأن يراعى الجانب اللّفظي فقط، ولا المعنى يمنع من أن تجمع المفردة بين إيصال المراد والحفاظ على الجرس الصّوتي، وذكر الجرس الصّوتي لا يقتضي بالضّرورة التّناغم في الجرس بما يحويه من محسّنات وجناس وسجع وغيرها، وإنّما هو الجرس الذي يؤدّي المعنى حتى بمخالفته للتّناغم الظّاهر. "حتّى إنّ الحركة ربّما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثّقل أيّها كان، فلا تعذُب ولا تُساغ. وربما كانت

---

(1) السّياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقليّة الحديثة دراسة نظريّة تطبيقيّة، سعد بن محمّد بن سعد الشّهراني، كرسي القرآن الكريم وعلومه الرّياض، ط1، 1436هـ. (ص29).

(2) من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي بدوي، شركة نهضة مصر، القاهرة، 2005م (ص85).

أوكس النّصيبين في حظّ الكلام من الحرف والحركة، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأناً عجيبا"[1]، وقد ذكر الرّافعي في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة أمثلة لهذه المزيّة من ذلك ما أورده حول لفظة "النُّذُر" من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ﴾[2] فثقل الضّمّة في "النّذر" وتواليها على النّون والذّال قد يجعل الفصيح يتجنّبها لما يراه فيها من ثقل خاصّة إذا كانت فاصلة للكلام، لكنّ القرآن مهّد لها أيّما تمهيد فجعل القلقلة في دال "لقد" وطاء "بطشتنا"، وتثقيل خفّة توالي الفتحات في قوله "بطشَتَنَا فَتَمَارَوا" بالمدّ في الكلمتين. ثمّ مجيء الرّاء في "تماروا" كتدريب وإعداد اللّسان للرّاء الثقيلة في " النّذر". وكذلك الغنّة في ثلاث مواضع متقاربة في نون "أنذرهم" والإخفاء الشفوي للميم مع الباء "أنذرهم بطشتنا" ونون "النّذر" فترى كلّ ما سبق يمهّد لمفردة "النّذر" طريقا في اللّسان "حتى إذا خرجت فيه كانت أعذبَ شيء وأرقّه، وجاءت متمكّنة في موضعها، وكانت لهذا الموضع أولى الحركات بالخفّة والرّوعة"[3] وهذا مثال واحد فقط يبيّن للنّاظر فيه درجة الدّقّة في تناسق كلّ لفظة مع الأخرى، بل إنّ المتأمّل لا يتفطّن مجرّد التّفطّن لهذه الأسرار إلّا بجهد وصعوبة، "فكيف يأتي للإنسان في مثل تلك الآية وحدها – فضلاً عن القرآن كلّه"[4].

المطلب الرّابع: الدّقّة في توافق الغريب من اللّفظ مع الغرابة في الموقف والمعنى:

وهو وإن كان متضمَّنا في الدّقّة في التّناسب مع السّياق، إلّا أنّه ولأهمّيّته استحقّ أن يُفرد ليكون وجها مستقلّا من أوجه الدّقّة القرآنيّة في اختيار المفردة. وتتمثّل الدّقّة في أنّه "إذا كان المعنى غريبا قحّا كانت ألفاظه غريبة محضة"[5]، وأكثر ما تظهر الدّقة في اختيار المفردات إنّما يكون في الكلمات الأقرب لأن توصف بالغرابة، فإذا ظهرت دقّة الاختيار، وتوضّح وجه الإعجاز

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، الرّافعي (ص156).

(2) القمر: 36.

(3) إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، الرّافعي (ص156).

(4) المصدر السّابق (ص157).

(5) بديع القرآن، ابن أبي الأصبع (ص77).

فيها كان في غيرها أبين وأوضح، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى في سورة يوسف ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾[1]. فورود الألفاظ بالصّورة التي هي عليها لتَناسُبها والموقف الذي أتت فيه، فكان استعمال تاء القسم الأقلّ استعمالا، مع أغرب أخوات كان وهو الفعل " تفتؤ"، مع أغرب الألفاظ التي تفيد معنى الهلاك "حرضا"[2].

على أنّه يحسن التّنبيه أنّ معيار الغريب من الألفاظ يُحتكم فيه إلى ذلك الوقت وبالغالب الأعمّ، ذلك أنّ ما يُعدّ غريبا عند قوم غير غريب عند آخرين، كما أنّ ابتعاد الكثير عن لغة القرآن في هذا الزّمان؛ جعل كثيرا من الألفاظ يُعدّ غريبا رغم عدم غرابته ذلك الوقت.

المطلب الخامس: الدّقّة في التّجسيم:

لقد نحى القرآن منحى دقيقا في تجسيم كثير من المعنويّات المجرّدة، وإظهارها في حالة أجسام أو محسوسات، لما يحمله ذلك التّجسيم من دلالات حاسمة أكثر من كل الدّلالات الأخرى، فكان التّجسيم هو الأسلوب المفضّل في تصوير القرآن[3]. وكمثال للدّقة في التّجسيم للمفردة القرآنيّة نجد قول الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖ﴾[4] حيث نرى كيف أنّ مفردة "الرّماد" جسّمت بهذا المشهد العاصف المتحرك؛ ضياع الأعمال سدى، وعدم مقدرة أصحابها على الإمساك بشيء منها، "ومن لطائف هذا التّمثيل أن اختير له التّشبيه بهيئة الرّماد المتجمّع، لأنّ الرّماد أثر لأفضل أعمال الذين كفروا وأشيعها بينهم وهو قرى الضّيف حتّى صارت كثرة الرّماد كناية في لسانهم عن الكرم"[5]، فبلغ بالتّعبير بهذه الكلمة "ما لا يبلغه التّعبير الذّهني المجرّد عن ضياع الأعمال وذهابها بددا"[6].

---

(1) يوسف: 85.

(2) بديع القرآن، ابن أبي الأصبع (ص77و78).

(3) التّصوير الفنّي في القرآن، سيّد قطب، دار الشّروق القاهرة، ط20، 2013م. (ص72).

(4) إبراهيم: 18.

(5) التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور (213/7).

(6) في ظلال القرآن، سيّد قطب (2094/4).

الفصل الرّابع: أمثلة ونماذج في دقة اختيار المفردة القرآنيّة

تمهيد:

ما دامت المفردة هي أساس تركيب الآيات القرآنيّة، فإنّ علماء الإعجاز قد اتّفقوا أنّ لها مزيّة على غيرها من المفردات، ولكن ينبغي التّنبّه أنّ هذا التّفرّد الذي يتحدث عنه الباحثون عند دراسة المفردة على حدة ليس معناه أن تُجتثَّ عن نسيجها ولا أن تقتضب عن سياقها الذي أتت فيه. فاجتزاؤها مرحليّ وهي في ذلك قد تتساوى مع باقي المفردات عند دراستها في إطارها المعجمي، ولكن تلك المعاني التي تتميّز بها كل مفردة عن غيرها هو ما سيوصل الباحث إلى سبب اختيار أحدها لذلك السّياق وأخرى لسياق آخر، وثالثة غير مختارة مطلقا.

وهذا ما عبّر عنه الخطابي تعبيرا دقيقا حيث قال: "اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصّفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخصّ الأشكل به، الذي إذا أُبدل مكانه غيره جاء منه: إمّا تبدّل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإمّا ذهاب الرّونق الذى يكون معه سقوط البلاغة"[1].

"فالخطّابي حين يقول بسقوط البلاغة لفساد المعنى أو ضياع الرّونق، يتّجه إلى الرّونق اللّفظي فيجعله غير فساد المعنى"[2].

---

(1) بيان إعجاز القرآن، الخطّابي (ص29).

(2) الاعجاز البياني للقرآن، عائشة بنت الشّاطئ (ص101).

المبحث الأوّل: نماذج من أقوال العلماء تبيّن تفطّنهم لدقّة المفردة القرآنيّة

إنّ دقّة المفردة القرآنيّة قد لفتت انتباه كثير من علماء الإعجاز. فتجد كثيرا منهم تناول هذه الجزئيّة؛ فمقلّ ومستكثر. بعضهم يمرّ عليها تنبيها فقط، ومنهم من يضرب لها المثال والمثالين، ومنهم من يتوسّع فيها ويغوص في أسرارها. وسيُكتفى هنا بنقل أقوال بعضهم في الدّقّة القرآنيّة.

أوّلا: ابن عطيّة:

أثار هذه النّقطة في مقدّمة تفسيره أثناء إيراده آراء العلماء في أوجه إعجاز القرآن، وقال كلمة صارت مثلا سائرا لكلّ من يتحدّث عن الدّقّة القرآنيّة في اختيار المفردة، إذ يقول: "وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"[1].

ثانيا: أبو بكر الباقلّاني:

الذي ينقل عنه السّيوطي قوله في وصف المفردة في القرآن: "كلّ كلمة فيه موصوفة بالذّروة العليا. وإن كان بعض النّاس أحسن إحساسا له من بعض"[2].

ثالثا: البارزي:

ينقل السّيوطي من أنوار التّحصيل في أسرار التّنزيل تعذّر دوام استحضار الأفصح من الألفاظ عند البشر، بينما هو كذلك في القرآن ومثّل بقوله تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾[3] وذكر أنّه لو قال مكانه: "وثمر الجنّتين قريب" لم يقم مقامه من جهة الجناس بين الجنى والجنّتين، ومن جهة أنّ الثّمر لا يُشعر بوصوله إلى حال يجنى فيها، ومن جهة مؤاخاة الفواصل[4].

---

(1) المحرّر الوجيز، ابن عطيّة (52/1).

(2) الإتقان في علوم القرآن، السّيوطي نقلا عن القاضي أبي بكر الباقلّاني(21/4).

(3) الرّحمن: 54.

(4) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدّين السّيوطي ، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1394هـ – 1974م. (25/4).

رابعا: الخطّابي:

حين يقول: "إنّ القرآن إنّما صار معجزا؛ لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التّأليف مضمّنا أصحّ المعاني"[1]. ويقول أيضا في نفس المعنى: "عمود البلاغة التي تجمع لها هذه الصّفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه تبدّل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإمّا ذهاب الرّونق الذي يكون معه سقوط البلاغة"[2]. ويقول في السّياق نفسه: "كلّ لفظة منها خاصيّة معنويّة تتميّز بها عن صاحبتها في بعض معانيها وإن كانا قد يشتركان في بعضها"[3].

خامسا: الإسكافي:

والذي كان تصريحه قويّا في إثبات الدّقّة في ألفاظ القرآن، وأنّ عدم إدراك ذلك راجع لقصور في الأفهام، وليس لعدم وجود تلك الدّقّة في العناية باختيار الألفاظ القرآنيّة، مجيبا على تساؤل أورده في الغرض من اختلاف بعض الآيات في بعض ألفاظها، فيقول في ذلك: "إذا أورد الحكيم تقدّست أسماؤه آية على لفظة مخصوصة، ثم أعادها في موضع آخر من القرآن وقد غيّر فيها لفظة عما كانت عليه في الأولى، فلا بدّ من حكمة هناك تطلب، وإن أدركتموها فقد ظفرتم، وإن لم تدركوها فليس لأنّه لا حكمة هناك، بل جهلتم"[4].

سادسا: الرّافعي:

لمس هو الآخر جوانب مهمّة في المفردة القرآنيّة وتفطّن لمكانتها وثقل وزنها في التعبير القرآنيّ فقال: "لقد صارت ألفاظ القرآن بطريقة استعمالها ووجه تركيبها كأنّها فوق اللّغة، فإنّ أحداً من

---

(1) بيان إعجاز القرآن الخطّابي (ص27).

(2) المصدر السّابق (ص29).

(3) المصدر السّابق (ص29).

(4) درّة التّنزيل وغرّة التّأويل، الخطيب الإسكافي محمّد بن عبد الله، تحقيق: محمّد مصطفى آيدين، جامعة أمّ القرى، ط1، 1422هـ–2001م. (250/1).

البلغاء لا تمتنع عليه فصح هذه العربيّة متى أرادها، وهي بعد في الدّواوين والكتب، ولكن لا تقع له مثل ألفاظ القرآن في كلامه، وإن اتّفقت له نفس هذه الألفاظ بحروفها ومعانيها"[1].

ويقول أيضا: "ولو تدبّرتَ ألفاظ القرآن في نظمها، لرأيت حركاتها الصّرفيّة واللّغويّة تجري في الوضع والتّركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة"[2].

سابعا: عائشة بنت الشّاطئ:

أوردت أنّ هذا كان يعلمه العرب سليقة فقالت: "والأمر كذلك في ألفاظ القرآن: ما من لفظ فيه يمكن أن يقوم غيره مقامه، وذلك ما أدركه العرب الخُلّص الذين نزل فيهم القرآن"[3].

ونعود لكلام ابن عطيّة لننطلق منه في تبيّن دقّة المفردة القرآنيّة حين يقول: "وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثمّ أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد، ونحن تبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذّوق وجودة القريحة وميز الكلام"[4].

ومن خلال كلام ابن عطيّة في اعترافه بخفاء وجه الدّقّة في بعض المفردات، وهو من هو في جلالته وإمامته في اللّغة والتّفسير، يظهر من خلال ذلك كلّه أنّ الباب مفتوح لمن حصّل ما يستطيع به الوصول إلى كشف سبب التّعبير بلفظ دون غيره.

وفي النّص القرآني نعلم يقينا أنّ الكلمة التي لا غنى عنها ولا عوض منها هي في مكانها أصلا، فبقي تبيين ذلك والبرهنة عليه، حتى يستيقن العالم، ويتعلّم الجاهل، ويقرّ الشّاك، ويبهَت المكابر.

---

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية، الرّافعي (ص156).

(2) المصدر السّابق (ص156).

(3) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة بنت الشّاطئ (ص210).

(4) المحرّر الوجيز، ابن عطيّة (52/1).

المبحث الثّاني: الفاصلة القرآنيّة

يُكتفى في تعريف الفاصلة بالمرتبطة بالقرآن وهي كما قال الزّركشي: "كلمة آخر الآية، كقافية الشّعر وقرينة السّجع".[1] ويخطئ من يجعل تشاكل مقاطع الفاصلة سجعا، فالإسجاع عيب، لأنّ المعاني تابعة للسّجع، بينما الفواصل بلاغة، لأنّها تابعة للمعنى[2].

فالفاصلة إنّما جاءت "في كتاب الله تعالى لغرض معنويّ يحتّمه السّياق، وتقتضيه الحكمة، ولا ضير أن يجتمع مع هذا الغرض المعنوي ما يتّصل بجمال اللّفظ وبديع الإيقاع"[3].

إنّ الدّقّة في اختيار الفاصلة متوافر في كل فواصل القرآن، وحسبنا أن نبيّن بعض المواضع خاصّة التي ظاهرها أنّها روعي في وضعها اللّفظ على حساب المعنى.

المطلب الأوّل: المفردات التي خالفت فيها الفاصلة الجرس الصّوتي:

إن مجرّد الاستغناء عن اتّباع ذلك التّناغم الذي تحسّ به الأذن في الجرس الصّوتي في بعض الآيات؛ لدليل على أنّ الأولويّة المطلقة للمعنى، وأنه هو الذي يحدّد المفردة المختارة لا العكس. وإنّما يأتي التّناغم الظّاهر للجرس الصّوتي تباعا له، وإلّا لما خالفه في مواضع عدّة من القرآن الكريم بالرّغم من أنّه كان متاحا أن يأتي بمفردات على النّسق الصّوتي نفسه فتواصل بإيقاعها المتناسب –فيما يبدو للمتأمّل– إضفاء جماليّة لفظيّة لا تنكرها الأذن التي تتذوّق الموسيقى وتستعذبها. ولذلك قيل: "فواصل القرآن تابعة للمعاني وأمّا الأسجاع فالمعاني تابعةٌ لها"[4]. وسيُكتفَى بذكر مجموعة من الآيات التي فيها هذه المخالفة للجرس الصّوتي:

---

(1) البرهان، الزّركشي (53/1).

(2) ينظر: النّكت في إعجاز القرآن، الرّمّاني أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، تحقيق: محمّد خلف الله و محمّد زغلول إسلام، دار المعارف مصر، ط3، 1976م. (ص97). إعجاز القرآن، الباقلّاني (ص270).

(3) إعجاز القرآن الكريم، فضل وسناء عبّاس (ص226).

(4) النّكت في إعجاز القرآن، الرّماني (ص97).

أوّلا: في سورة النّحل في موضعين من السّورة في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ﴾[1] وقوله عزّ وجل: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[2]. إذ عدد آيات السّورة 128 آية، فواصلها جميعها تنتهي إمّا بالنّون أو الميم وقبلهما مدّ سوى هاتين الآيتين.

ثانيا: في سورة الإسراء قوله تعالى:﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[3]. عدد آيات السّورة 111 آية كلها تنتهي بألف ممدودة إلّا الآية الأولى منها، ولو كان الجرس أهمّ من المعنى لقال على شاكلة كثير من الآيات التي ختمت بأسماءه وصفاته كأن يقول: "إنّه كان سميعا بصيرا". لكنّه عدل عن ذلك إلى تعريف المفردتين بالألف واللّام فيمتنع عنها إمكانيّة إضافة الألف التي أصلها تنوين في آخرها.

ثالثا: في سورة الأنبياء قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ﴾[4] الآية الوحيدة من مجموع 112 آية والتي انتهت بميم ساكنة قبلها حرف غير مدّي، أما بقيّة الفواصل فكلّها تنتهي بميم أو نون قبلهما مدّ.

رابعا: في سورة الفرقان قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾[5] الآية الوحيدة من مجموع 77 آية والتي تنتهي كلّها بألف ممدودة.

---

(1) النّحل: 70.

(2) النّحل: 77.

(3) الإسراء: 01.

(4) الأنبياء: 66.

(5) الفرقان: 17.

خامسا: في سورة صٓ قوله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾[1] آيات السّورة 88 كلّها تنتهي بحرف ساكن على الوقف قبله حرف مدّ سواء كان ياء أو ألفا أو واوا ما عدا الآية الأولى من السّورة.

سادسا: في سورة الصّف قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾[2] آياتها تنتهي بحرف الميم أو النّون ما عدا هذه الآية.

سابعا: في سورة الضّحى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾[3] حيث خالفت الآية الأخيرة جميع الفواصل المنقسمة إلى جزأين؛ في أوّل السّورة كانت تنتهي بألف ممدودة، ثم في القسم الثّاني منها تنتهي فواصلها بالرّاء السّاكنة حال الوقف، ثمّ تأتي الآية الأخيرة بفاصلة تنتهي بحرف الثّاء الذي ليس له أيّ ذكر في كل السّورة ماعدا ختامه للآية الأخيرة، ثمّ هذه الفاصلة ظهر فيها جليّا ذلك الخروج عن النّغم الموسيقي الذي في السّورة بسبب أنّ في مفردات اللّغة لفظة تنتهي بالرّاء السّاكنة وهي لفظة "خبّر" أو "أخبر". ولعلّ معرفة المعنى الذي في التّحديث والذي لأجله اختير بدلا عن الأمر بالإخبار ما بيّن شيئا من هذه الدّقّة المطلقة في الاختيار، فيمكن ملاحظة:

– الحديث: هو "ما تخبر به عن نفسك من غير أن تسنده إلى غيرك"[4]. أما الخبر: فهو "القول الذي يصحّ وصفه بالصّدق والكذب، ويكون الإخبار به عن نفسك وعن غيرك"[5].

---

(1) ص: 01.

(2) الصّف: 04.

(3) الضّحى: 11.

(4) الفروق اللّغويّة، العسكري (ص41).

(5) المصدر السّابق (ص40).

-الحديث يقال فيه فلان يحدّث عن نفسه وهو حديث النّفس، أمّا الخبر فلا يقال فلان يخبر عن نفسه، ولا يعبّر عنه بخبر النّفس[1]. فيكون فيه معنى ليس في الإخبار وهو أنّه مطالَب -زيادة عن تحديث الغير- بأن يحدّث نفسه بنعمة ربّه عليه.

-الحديث ما كان خبرين فصاعدا إذا كان كلّ واحد منهما متعلّقا بالآخر؛ فلا يعبّر عن الخبر الواحد بأنّه حديث[2].

-التّحديث أبلغ من حيث إنه يقتضي التّكرار دون الإخبار، فيكون "ذلك حديثا عنده لا ينساه ويعيده مرّة بعد أخرى"[3].

ثمّ إذا انتقلنا من المعنى إلى الدّلالة الصّوتيّة فيمكن ملاحظة حرف الثّاء والذي من خصائصه الرّخاوة والهمس، فاجتمع فيه جريان النّفس مع جريان الصّوت. ففيه دلالة على الإذاعة لنعمة الرّبّ سبحانه وتعالى ونشرها تماما كانتشار الصّوت والنّفس في الهواء عند النّطق بتلك الثّاء السّاكنة.

بعد إيراد الفروق بين المفردتين يبدو جليّا وجود معاني في لفظة التّحديث دون لفظة الإخبار، وتبيّن بذلك لمَ استُغنِي عن لفظة "فخبّر" رغم اتّساقها الصّوتي -ظاهرا- مع الفواصل السّابقة؛ واستُعملت مفردة "فحدّث". ودلّ ذلك دلالة واضحة أن التّكامل هو السّمة البارزة بين الألفاظ والمعاني، والسّلطان عائد إليهما معا في اختيار المفردات التي تؤدّي المعنى الذي يراد إيصاله، "فلا الألفاظ ذات أولويّة على حساب المعاني، ولا المعاني ذات أولويّة على حساب الألفاظ"[4].

---

(1) الفروق اللّغويّة، العسكري (ص41).

(2) المصدر السّابق (ص41).

(3) مفاتيح الغيب، الرّازي (201/31).

(4) تطوّر البحث الدّلالي، دراسة تطبيقيّة في القرآن الكريم، محمّد حسين علي الصّغير، دار المؤرّخ العربي بيروت، ط1، 1420هـ – 1999م. (ص53).

المطلب الثاني: المفردات التي وافقت فيها الفاصلة الجرس الصّوتي:

المثال الأوّل:

يقول الله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾[1].

قد يظنّ النّاظر أوّل الأمر أنّ حذف مفعول "قلى" سببه مراعاة الفواصل فقط، والمراعاة وإن كانت حاصلة، لكنّها إنّما أتت تباعا لمقاصد تحصّل تكاملا مع المراعاة. تقول عائشة بنت الشّاطئ: "فليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي، وإنّما الحذف جاء لمقتضى معنوي بلاغي يقوّيه الأداء اللّفظي، دون أن يكون الملحظ الشّكلي هو الأصل"[2]. وانتصرت لهذا القول مستدلّة بالسّورة نفسها في الآية الأخيرة منها، فقالت: "ولو كان البيان القرآني يتعلّق بمثل هذا، لما عدل عن رعاية الفاصلة في آخر سورة الضّحى:﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾[3] فليس في السّورة كلّها ثاء فاصلة،...، ولم يقل تعالى: "فخبّر" لتتّفق الفواصل!"[4].

فحذف الكاف في الآية يمكن توجيهه لأسباب لغويّة وبلاغيّة ومعنويّة منها:

- "اكتفاء بفهم السّامع لمعناه، إذ كان قد تقدّم ذلك قوله: "ما ودّعك" فعرف بذلك أن المخاطَب به نبيّ الله ﷺ"[5]. فلمّا لم يكن منها فائدة استغني عنها، ووافق ذلك تناغم الفواصل.

---

(1) الضّحى: [1-3].

(2) التّفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن بنت الشّاطئ، دار المعارف، القاهرة، ط7. (35/1).

(3) الضّحى: [9-11].

(4) التّفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة بنت الشّاطئ (35/1).

(5) جامع البيان في تأويل القرآن أو تفسير الطّبري، أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبري، تحقيق أحمد محمّد شاكر، مؤسّسة الرّسالة، ط1، 1420هـ – 2000م. (485/24).

- اجتنابا لتكرار لا فائدة منه، ومثله في القرآن موجود، كقوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾[1] فالذّاكرات اقتصرت على اسم الفاعل دون إتباعها بالمفعول لأنّه قد علم من الكلام قبله، فيُفهم أنّ المراد: "والذّاكرات الله" بإضافة اسم ظاهر، أو "والذّاكراته"[2] بإضافة الضّمير الدّالّ عليه.

- احتياج الظّرف الذي يمرّ به النبيّ ﷺ إلى مراعاة الحساسيّة المعنويّة للّفظة واستعمال ألطف عبارة في ذلك، ولا شكّ أنّ حذف الكاف أبلغ في تأدية هذا المعنى، حتّى لا يخاطب النّبيّ ﷺ بالقِلى منسوبا إليه من الرّب حتى ولو كان في سياق النّفي، فكان مقام الإيناس يتطلّب تلطّفا أكثر وعدم استعمال: "ما قلاك" مقرونة بالضّمير. "لِما في القِلى من الطّرد والإبعاد وشدّة البغض"[3].

- أنّ في الإطلاق معنى أوسع وهو دخول غيره في نفي القِلى عنهم، أي: "أنّه ما قلاك ولا قلى أحداً من أصحابك، ولا أحداً ممّن أحبّك إلى قيام القيامة"[4].

- أنّه لم يكن ليكون تشريفا لو ابتدأ بنفي التّوديع والقلى عنه دون مناسبة ما، ولكن لـمّا كانت ألسنة الأعداء حين إبطاء الوحي تنشر إشاعة أنّ ربّه ودّعه وقلاه، كان الأكمل في التّشريف في ذلك المقام هو نفي ما يشاع[5]. ولـمّا كان التّوديع متعلّقا بالماضي وقد انتفى بمجرّد نزول الآيات، بقي القِلى معلّقا على الصّيغة التي ستأتي به، ولو أتت بالكاف لقيل أنّ القِلى إنّما هو منفيّ عنه في هذه الواقعة دون غيرها، أو في أوسع الاحتمالات منفيّ عنه فيما سبق دون ما سيأتي. فكان مجيئها دون الضّمير لتفيد عموم انتفاء القِلى عنه ﷺ، سواء في ماض أو حاضر أو مستقبل.

---

(1) الأحزاب: 35.

(2) معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزّجّاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب بيروت، ط1، 1408هـ – 1988م. (339/5).

(3) التّفسير البياني للقرآن، عائشة بنت الشّاطئ (35/1).

(4) مفاتيح الغيب، الرّازي (192/31).

(5) المصدر السّابق (193/31).

– أنّه لو اقترن الفاعل بالفعل، فقال: "ما قلاك ربّك" لكانت مشابهة لقوله "ما ودّعك ربّك" ولكان فيها من الإيناس ما يمكّن استعمالَها، لأنّ الرّعاية الرّبّانيّة قد أتت مع الفعل، فلو جيء بكلمة "ربّك" معها لانتفى كلّ معنى سيّء قد يتبادر، لأنّها تتضمّن معنى الربّ المربّي، وحال المربّي أن يرفق بمن يربّي ويعطف عليه ولا يكون منه توديع ولا قلى. فلمّا لم تأت في الثّانية اجتنابا لتكرار لفظ "الرّب" لأنّه أتى في الأولى مع التّوديع، كان حذف ضمير المخاطَب مع "القلى" أليَق في إبراز الرّفق الإلهي معه، فالجفاء في لفظة التّوديع انتفى بمجيء مفردة الرّب معها، والجفاء في القلى انتفى بحذف كاف المخاطَب عنها.

– لمّا جاء الفاعل واقترن بالفعل في الأولى "ودّعك ربك" جعل الفعل الثّاني غير محتاج للفاعل من وجهين:

1– اجتنابا للتّكرار

2– أن التّوديع الذي هو أقلّ سوءا من القلى إن كان منتفيا فانتفاء ما هو أكثر منه – القلى– من باب أولى.

فاقتران ضمير المخاطَب بالفعل كان ليكون لو أنّ الفاعل أتى أيضا، فإذ لم يأت كان الحذف أليق كما توضّح في النّقطة السّابقة من أنّ إضافة كلمة الربّ تجعل القسوة الظّاهرة على الكلمة تتلاشى، وحدّة الكلمة تنقلب لطفا ورحمة. وتبيّن بذلك أنّ المفردة بصيغتها التي أتت بها دون زيادة أو نقص هي الأليق والأنسب والأكمل.

المثال الثّاني:

يقول الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾[1].

(1) الأحزاب: 66 و67.

ففي الفاصلة "الرّسولا" "السّبيلا" نجد موافقتهما للجرس الصّوتي العامّ للسّورة والتي تنتهي فواصلها بالألف الممدودة حال الوقف. والعرب تعرف هذا الأسلوب في كلامها، من ذلك:

قول الأعشى:

استأثر الله بالوفاء وبال *** عدل وولّى الملامة الرّجلا[1].

وقول بشر بن أبي خازم:

أسائلة عميرة عن أبيها *** خلال الجيش تعترف الرّكابا[2].

وقيل كُتبت على لغة من يقول لقيت الرّجلا وقرئت بإثبات الألف وبإلغائها[3].

وقد يتبادر إلى الذّهن أنّ الألف إنما جيء بها مراعاة للجرس الصّوتي، إلا أنّه يجدر قبل إطلاق حكم كهذا؛ التّنبيه لعدّة أمور:

أوّلا: سورة الأحزاب مجموع آياتها 73 آية كلّها تنتهي بفاصلة ممدودة ما عدا الآية الرّابعة.

ثانيا: المفردة "سبيلا" والتي يُظَنّ أنّ إيرادها بالألف كان موافقة للجرس الصّوتي هي نفسها المفردة التي وردت فاصلة للآية الرّابعة من السّورة نفسها في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِى ٱلسَّبِيلَ﴾[4]. فلو كان الأمر للتّوافق لكان لهذه الفاصلة نصيب أيضا، خاصّة وأنّها مفتوحة الآخر فيسهل إضافة الألف الممدودة لها[5].

ثالثا: يوجد اختلاف بين القرّاء في هذه الفاصلة، وبما أنّ الدّراسة حول الفواصل، فيُكتَفى بإيراد الخلاف حال الوقف فقط، فنجد أبا عمرو بن العلاء، ويعقوب الحضرمي، وحمزة يحذفون

---

(1) ديوان الأعشى الكبير، الأعشى ميمون بن قيس، تحقيق: محمّد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز (ص233).

(2) مختارات شعراء العرب، ابن الشّجري أبو السّعادات هبة الله بن علي بن حمزة، تحقيق: علي محمّد البجاوي، دار الجيل بيروت، ط1، 1412هـ-1992م. (ص303).

(3) تفسير القرطبي، القرطبي (146/14).

(4) الأحزاب: 04.

(5) الدّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي أبو العباس، شهاب الدين، تحقيق: أحمد محمّد الخراط، دار القلم دمشق. (99/9).

الألف، بينما يُثبتها باقي القرّاء وقفا[1]. فالنّتيجة التي يذكرها الباحثون لا يمكن تعميمها إلّا بحصرها على من قرأ من القرّاء بالمدّ دون غيرهم.

رابعا: مفردة "السّبيل" وردت كذلك في موضعين وحالتين متشابهتين من حيث تتابع الجرس الصّوتي في الفواصل القرآنيّة، والموضعان:

- في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾[2] وسورة الفرقان عدد آياتها 77 آية؛ رؤوس آيها كلّها مختتمة بألف ممدودة سوى هذه الآية.

- في قوله عز وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾[3] والسّورة وإن لم تكن كلّ رؤوس آيها على النّسق نفسه -أعني ختام فواصلها بالألف الممدودة- إلا أنّه الغالب الأعمّ.

ممّا سبق من التّنبيهات يتبيّن أنّ دعوى مراعاة الفاصلة لذاتها غير وارد، فيبقى محاولة ذِكر الحكمة من مخالفة الأسلوب العربي العامّ وإيرادها بالألف.

والذي يظهر ويُستَشفُّ من هذه الألف الممدودة ومن حال المتكلّمين الذي يبيّنه السّياق كاملا في قوله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠. وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا﴾[4]. فوصفهم وهم في النّار يتجرّعون العذاب ويقولون في الوقت نفسه الذي هم فيه يتألّمون ويصرخون، فتفيد الألف ذلك المدّ الذي يكون عادة مع الصّراخ والألم والبكاء[5]، فكان مدّ الألف بذلك موافقا لحالهم.

---

(1) القرآن الكريم وبهامشه التّسهيل لقراءات التّنزيل من الشّاطبية والدّرّة، محمّد فهد خاروف، تقديم ومراجعة: محمّد كريم راجح، دار البيروتي، ط3، 1433هـ – 2012م. (ص427). وينبّه إلى أنّ الصّفحات في الكتاب غير مرقّمة، فيُرجع للترقيم أسفل صفحات المصحف.

(2) الفرقان: 17.

(3) النّساء: 44.

(4) الأحزاب: (66-67).

(5) أسرار البيان في التّعبير القرآني محاضرة ضمن فعاليّات جائزة دبي الدّوليّة للقرآن الكريم عام 2002م. (ص50).

المثال الثّالث:

قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾[1].

وقد يقال أنّ مفردة "هَدى" -بالصّيغة التي وردت بها- ليست الأكمل من وجهين:

الوجه الأوّل: التّكرار: فنفي الهدى هو عينه الإضلال.

الوجه الثّاني: إطلاق مفردة "هَدى" وحذف المفعول والظّاهر أنّ الأولى ذكره.

وقد وجّهه بعضهم ذلك بمراعاة الجرس الصّوتي في الفاصلة فيكون هو المراد ابتداءً. والمراعاة وإن كانت قد حصلت إلّا أنّ استخدام المفردة بالصّيغة التي أتت بها هو الأكمل كذلك من جهة إيصالها المعنى المراد؛ ذلك أنّ التّعبير بقوله "وما هداهم" ستُفقِد المفردة كثيرا من دلالاتها، وهذه الخاصّيّة -أعني اتّساع الدّلالة- تتجلّى في المعاني المستفادة منها والتي تحتويها المفردة بذاتها وصيغتها. والتي نذكر منها:

- عودة المعنى عليهم بمعنى: ما هداهم إلى خير ولا نجاة[2].

- التّهكّم به[3] ذلك أنّه قال لقومه سابقا في موقف اعتداد بنفسه وغرور: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[4].

- توسيع للدّلالة الزّمانيّة لإضلاله لهم، فهو ما هداهم في تلك الواقعة وكذلك "ما هداهم بعدما أضلّهم، فإن المضلّ قد يهدي بعد إضلاله"[5].

---

(1) طه: 79.

(2) إعراب القرآن، النّحّاس أبو جعفر، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمّد علي بيضون ودار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 1421هـ. (36/3).

(3) أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل، البيضاوي ناصر الدّين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمّد الشّيرازي، تحقيق: محمّد عبد الرّحمن المرعشلي، دار إحياء التّراث العربي بيروت، ط1، 1418هـ. (34/4).

(4) غافر: 29.

(5) فتح الرّحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريّا بن محمّد بن أحمد بن زكريّا الأنصاري، زين الدّين أبو يحيى السّنيكي، تحقيق: علي الصّابوني، دار القرآن الكريم بيروت، ط1، 1403هـ – 1983م. (366/1).

- تأكيد لشموليّة إضلاله "لأنّ المضلّ قد يرشد من يضلّه في بعض الأمور"[1] فإذا نفى هدايته بعد ذكر الإضلال وبصيغة الإطلاق لها؛ كان ذلك نفيا لأي إرشاد وفي أيّ أمر.

- استغناء عن المفعول بذكره في الإضلال[2].

- الإضلال في القرآن قد يقصد به الإبعاد عن الدّين دون الدّنيا[3]، أمّا الهُدى في القرآن فيصل إلى سبعة عشر وجها منها: البيان، ودين الإسلام، والإيمان، والرّشاد، والمعرفة، والتّوحيد، والحجّة، والإلهام[4]، ومن المعاني أيضا الصّواب، والفضل، والموت على الإسلام، وغيرها[5]. فهو يتعدّى الجانب الدّيني إلى غيره ليشمل الأمور الدّنيويّة كذلك، فيكون قد نسب لفرعون أنّه أضلّ قومه عن الدّين، وكذلك ما هداهم لا لخير دنيويّ ولا أخرويّ، فما هداهم طريقا في البحر وأخذهم إلى حتفهم وهلاكهم[6].

- اجتناب إيهام إضلاله لهم ونفي الهداية في ذلك الموضع -موضع اقتحامه البحر- فقط، بتعميم نفي الهداية فهو ما هداهم في اقتحامه وإقحام جنوده البحر، وما هداهم قبلها "فأوردهم موارد الغيّ والضّلال، ثمّ أوردهم مورد العذاب والنّكال"[7].

---

(1) فتح القدير، محمّد بن علي الشّوكاني، دار ابن كثير دمشق، دار الكلم الطّيّب بيروت ط1، 1414هـ. (447/3).

(2) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني، تحقيق: محمّد نظام الدّين الفتيح، دار الزّمان المدينة، ط1، 1427هـ – 2006م. (442/4).

(3) بتتبّع لمادة "أضلّ" المتعدّية والتي ليست للتّفضيل من التّفاسير؛ يمكن ترجيح أنّ المعنى المشترك بينها هو الضّلالة في شقّها الدّيني، إلّا في موضعين وكلاهما في سورة محمّد فلم تسعف التّفاسير للوصول فيهما إلى نتيجة فتوقّفت.

(4) الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، مقاتل بن سليمان، تحقيق: حاتم صالح الضّامن، مكتبة الرّشد الرّياض، ط2، 1433هـ-2011م. (ص19-25).

(5) معاني كلمة الهدى في القرآن العظيم، أبو عبيدة الهاني، موقع ملتقى أهل التّفسير تاريخ الاطّلاع: 02-02-2020 على الرّابط: https://vb.tafsir.net/tafsir7782/#.XjasGWhKiM8

(6) أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التّنزيل، زين الدّين أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرّازي، تحقيق: عبد الرّحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب الرّياض، ط1، 1413هـ – 1991م. (327/1).

(7) تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان، عبد الرّحمن بن ناصر السّعدي، تحقيق: عبد الرّحمن بن معلا اللّويحق، مؤسّسة الرّسالة، ط1، 1420هـ – 2000م. (510/1).

– اجتناب إيهام إثبات الهداية لغير قومه، فلو تعدّت الهداية بهم في الآية لكان غيرهم خارجين عن نفي هداية فرعون لهم، وصار احتمال هدايته لغيرهم واردا، وهذا ما ينتفى بإخراج نفي الهداية مخرج العموم[1].

– تفيد الصّيغة الواردة نفي الهداية مطلقا فيدخل فيها جنوده كما يدخل فيها هو فتكون قد انتفت الهداية عن نفسه أيضا، أو أضلّ قومه وما هداه الله[2]، ولو تعدّت بالضمير "هم" لكان احتمال هدايته لنفسه رغم إضلاله لقومه واردا، بل هو ما حاول في آخر لحظات حياته أن يحصّله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[3].

فكلّ ما ذُكر يبيّن أنّ نفي الضّدّ لا يُعَدّ تكرارا عديم الفائدة، كما أنّ عدم ذكر الضّمير "هم" أبقى للمفردة دلالات ومعان أوسع. فتبيّن أنّ المفردة "هدى" في ذلك السّياق هي الأكمل من النّاحية الجماليّة ومن ناحية المعنى كذلك.

المثال الرّابع:

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾[5].

إنّ صيغة التّذكير الواردة في مفردتي "المؤمنين" و "القانتين" قد وافقت التّناغم للفاصلة مع سياقها، ففي سورة القصص نجد الفاصلة في الآيات المحيطة بها فيما يقرب من عشرين آية كلّها

---

(1) معاني النّحو، فاضل صالح السّامرائي، العاتك لصناعة الكتاب القاهرة، ط2، 1423هـ–2003م. (81/2).

(2) تأويلات أهل السّنّة، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 1426هـ – 2005م. (296/7).

(3) يونس: 90.

(4) القصص: 10.

(5) التّحريم: 12.

تنتهي بمدّ فنون فجاءت المفردة "المؤمنين" على ذلك النّسق، والأمر قريب من ذلك في مفردة "القانتين" حيث أتت خاتمة لسورة التّحريم واتّسقت مع الآيات الأخيرة المنتهية فاصلتها بمدّ فَنُون، فكان الانسياب مع الجرس الصّوتي في الفاصلتين والذي يمنح الآيات جمالا واضحا هو السّمة البارزة في الظّاهر، وهو ما قد يدعو للقول باهتمام القرآن بالجرس الصّوتي على حساب المعنى، إذ على أصحاب هذا الرّأي؛ لو كانت الأولويّة في تحديد المفردة للمعنى؛ لجيء بصيغة التّأنيث فيقال في الأولى: "لتكون من المؤمنات" ويقال في الثّانية: "وكانت من القانتات". إلا أنّه يجاب عن ذلك في بيان أنّ كمال المعنى في الإتيان بصيغة التّذكير؛ لأنّ التّعبير به –التّذكير– يفيد معان لا تُفهم من صيغة التّأنيث التي كانت ستقتصر على معنى واحد وهو أنّ أمّ موسى كانت من المؤمنات، ومريم ابنة عمران كانت من القانتات. أمّا ما يفاد من صيغة التّذكير زيادة على المعنى السّابق:

– نسبتهما إلى قومهما، أي أنّ أمّ موسى كانت من قوم مؤمنين، ومريم ابنة عمران كانت من قوم قانتين[1]. ومثله قوله تعالى عن بلقيس: ﴿...إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴿٤٣﴾﴾[2].

– تغليب الذّكور[3] حيث جُعلتا "بمثابتهم في التّعبير بلفظ يخصّ به الذّكور في أصل الوضع"[4]، ذلك أنّ أكثر ما يكون الإيمان والقنوت كمالا هو عند الرّجال لحديث النّبي ﷺ: "**كمَل من الرّجال كثير، ولم يكمل من النّساء إلّا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران...**"[5]

---

(1) تفسير القرآن أو تفسير السّمعاني، أبو المظفّر السّمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عبّاس بن غنيم، دار الوطن الرّياض، ط1، 1418هـ – 1997م. (480/5).

(2) النّمل: 43.

(3) روح البيان، إسماعيل حقّي الخلوتي أبو الفداء، دار الفكر بيروت. (386/6).

(4) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدّين درويش، دار الإرشاد للشّؤون الجامعيّة حمص – دار اليمامة دمشق بيروت – دار ابن كثير دمشق بيروت، ط4، 1415هـ. (88/9).

(5) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: "وضرب الله مثلا للذين ءامنوا امرأة فرعون..." إلى قوله "وكانت من القانتين" (158/4). صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج ، كتاب فضائل الصّحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل خديجة أمّ المؤمنين رضي الله عنها (1886/4). ومسند أحمد، جزء مسند الكوفيّين، حديث أبي موسى الأشعري (444/32) رقم الحديث 19668.

- الرّفعة من شأنهنّ وتشريفهنّ وتعظيمهنّ[1].
- الإشعار بأنّ مرتبتهنّ لم تقصر عن مرتبة الرّجال حتى أُدخِلن في جملتهم.

فكلّ هذه المعاني لم تكن لتُعلَم لو أتت الصّيغة على التّأنيث الذي قد يُظنّ أنّه أولى وأصوب، فكانت المفردة بصيغتها التي أتت بها هي الأكمل في تأدية المعنى المراد بدلالة واسعة تشمل ما تحمله لفظة "المؤمنات" و "القانتات" وزيادة.

المطلب الثّالث: مفردات الإيمان واليقين والعلم والعقل والتّفكّر والتّذكّر والفقه.

إنّ كلام الأصفهاني في مقدّمة كتابه المفردات، كان له أثر كبير في زيادة الاهتمام بالمفردة القرآنيّة، ذلك أنّه نبّه إلى ما يقع فيه كثير من أهل العلم من عدم تفريقهم بين كثير من المفردات، وجعلهم إيّاها من قبيل المترادف كالقلب والصّدر والفؤاد، وكالحمد والشّكر، وغيرها. وهذا ما دفع كثيرا من العلماء للبحث في مسائل على هذا النّحو، وحاولوا الوصول إلى الفروق الدّقيقة بين مفردات تتميّز بتقارب شديد في المعنى.

ومن هذه المفردات نجد المفردات التي تصف فئة معيّنة أو تبيّن أنّ المتّصفين بهذه الصّفات هم من سيفهمون آيات الله في ذلك الموضع. من ذلك أن يطلق عليهم أحيانا أنّهم "يؤمنون" أو "يوقنون" ومرّات "يعلمون" أو "يفقهون" وأخرى "يتفكّرون" و "يذّكّرون" و "يعقلون".

وفي محاولة لإيجاد الفروق الدّقيقة بينها وإظهار توافق كلّ مفردة مع المعنى الذي لأجله أتت. إذ إنّ ختم كلّ آية بفاصلة غير فاصلة الأخرى يدعو إلى التّأمّل فيها ومحاولة البحث في بعض أسرارها، وهذه المفردات هي: **"آيات لقوم يؤمنون" "آيات لقوم يوقنون" "آيات لقوم يعلمون" "آيات لقوم يتفكرون" "آيات لقوم يعقلون" "آيات لقوم يذّكّرون" "آيات لقوم يفقهون"**:

(1) نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، أبو العبّاس البسيلي التّونسي، تحقيق: محمّد الطّبراني، مطبعة النّجاح الجديدة الدّار البيضاء المغرب، ط1، 1429هـ – 2008م. (408/2).

أوّلا: لقوم يؤمنون:

الإيمان: من مادّة "أمن"، "والهمزة والميم والنّون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التّصديق"[1].

والمعنى المحوري لمعنى الإيمان هو "وثاقة في الباطن"[2]. ومن أهمّ معانيه: "إذعان النّفس للحق على سبيل التّصديق"[3]

"فالإيمان يتعدّى بنفسه كصدق، وباللّام باعتبار معنى الإذعان"[4]. ويقال: "آمن به إيمانا: صدّقه"[5]. وجمع صاحب القاموس المحيط في الإيمان ثلاثة معان هي: "الثّقة، وإظهار الخضوع، وقبول الشّريعة"[6] أي "قبول العقيدة وتمكّنها في القلب وامتلاؤه بها"[7].

والقوم الذين يؤمنون هم القوم الذين يتّصفون بهذه الصّفات المذكورة، وهو لم يختم الآيات بتعدية الإيمان بالباء أو باللّام إبقاء على إطلاقها، فلو قال: "لآيات لقوم يؤمنون به" لكان التّركيز على التّصديق فقط، ولو قال: "لآيات لقوم يؤمنون له" لكان التّركيز على الإذعان، فلمّا أبقى المفردة دلّ على إطلاقها وجمعها للمعاني المرتبطة بالإيمان.

وقد ردت في القرآن الكريم بصيغة "لآيات لقوم يؤمنون" في ستّ مواضع وهي:

في سورة الأنعام: ﴿...ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[8].

---

(1) مقاييس اللّغة (133/1).

(2) المعجم الاشتقاقي المؤصّل، محمّد حسن جبل (2126/4).

(3) المفردات، الأصفهاني(ص91).

(4) تاج العروس، الزّبيدي (186/34).

(5) القاموس المحيط، الفيروزآبادي مجد الدين أبو طاهر محمّد بن يعقوب، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسّسة الرّسالة، أو محمّد نعيم العرقوسي وآخرون، مؤسّسة الرّسالة بيروت. ط8، 1426هـ – 2005م. (ص1176).

(6) المصدر السّابق (ص1176).

(7) المعجم الاشتقاقي المؤصّل، محمّد حسن جبل (2126/4).

(8) الأنعام: 99.

في سورة النّحل: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

في سورة النّمل: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

في سورة العنكبوت: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3].

في سورة الرّوم: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[4].

في سورة الزّمر: ﴿أَوَ لَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[5].

في آيتي سورة الأنعام والنّمل نجد أنّ الله عدّد نعمه على عباده من أقوات وأرزاق وثمار، أو لفت انتباه لأوقات قسّمها بحكمته بين ليل يُستراح فيه ونهار تُقضى فيه المصالح، فناسب ذلك "ختمه بالإيمان الدّاعي إلى شكره تعالى على نعمه"[6]، أمّا سورة النّحل ففيها تنبيه لعظيم قدرة الله وحكمته في تسخيره الطّير في جوّ السّماء، وهذا لا يحتاج إلى إعمال فكر لمعرفته بل يكفي

(1) النّحل: 79.

(2) النّمل: 86.

(3) العنكبوت: 24.

(4) الرّوم: 37.

(5) الزّمر: 52.

(6) معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدّين السّيوطي، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 1408هـ–1988م. (34/1).

النّظر إلى السّماء ليلاحظ ذلك، فكان التّركيز على حكمة الله في خلقه، والذي يصل إليه الإنسان بإيمانه.

أمّا في سورة العنكبوت فجاء ذكر معجزة إنقاذ إبراهيم عليه السّلام من الحرق رغم إلقائه فيها، وكثير من المشركين الذين شاهدوا الواقعة بأعينهم لم ينفعهم علمهم بها في شيء، ولم يدفعهم علمهم وتفكّرهم في الواقعة لشيء، فدلّ ذلك أنّه لن يكفي التّفكّر أو العلم للعبرة بذلك، فكان الدّاعي للاعتبار هو الإيمان فخصّهم بالذّكر، وناسب ختم الآية بالإيمان.

وفي سورتي الرّوم والزّمر يمنّ الله على عباده بأنّه هو من يبسط الرّزق لمن يشاء ويقدر وتبتدئ الآيتان باستفهام استنكاري في قوله: "أولم يروا" وفي الثّانية "أولم يعلموا" فدلّ على أنّهم يرون ويعلمون ولكن لن ينفعهم ذلك إن لم يتعدّ إلى نتيجته التي هي الإيمان وزيادته، فلم يكن ليتناسب مع المعنى لو قيل "لقوم يعلمون" بعدما أنكر عليهم كونهم يرون وكأنهم لا يرون، ويعلمون وكأنهم لا يعلمون، فناسب تمام المناسبة أن يكون المؤمنون هم المخاطبون لأنّهم هم الذين يتدبّرون الآيات وينتفعون بها، فيعلمون أنّ سعة الرّزق قد تكون مكرا واستدراجا كما أن قدْره وتقتيره قد يكون تمحيصا فرفعةً وإعظاما[1].

ثانيا: لقوم يوقنون:

اليقين: هو "العلم وإزاحة الشّكّ وتحقيق الأمر"[2]، يقال: أيقنه واستيقنه وتيقّنه أي: علمه وتحقّقه[3]، وهو "من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها، يقال: علم يقين، ولا يقال: معرفة يقين، وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم"[4]، فاليقين: نوع من العلم، ولكنّه يجمع إليه إزاحة الشّكّ وتحقيق الأمر، فهو من أعلى درجات العلم، و"هو سكون النّفس وثلج الصّدر بما علم،

(1) تفسير القرطبي، القرطبي (267/15).
(2) لسان العرب، ابن منظور (457/13).
(3) القامس المحيط، الفيروزآبادي (ص1241).
(4) المفردات، الأصفهاني (ص892).

ولهذا لا يجوز أن يوصف الله تعالى باليقين"[1]، وجاء في لسان العرب: "اليقين نقيض الشّكّ، والعلم نقيض الجهل"[2].

وقد وردت في القرآن الكريم بكون بعض المذكور "آيات لقوم يوقنون" في موضعين:

في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾[3].

وفي سورة الجاثية قوله تعالى: ﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾[4].

والآيتان غير متقاربتين في السّياق، ذلك أنّ آية سورة البقرة حول طلب النّصارى[5] أو "اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله ﷺ"[6] أو مشركي العرب[7] –على خلاف بين المفسّرين[8]– علامات خاصّة لهم ليؤمنوا، كأن يكلّمهم كما يكلّم أنبياءه، وأن تأتيهم آية كما أتتهم[9]، ثمّ بيّن أنّ أقواما طلبوا مثلما طلب هؤلاء، فتشابهت ضلالتهم كتشابه قلوبهم المملوءة بالشّك والرّيب وألسنتهم المغمورة بافترائهم وكذبهم، فبيّن الله أنّ الآيات إنّما نفعت "القوم الذين يوقنون؛ لأنهم أهل التّثبّت في الأمور، والطّالبون معرفة حقائق الأشياء على يقين وصحّة"[10].

فناسبت ختمها بأنّ الذين يتقبّلون الآيات ويذعنون لها هم من لهم موقف الثّابتين الموقنين من هذه الآيات لا غيرهم ممّن ملأ الشّكّ قلوبهم وعقولهم.

---

(1) الفروق اللّغويّة، أبو هلال العسكري (ص81).

(2) لسان العرب، ابن منظور (457/13).

(3) البقرة: 118.

(4) الجاثية: 04.

(5) تفسير الطّبري، الطّبري (550/2).

(6) المصدر السّابق (551/2).

(7) المصدر السّابق (551/2).

(8) ورجّح الطّبري النّصارى دون غيرهم لأنّ ذلك في سياق خبر الله عنهم وعن افترائهم عليه وادّعائهم له ولدا. ينظر: تفسير الطّبري، الطّبري (552/2).

(9) تفسير الطّبري، الطّبري (552/2).

(10) المصدر السّابق (557/2).

أمّا آية سورة الجاثية، فقد وردت بعد آية خلق السّموات والأرض وأنّها آيات لقوم يؤمنون، فمن حصّل الإيمان من تأمّله في السّموات والأرض وما فيهما من أسرار، وأضاف إلى ذلك الاعتبار بخلق الإنسان وتطوّره في الأرحام من نطفة إلى علقة، إلى مضغة، إلى غير ذلك من المراحل ثمّ خروجه إلى الحياة بشراً سويّا، واعتبر كذلك بما بثّ في الأرض –برّها وبحرها– من دابّة، "ففي الاعتبار بذلك كلّه ما يثمر للمؤمن اليقين ويرقّيه إلى أعالي درجات المتّقين"[1].

ثالثا: لقوم يعلمون:

العلم: العين واللّام والميم أصل صحيح واحد، يدلّ على أثر بالشّيء يتميّز به عن غيره[2].والعلم نقيض الجهل[3]، وهو "إدراك الشّيء بحقيقته"[4]، أو "اعتقاد الشّيء على ما هو به على سبيل الثّقة"[5].

وقد وردت المفردة في القرآن بذكر أنّها آيات لقوم يعلمون في خمس مواضع، وهي:

في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[6] فحساب النّجوم والاهتداء بها يختصّ بالعلماء، فتناسب ختمها بيعلمون.

في سورة الأعراف: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[7]

---

(1) ملاك التّأويل القاطع بذوي الإلحاد والتّعطيل في توجيه المتشابه اللّفظ من آي التّنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزّبير الثّقفي الغرناطي، تحقيق: عبد الغني محمّد علي الفاسي، دار الكتب العلميّة بيروت. (442/2).

(2) مقاييس اللّغة، ابن فارس (109/4).

(3) المصدر السّابق (110/4).

(4) المفردات، الأصفهاني (ص580).

(5) الفروق اللّغويّة، أبو هلال العسكري (ص81).

(6) الأنعام: 97.

(7) الأعراف: 32.

التّفصيلات المذكورة من أحكام اللّباس والزّينة، والحلال والحرام من المطاعم والمشارب[1] ثمّ إعلامهم أنّ الطّيّبات ستكون خالصة للمؤمنين في الآخرة دون الكفّار والمشركين[2] فناسبت أن يكون كلّ هذا الكلام من تبيين الأمارات والعلامات والهدايات لقوم لهم علم فينتفعون بعلمهم بهذه التّفصيلات[3].

في سورة التّوبة: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[4] فإنّه لمّا ذكر تشريعات متعلّقة بأحكام أهل الذّمّة من المشركين جعل جملة "ونفصّل الآيات لقوم يعلمون" اعتراضا وقع بين ذلك التّفصيل في أحكامهم، فبيّن به أنّ من تأمّل هذه التّشريعات والتّفصيلات فالكلام موجّه له بأنّه من القوم الذين يعلمون؛ بعثا على تعلّم ما فصّل من الأحكام والتّشريعات في المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها[5]. فهذه المسائل موجّهة لقوم يعلمون وليست موجّهة للجهّال الذين لا يعقلون بيانها وحُكمَها وحِكَمها[6].

في سورة يونس: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[7]. فهذه الظّواهر الخاصّة بالشّمس والقمر ومنازله ومعرفة عدد السّنين والحساب ممّا يختصّ به العالمون، فكان الكلام موجّها لمن لهم تمييز لمثل هذه الأمور.

---

(1) تفسير الطّبري، الطّبري (402/12).

(2) معاني القرآن وإعرابه، الزّجّاج (333/2).

(3) تفسير الماتريدي، الماتريدي (408/4). المحرّر الوجيز، ابن عطيّة (394/2).

(4) التّوبة: 11.

(5) الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل، الزّمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، دار الكتاب العربي بيروت، ط3، 1407م. (251/2).

(6) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ-1946م. (65/10).

(7) يونس: 05.

في سورة النّمل: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1].

لقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالنّظر فيما جرى لقوم صالح من الهلاك، وجعل بيوتهم خاوية بأن استأصلهم[2]، والمؤتمر بأمر الله بأن نظر في عاقبة أمرهم والدّمار الذي حلّ بمدائنهم عالم بحالهم فيكون نظره وعلمه هذا عاملا لأن يكون له عبرة وآية، فكان للعالمين بما جرى هنالك أثر بأنّهم سيتّعظون بذلك.

رابعا: لقوم يتفكّرون:

الفكر: أو التّفكّر هو: "تصرّف القلب بالنّظر في الدّلائل"[3] "قوّة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر: جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب، ولهذا روي: "تفكّروا في آلاء الله ولا تفكّروا في الله"[4]، "قال بعض الأدباء: الفكر مقلوب عن الفرك لكن يستعمل الفكر في المعاني، وهو فرك الأمور وبحثها طلبا للوصول إلى حقيقتها"[5].

وقد أتت في القرآن بذكر أنّها آيات لقوم يتفكرون في سبع مواضع؛ خمسة منها بجمع كلمة "آيات" وآيتان بإفرادها –آية– كلاهما في سورة النّحل، والمواضع هي:

في سورة يونس: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِۚ كَذَٰلِكَ

(1) النّمل: 52.

(2) البحر المحيط في التّفسير، أبو حيّان (254/8).

(3) الفروق اللّغويّة، أبو هلال العسكري (ص75).

(4) المفردات، الأصفهاني (ص643). والأثر مخرّج في كتاب العظمة، لأبي محمّد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرّياض، ط1، 1408هـ (210/1). شرح أصول اعتقاد أهل السّنّة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطّبري الرّازي اللّالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة الرّياض، ط8، 1423هـ- 2003م. (580/3).

(5) المفردات، الأصفهاني (ص643).

نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] فالله ضرب مثلا للحياة الدّنيا في زوالها وفنائها وأنّ سرور العبد وابتهاجه لا يبقى ولا يدوم بأمر محسوس مشاهد وهو سرعة انقطاع النّبات وزواله لما يصيبه من آفة[2]، والرّبط بين المثل والمغزى من إيراده يحتاج إلى التّأمّل فيه، كما أنّ إيجاد وجه الشّبه بين المثل وبين المعنى المستعمل فيه والذي يراد إيصاله يحتاج إلى التّفكّر، وفي هذه الآية ولأنّ المثل واضح والمعنى المستعمل فيه أوضح وهو حقيقة الدّنيا، فلا أنسب فيه من ذكر التّفكّر وأنّ تفصيل المثل وفهمه حقّ الفهم إنّما هو لقوم يتفكّرون، كما أنّه دعوة لمن أراد فهمه حقّ فهمه أن يتّصف بهذه الصّفة وأن يكون من القوم الذين يتفكّرون.

في سورة الرّعد: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3] نجد أن الله تعالى ذكره قد أورد شيئا من عظيم صنعه إلّا أنّ هذا المذكور رغم عِظمه إلّا أنّه لم يصل إلى الإغلاق والإبهام وصعوبة ملاحظته، فكل ما ذُكر –من مدّ الأرض وجعل الرّواسي والأنهار وإخراج الثّمرات من كلّ زوجين اثنين وغشيان اللّيل النهار– يستطيع الإنسان أن يلحظه، فيتوصّل بالفكر إلى الحصول على الاعتبار بها ومعرفة بعض من أوجه الحكمة منها، فكانت الدّعوة إلى التّفكّر فيها مناسبة تمام المناسبة لذلك[4].

في سورة النّحل: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5]. فالإنبات بالماء المنزل من السّماء وخروج مختلف الثّمار منه مما يوصل إلى الاعتبار به، فيكون المذكور آية بمجرّد الفكر بشرط السّلامة من الغفلة.

---

(1) يونس: 24.

(2) تفسير الماتريدي، الماتريدي (30/6).

(3) الرّعد: 03.

(4) ملاك التّأويل، أحمد بن إبراهيم الغرناطي (278/2).

(5) النّحل: 11.

في سورة النّحل: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

فعمل النّحل والعسل الذي يخرج من بطونها مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس ممّا يدعوا إلى التّفكر، فكانت معرفة عملها ورؤية العسل وعجائبه داعية إليه، والاعتبار حاصل منها، ففيها دلالة وحجّة واضحة على أنّ من هدى النحل لهذا، ومن أخرج من بطونها كلّ ذلك؛ أنّه الواحد الأحد الذي لا ينبغي أن يُشرَك به شيئا[2].

في سورة الرّوم: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

فعلامات وحدانيّته سبحانه كثيرة ومن أوضحها حتى وإن لم تروه؛ هذه الآية التي هي سكنكم لأزواجكم، والمودّة والرّحمة التي جعلها بينكم، فكانت العبرة تتجلّى بمجرّد الفكر فيها[4].

في سورة الزّمر: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5].

فعلامات قدرة الله تبدو جليّة واضحة في هذا المشهد الذي يمسك فيه الله ما يمسك من الأرواح، ويرسل ما يرسل منها دون خطإ[6]، ولا يحتاج للتّنبّه إليها إلا إعمال الفكر لتتجلّى قدرته بأنّها آية من آياته الباهرة التي تزيد اليقين وتقوّيه. فأحوال تَوَفّي الأنفس حين الموت وفي المنام فيه من العِبَر للمتفكّرين في هذه الآيات التي يذكرها سبحانه وتعالى. وهي بالإضافة أنها علامات

---

(1) النّحل: 69.

(2) تفسير الطّبري، الطّبري (251/17).

(3) الرّوم: 21.

(4) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث بيروت، ط1، 1423هـ. (410/3).

(5) الزّمر: 42.

(6) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي؛ أبو الحسن علي النّيسابوري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 1415هـ – 1994م. (584/3).

على قدرة الله فهي أيضا علامات على أمر البعث إذ توفّي النّائم وإرسال روحه بعد التوفّي دليل على البعث[1]، وهذه المعاني حاصلة لقوم يجيلون أفكارهم فيه فيعتبرون[2].

في سورة الجاثية: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]. فتسخير الله لعباده كلّ ما ذكره في هذه الآية والتي قبلها -في قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾- كلّها علامات على أنه لايقدر على تسخيرها لكم غيره فكان التّفكّر فيها قائدا لمعرفة أنّ هذا أكبر دلالة على أنّه الرّبّ الذي لا إله غيره، فكانت الدّعوة المناسبة هي دعوتهم للتّفكّر "في آيات الله وحججه وأدلّته، فيعتبرون بها ويتّعظون إذا تدبّروها وفكّروا فيها"[4].

فالآيات التي تختتم بقوله "لقوم يتفكّرون" هي وصف لهم وهي دعوة للاتّصاف بها لمن أراد أن يصل إلى الاعتبار من صنع الله، كذلك تأتي عند ضرب الأمثال لأنّها -الأمثال- تحتاج للتّفكر للوصول إلى المراد منها والمغزى من إيرادها.

خامسا: لقوم يعقلون:

العقل: "العين والقاف واللّام أصل واحد منقاس مطّرد، يدلّ عظمه على حبسة في الشّيء أو ما يقارب الحبسة. من ذلك العقل وهو الحابس عن ذميم القول والفعل"[5].

"العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل، ولهذا قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: رأيت العقل عقلين *** فمطبوع ومسموع"[6].

---

(1) معالم التّنزيل في تفسير القرآن أو تفسير البغوي، البغوي الشّافعي محيي السّنّة، تحقيق: عبد الرّزاق المهدي، دار إحياء التّراث العربي بيروت، ط1، 1420هـ. (122/7).

(2) الكشّاف، الزّمخشري (131/4).

(3) الجاثية: 13.

(4) تفسير الطّبري، الطّبري (66/22).

(5) مقاييس اللّغة، ابن فارس (69/4).

(6) المفردات، الأصفهاني (ص577).

"العقل هو العلم الأول الذي يزجر عن القبائح وكل من كان زاجره أقوى كان أعقل وقال بعضهم العقل يمنع صاحبه عن الوقوع في القبيح"[1].

وقد وردت المفردة في القرآن مرتبطة بكونها آيات لقوم يعقلون في ثمانية مواضع؛ ستّة منها بجمع كلمة "آيات" وآيتان بإفراد كلمة "آية"، والمواضع هي:

في سورة البقرة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2] جمعت آية البقرة ما ذُكر في الآيات الثلاث من سورة الجاثية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3] وكان التّدرّج واضحا في ذكره تعالى ما يكون علامة للمؤمنين ثم ثنّى بما يكون أمارة للموقنين الذين دفعهم إيمانهم إلى التّأمل في أنفسهم وفي خلق الحيوانات فيثمر ذلك يقينا، ثم أعقبها باختلاف اللّيل والنّهار وإحياء الأرض بعد موتها بماء يُنزل من السّماء، وتصريف الرّياح ومنافعها وأنّ من تأمّل ذلك حقّ التّأمّل دفعه هذا إلى درجة أعلى وهو تمكّن إيمانه وثبات يقينه فيعقل بذلك عن ربّه وكان ذلك دليلا على شرف العقل الذي به يحصل الإيمان ثم اليقين. ولمّا كان العقل أكمل المراتب وأعلاها كونه يحتاج للاتّصاف به دقّة وتدبّرا أكثر وأقوى ممّا سبقه للدّخول تحت مسمّى الإيمان واليقين لم يُحتج في آية سورة البقرة – التي جمعت ما ذكر في الآيات الثّلاث لسورة الجاثية وزيادة– إلّا إليه واكتفي به[4].

---

(1) الفروق اللّغويّة، أبو هلال العسكري (ص83).

(2) البقرة: 164.

(3) الجاثية: [3-5].

(4) ملاك التّأويل، أحمد بن إبراهيم الغرناطي (442/2).

في سورة الرّعد: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾[1] وهذه الآية مشابهة إلى حدّ ما لآية سورة النّحل في قوله تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2] وقد أتت أيضا بعد آية اختتمت بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]، وإذا تأمّلنا في الآية وسبب عدم ختمها بالتّفكّر كما ختم آية سورة النّحل، يمكن توجيه ذلك بأنّ ختمها بقوله: "لآيات لقوم يعقلون" اجتنابا للتّكرار في ختم آيتين متتاليتين بنفس العبارة، إلّا أنّ هنالك سببا آخر في ختم كلّ آية بما هي عليه، وهو أدقّ من التّعليل السّابق؛ وهو أنّ في آية الرّعد معان زائدة وأكثر غموضا من التي في سورة النّحل، ذلك أنّ سورة النّحل فيها إنبات الزّرع والزّيتون والنّخيل والأعناب ومن كلّ الثّمرات من الماء، وهذا وإن كان من عجيب قدرة الله إلّا أنّه لظهوره ووضوحه كان الاعتبار به بمجرّد التّفكّر، أمّا سورة الرّعد ففيها من عجيب صنع الله زيادة على إنبات الثّمار والزّرع من الماء الواحد؛ أنّه ذكر تجاور الأراضي وتقاربها وتشابهها في الخصائص إلّا أنّه يُخرج منها أنواعا مختلفة من الزّروع والثّمار، بل ويُخرج منها نخيلا، وهو وإن كان نوعا واحدا إلا أنّه مختلف فبعضه متجمع في أصل واحد يتفرّع عن ذلك الأصل نخلات، وبعضه منفرد بأصله فيخرج منه نخلة واحدة، ثمّ نجد هذه الثّمار والزّروع متفاوتة في ذوقها والمنافع الحاصلة منها. وكلّ ما ذُكِر يعتبر غامضا وصعب الوصول إلى فهمه مقارنة بآية سورة النّحل، فكانت الحاجة إلى طول التّأمّل وصعوبة التّوصّل إلى الاعتبار من هذا متناسبا مع ختم الآية بالعقل الذي به يكشف هذا الغموض والخفاء[4].

---

(1) الرعد: 04.

(2) النّحل: 11.

(3) الرّعد: 03.

(4) ملاك التّأويل، أحمد بن إبراهيم الغرناطي (278/2).

في سورة النّحل: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾[1]

إنّ تدبّر أحوال اللّيل والنّهار والشّمس والقمر وتسخير النّجوم، ومعرفة منافعها وأسرارها ممّا يتّسم بالغموض، "فمن استدرك الآيات فيها استحق الوصف بما هو أعلى من رتبة المتفكّر المتدبّر، لأنّه المنزلة الثّانية التي تؤدّي إليها الفكرة، وهو أن يعقل مطلوبه منها، ويدرك فائدته منها"[2].

في سورة النّحل أيضا: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾[3] وختم الآية بالعقل مرتبط بها وبالآية التي قبلها في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾[4]. فالكلام الوارد في الآيتين يكتنفه من الغموض الكثير؛ ذلك أنّه ذكر اللّبن الصّافي الخالص السّائغ للشّاربين، وخروجه من بين فرث ودم، وهذا فيه من الغرابة ما فيه، وقرن ذلك في الآية الثّانية بالثّمار وكونها طيّبة على حالها وبما يخرج منها من عصير يستطاب ويُستلذّ، "فاحتاج كلّ ما ورد إلى تدبّر يُعقَل به صنع صانع لا يقدر غيره عليه"[5].

في سورة العنكبوت: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾[6]لقد ذكر الله عذابه لقوم صالح في سورة النّمل وختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[7]. ذلك أنّ آثار إهلاكهم بقيت موجودة وهي مدائن صالح، والنّاظر إليها سيصل إلى درجة الاعتبار منها بعلمه بها، أمّا قوم لوط فإنّ إهلاكهم درَس معالمهم، ومحا آثارهم[8] فكان الاتّعاظ بهم محتاجا

(1) النّحل: 12.

(2) درّة التّنزيل وغرّة التّأويل، الخطيب الإسكافي (ص826).

(3) النّحل: 67.

(4) النّحل: 66.

(5) درّة التّنزيل وغرّة التّأويل، الخطيب الإسكافي (ص851).

(6) العنكبوت: 35.

(7) النّمل: 52.

(8) تفسير الطّبري، الطّبري (33/20).

لطول اعتبار في آيتهم، وعلامات هلاكهم المطموسة المدروسة، ولا يوصل إلى ذلك بمجرّد النّظر والفكر بغير العقل، فناسب ختم الآية إظهار أنّ من سيتّعظ بهذا هم قوم يعقلون وبيّن أنّ هذه الآية ستكون بيّنة واضحة جليّة لهم.

في سورة الرّوم: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1] المتأمّل للآية يدرك أنّ الله سبحانه وتعالى لمّا أرى لعباده البرق، وإنزاله الماء من السّماء، وإحيائه الأرض من بعد موتها؛ لا يحصل بهذه الأمور التّذكر والتّبصّر والتّدبّر إلّا لمن أمعن النّظر وأطال التّفكّر والاعتبار وبالغ في ذلك. فناسب ذلك أن تُختار مفردة تؤدّي وظيفتها على أتمّ صورة، للوصول لكمال لتّدبّر، والتي هي ميزة قوم يعقلون[2].

في سورة الرّوم أيضا: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3]. ضرب الله مثلا لا يرضاه البشر لأنفسهم، وهو مشاركة العبيد –الذين من جنس البشر– لهم في رزقهم من غير تفريق بين الحرّ والعبد. فهذا المثل إذا كان لا يرضاه الإنسان لنفسه من إنسان مثله، فكيف يرضاه في حقّ الله سبحانه وتعالى ربّ ومالك الأحرار والعبيد[4]!. وهذا المثَل وإن كان واضحا فإنّه بمثابة غير الواضح؛ كونَ كثير من النّاس يقعون في تناقض بأن يرفضوا هذا الأمر أن يكون حتى مع أبناء جنسهم من ما ملكت أيمانهم، وينسبونه لله سبحانه وتعالى، فبيّن أنّ من يفهم المَثَل حقّ الفهم استحقّ أن يوصف بالعقل. والتّعليل لذكر العقل في الآية توضّحه الآية التي تليها في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟

(1) الرّوم: 24.

(2) ملاك التّأويل، أحمد بن إبراهيم الغرناطي (399/2).

(3) الرّوم: 28.

(4) الكشّاف، الزّمخشري (478/3).

أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[1]، فبيّن أنّ كثيرا من النّاس اتّبعوا أهواءهم بغير علم ولم يعقلوا المثَل فنسبوا لله ما رفضوه لأنفسهم، فاستحقّوا بذلك أن يُسلَب عنهم وصف العقل الذي حازه من وعى وفهم المثَل وعمل بمقتضاه.

في سورة الجاثية: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2] أعقب الله الآيتين الأُولَيين، والتي كانت الأولى منهما عبرة للمؤمنين، والثّانية تثبيتا للموقنين، بالآية الثّالثة، التي ذكر فيها اختلاف اللّيل والنّهار وإحياء الأرض من بعد موتها، بما أنزله من السّماء، وتصريف الرّياح ومنافعها، وكان تأمّل ذلك حقّ التّأمّل دافعا إلى درجة أعلى، وهو تمكّن الإيمان وثبات اليقين، فيعقل بذلك المتأمّل بعد أن استبصر بها، دلالة واضحة عن ربّ العالمين، فجعل الله للوصول إليه –وهو نتيجة دينيّة– علوما كسبيّة محقّقة بالشّواهد العلميّة، ومصحوبة قبل ذلك بالدّلائل المذكورة في آياته الشرعيّة، "فمن لم يستبصر بها زلّت قدمه عن الصّراط المستقيم"[3]، ومن استبصر بها نال شرف الانتساب لطائفة وصفها الله بمزيّة عظيمة ألا وهي أنّهم قوم يعقلون.

سادسا: لقوم يذّكّرون:

التّذكّر: هو "تذكّر ما أنسيته وذكرت الشّيء بعد النّسيان وذكرته بلساني وبقلبي وتذكّرته وأذكرته غيري"[4]، وذكر صاحب المفردات أنّ الذّكر "يقال اعتبارا باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشّيء القلبَ أو القولَ"[5]، "وكثير من صيغ (التّذكير) و(التّذكّر) تصلح لما هو ضدّ

(1) الرّوم: 29.

(2) الجاثية: 05.

(3) لطائف الإشارات أو تفسير القشيري، القشيري عبد الكريم بن هوازن، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب مصر، ط3. (389/3).

(4) لسان العرب، ابن منظور (309/4).

(5) المفردات، الأصفهاني (ص328).

النّسيان ولمعنى الوعظ وهو منه، لأنّه إذا تذكّر قد يزدجر"[1] مثاله في قوله تعالى: ﴿فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾[2].

وقد جاءت في القرآن مرتبطة بكونها آية لقوم يذّكّرون في موضعين؛ أحدهما بجمع كلمة "آيات" والأخرى بإفراد كلمة "آية"، والموضعان:

في سورة الأنعام: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾[3] التّركيز هنا على صفة التّذكّر، وهي الاتّعاظ والانقياد مباشرة، ومناسبتها في الآية؛ أنّ الله ذكر قبلها تعامل صنف من النّاس مع آيات الله في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ...﴾[4]. فذكر أنّهم يكابرون ويعاندون، ويسألون أنبياءهم ما يعلمون أنّهم لن يُجابوا إليه، لا لشيء إلّا ليبقوا على كفرهم، بينما الذين آمنوا فيكفي أن تأتيهم الآية، لينشرح صدرهم للإسلام، فكان الانقياد للصّراط المستقيم لمجرّد ورود الذّكر عليهم فإنّهم "قبلوا مواعظ الله وانتهوا عمّا نهاهم الله عنه"[5]، واستجابوا لله وللرّسول، فكان وصفهم بأنّ ردّ الفعل هذا هو من قوم يذّكّرون ويعتبرون بمجرّد التّذكير، فهم لمّا عُرِّفوا بها اتّعظوا بها. ولمّا كان انقيادهم لها بمجرّد ورودها أُنزلوا منزلة من كان غائبا عنهم شيء ما، "وكأنّ الآيات كانت شيئا غائبا عنهم لم يذكروها، فلمّا فصّلت تذكّروها"[6].

وفي سورة النّحل: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾[7] تكلّم الله في الآية عن ما تخرجه الأرض من أجسام نباتيّة مختلفة الصّفات والألوان

---

(1) المعجم الاشتقاقي المؤصّل، محمّد حسن جبل (719/2).

(2) البقرة: 282.

(3) الأنعام: 126.

(4) الأنعام: 124.

(5) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي (322/2).

(6) البحر المحيط، أبو حيّان (641/4).

(7) النّحل: 13.

والأصناف ومتنافرة الأحوال، وتبيّن بذلك "أنّ المؤثّر فيها ليس واجبا بالذّات بل فاعلا مختارا"[1]، فكان التّذكير كافيا لحصول الاعتبار لقوم صفتهم أنّهم يذّكّرون[2]، وتجلّت مناسبة ختم الآية بقوله: "لقوم يذّكّرون".

سابعا: لقوم يفقهون:

الفقه: الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح، يدل على إدراك الشيء والعلم به"[3].

وفي المفردات "هو التّوصّل إلى علم غائب بعلم شاهد، فهو أخص من العلم"[4].

وقد وردت في القرآن مرّة واحدة مرتبطة بكونها آية لقوم يفقهون والموضع في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[5] ذلك أنّ "إنشاء الخلائق من نفس واحدة ونقلهم من صلب إلى رحم ثم إلى الدّنيا ثم إلى حياة وموت، والنّظر فيه والفكر فيه أدقّ، فناسب ختمه بيفقهون؛ لأنّ الفقه فهم الأشياء الدّقيقة"[6].

---

(1) مفاتيح الغيب، الرّازي (186/20).

(2) ملاك التّأويل، أحمد بن إبراهيم الغرناطي (295/2).

(3) مقاييس اللّغة، ابن فارس (442/4).

(4) المفردات، الأصفهاني (ص642).

(5) الأنعام: 98.

(6) معترك الأقران في إعجاز القرآن، السّيوطي (34/1).

المبحث الثّالث: الألفاظ شديدة التّقارب في المعنى

المطلب الأوّل: النّصب واللّغوب.

ورد النّصب بمعنى التّعب في القرآن الكريم في ستّ مواضع، أمّا اللّغوب فذكر في موضعين:

في سورة التّوبة: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾[1].

في سورة الحجر في قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[2].

في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿فَلَـمّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾[3].

في سورة ص في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[4].

في سورة الشّرح في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾[5].

أمّا اللّغوب ففي موضعين، وجاءت في أحدهما مقترنة بالنَّصَب؛ فأمّا التي وردت فيها منفردة ففي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[6].

---

(1) التّوبة: 120.

(2) الحجر: 48.

(3) الكهف: 62.

(4) ص: 41.

(5) الشّرح: 07.

(6) ق: 38.

وأمّا الموضع الذي وردت فيه المفردتان مقترنتان ففي سورة فاطر في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾[1].

فالمفردتان قريبتان جدّا في المعنى. وفي محاولة لمعرفة المعنى الدّقيق لكليهما، ثمّ تبيُّنِ إمكانيّة استساغة إحلال مفردة محل الأخرى في القرآن، سيتمّ تتبّع المفردتين في المعاجم وأقوال المفسّرين لمحاولة الوصول إلى نتيجة موضوعيّة في المسألة:

1- النّصب واللّغوب في المعاجم اللّغوية:

● **النّصب**: ذكر ابن فارس في مقاييس اللّغة أنّ "النّون والصّاد والباء أصل صحيح يدلّ على إقامة شيء وإهداف في استواء"[2] واستُمِدَّ من النّصب معنى العناء، لأنّ الإنسان إذا بقي منتصبا يصيبه العياء[3]، وقيل: هو الإعياء من العناء[4]، وقيل: المشقّة[5].

وذكر صاحب القاموس المحيط أنّه الوجع، ولكن خصّه بالمرض، ولعلّه مثّل بالمرض فقط ولم يوضِّح أنّه تمثيل فحسب[6].

● **اللّغوب**: من لغب. جاء في مقاييس اللّغة لابن فارس: "اللّام والغين والباء أصل صحيح واحد، يدلّ على ضعف وتعب"[7]، واللّغوب: التّعب والإعياء والمشقّة[8]. تقول: ألغبته أي أنصبته[9] وأمّا صاحبا لسان العرب[10]والقاموس المحيط[11] فذكر أنّ معناه: أعيا أشدّ الإعياء.

---

(1) فاطر: 35.
(2) مقاييس اللّغة، أحمد بن فارس (434/5).
(3) المصدر السّابق (434/5).
(4) لسان العرب، ابن منظور (758/1).
(5) تاج العروس، الزبيدي (270/4).
(6) القاموس المحيط، الفيروزآبادي (ص138).
(7) مقاييس اللّغة، أحمد بن فارس (256/5).
(8) المصدر السّابق (257/5).
(9) الصّحاح، الفارابي (220/1).
(10) لسان العرب، ابن منظور (742/1).
(11) القاموس المحيط، الفيروزآبادي (ص135).

بالمقارنة بين معاني لفظتي النّصب واللّغوب في المعاجم العربيّة نجد:

- بين المفردتين تقارب شديد وبعضهم يجعلهما بنفس المعنى[1].

- اللّغوب أشدّ من النّصب عند ابن منظور والفيروزآبادي حيث ذكرا أنّه أشدّ الإعياء، بينما في لفظة النّصب عرّفها في اللّسان أنّها مجرّد الإعياء، وفي القاموس المحيط ذكر الكدّ والجَهد[2]، وكأنّه يرى أنّ النّصب أيضا فيه شدّة وإن لم يصرّح كما ذكر ذلك في "اللّغوب".

- اللّغوب هو الفتور اللّاحق بسبب النّصب[3].

- النّصب جسماني واللّغوب نفساني[4].

2- *النّصب واللّغوب في أقوال المفسّرين:*

- **النّصب**: التّعب والوجع واللّغوب العناء والإعياء(5). وقيل: اللّغوب: السّآمة(6).
- **اللّغوب**: هو النّصب[7]. قال الزّركشي: "نصب مثل لغب وزنا ومعنى ومصدرا"[8]. وتابعه السّيوطي في الإتقان[9]، كما ذكر أنّ اللّغوب هو الإعياء بلغة حضرموت[10].

---

(1) تاج العروس، الزّبيدي (216/4). قال فيه: وقال جماعة: اللّغوب هو النّصب، أو الفتور اللّاحق بسببه.

(2) القاموس المحيط، الفيروزآبادي (ص138).

(3) تاج العروس، الزّبيدي (216/4).

(4) المصدر السّابق (216/4).

(5) ينظر: تفسير الطّبري، الطّبري 20/ 475، تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم الرّازي، تحقيق: أسعد محمّد الطّيّب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكّة، ط3، 1419هـ. (3184/10). الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي؛ أبو الحسن علي النّيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدّار الشّاميّة، دمشق بيروت، ط1 1415هـ. (894/1).

(6) تفسير الطّبري، الطّبري (375/22).

(7) تفسير الطّبري (37/22)، معاني القرآن وإعرابه، الزّجّاج (49/5). الهداية إلى بلوغ النّهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق وإشراف: الشّاهد البوشيخي وآخرون، جامعة الشّارقة، ط1، 1429هـ – 2008م. (7062/11).

(8) البرهان في علوم القرآن، الزّركشي أبو عبد الله بدر الدّين محمّد، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، 1376هـ – 1957م. (474/2).

(9) الإتقان في علوم القرآن، السّيوطي (239/3).

(10) المصدر السّابق (118/2).

● **النّصب**: الأذى وقيل: الفناء، واللّغوب: التّعب[1].

● **النّصب**: "تعب البدن، واللّغوب تعب النّفس اللّازم عن تعب البدن"[2]. وتابعه في ذلك أبو حيّان في البحر المحيط[3] والآلوسي في روح المعاني[4] وغيرهما.

● **النّصب**: التّعب، واللّغوب: الإعياء من التّعب[5]، وتابعه البغوي فقال: النّصب: العناء والمشقّة. واللّغوب: العياء من التّعب[6]. وقاربهما الزّمخشري في تفسيرهما فقال: النّصب هو "التّعب والمشقّة التي تصيب المنتصب للأمر المزاول له. وأمّا اللّغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النّصب، فالنّصب نفس المشقّة، واللّغوب: نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة"[7]. وإلى معنى قريب ذهب الرّازي أيضا حيث ذكر أنّ اللّغوب هو الإعياء، والنّصب هو سببه[8].

ما يلاحظ من التّفاسير وأقوال المفسّرين ومناقشة آرائهم:

- بالنّظر إلى أقوال المفسّرين نجدهم لم يخرجوا عن المعاجم العربيّة إلا في تفسير من فسّر النّصب بالوجع، وما نُقل في القاموس المحيط قارنا له مع المرض. غير أنّه يتجاوز عن ذلك ويُتَجَوَّز فيه؛ لأنّ الوجع ملازم للتّعب والمشقّة بل هو علامته ففُسِّر بنتيجته وعلامته.

- لم يذكر أحد من المفسّرين -قدماء ومحدثين- أنّ اللّغوب أشدّ من النّصب، ولم يتوافقوا مع ما جاء في لسان العرب والقاموس المحيط.

---

(1) تفسير الماتريدي، الماتريدي (492/8).

(2) المحرّر الوجيز، ابن عطيّة (440/4).

(3) البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي (34/9).

(4) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، الألوسي شهاب الدّين محمود، تحقيق: علي عبد الباري عطيّة ، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 1415هـ. (372/11).

(5) معاني القرآن وإعرابه، الزّجّاج (271/4).

(6) تفسير البغوي، البغوي (697/3).

(7) الكشّاف، الزّمخشري (614/3).

(8) مفاتيح الغيب، الرّازي (241/26).

- المفرّقون بين النّصب واللّغوب بأن جعلوا النّصَب؛ تعبَ البدن، واللّغوب؛ تعبَ النّفس أو السّآمة فقط دون غيرها، غفلوا عن الآية التي نفى الله فيها أن يكون قد مسّه لغوب في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[1]. والآية قد ورد فيها سبب النّزول وهو ما أخرجه الحاكم وصحّحه عن ابن عبّاس رضي الله عنهما "أنّ اليهود أتت رسول الله ﷺ فسألته عن خلق السّموات والأرض، فقال: خلق الله الأرض يوم الأحد والإثنين، وخلق الجبال يوم الثّلاثاء وما فيهنّ من منافع، وخلق يوم الأربعاء الشّجر والماء والمدائن والعمران والخراب، وخلق يوم الخميس السّماء، وخلق يوم الجمعة النّجوم والشّمس والقمر والملائكة إلى ثلاثة ساعات بقين منه، فخلق في أوّل ساعة الآجال حتّى يموت من مات، وفي الثّانية ألقى الآفة على كلّ شئ مما ينتفع به النّاس، وفي الثّالثة خلق آدم وأسكنه الجنّة، وأمر إبليس بالسّجود له وأخرجه منها في آخر ساعة. قالت اليهود: ثم ماذا يا محمّد؟ قال: ثمّ استوى على العرش. قالوا: قد أصبت لو أتممت، قالوا: ثمّ استراح. فغضب النّبي ﷺ غضبا شديدا، فنزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾" [2].

كما روي عن الحسن وقتادة أنّهما قالا: "قالت اليهود: إنّ الله خلق الخلق في ستّة أيّام، واستراح يوم السّابع وهو يوم السّبت. وهم يسمّونه يوم الرّاحة، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[3].

---

(1) ق: 38.

(2) لباب النّقول في أسباب النّزول، جلال الدّين السّيوطي، تحقيق: أحمد عبد الشّافي، دار الكتب العلميّة بيروت، (ص183). والحديث في: المستدرك على الصّحيحين، الحاكم، كتاب تواريخ المتقدّمين من الأنبياء والمرسلين، باب ذكر آدم عليه السّلام. (592/2) رقم 3997 وقال عنه: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه". وتصحيحه فيه نظر فقد تعقّبه الذّهبي في التّلخيص بأنّ في سنده أبا سعيد البقّال، نقل الذّهبي عن ابن معين قال فيه: لا يُكتب حديثه. ينظر: مختصر استدراك الحافظ الذّهبي على مستدرك أبي عبد الله الحاكم، ابن الملقّن سراج الدّين أبو حفص عمر بن علي الشّافعي المصري، تحقيق ج1و2: عبد الله بن حمد اللّحيدان، و سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميّد، دار العاصمة الرّياض، ط1، 1411هـ. (994/2-995).

(3) أسباب النّزول، الواحدي؛ أبو الحسن علي النّيسابوري، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، مؤسّسة الرّيّان بيروت، ط1، 1411هـ – 1991م. (ص413).

فنزول الآية كان ردّا على اليهود، والرّد يكون بنفي الدّعوى، وهم إنّما ادّعوا على الله أنّه تعب من الخلق فاستراح، لا أنّه تعب تعبا نفسيّا أو أصابته السّآمة، فكان الجواب بنفي ذلك، فتبيّن أنّ اللّغوب هو مطلق التّعب وليس مقتصرا على السّآمة أو التّعب النّفسي. وعلى هذا فيحسن تجنّب قصر اللّغوب على التّعب النّفسي والسّآمة، وهذا لا يعني نفي أن يكونا –التّعب النّفسي والسّآمة– من معاني اللّغوب بل يبقى مقبولا وواردا أن يكونا من معانيها.

– القائلون بأنّ النّصَب هو سبب اللّغوب وأنّ اللّغوب نتيجة النّصب غفلوا عن التّرتيب الذي أتت به المفردتان في الآية التي اقترن فيها النّصب واللّغوب في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[1] ذلك أنّ نفي المسبّب قد ذُكر في الآية أوّلا، فانتفاؤه انتفاء للنّتيجة حتما، فيصير ذكرها لغوا من القول لا فائدة منه. وكان سيكون لهذا الرّأي قوّة لو كان التّرتيب عكس الذي ذُكر، فيكون انتفاء النّتيجة –اللّغوب– أوّلا، وهذا لا يستلزم انتفاء المسبّب لأنّه قد يكون هنالك مشقّة دون عياء، وهو مشاهد خاصّة في بداية المشقّة؛ إذ لا يكون هنالك إعياء، فيصحّ بعده ذكر النّصب وأنّه لا يصيبهم أيضا، أمّا والتّرتيب على ما ذُكر فلا.

– القائلون بأنّ اللّغوب هو شدّة الإعياء بينما النّصب هو مجرّد الإعياء، غاب عنهم أنّ نفي النّصَب لـمّا ذُكر أوّلا كان كافيا. ذلك أنّه نفى أدنى التّعب أوّلا، فلو كان كما قالوا لكان ذِكر اللّغوب حشوا لا طائل منه، لأنّه منفيّ بانتفاء أقلّ التّعب، فلـمّا كان التّرتيب على ما ذُكر؛ دلّ على أنّ هذا القول فيه نظر.

– القائلون بأنّ اللّغوب هو الإعياء على لغة حضرموت وأنّ النّصب واللّغوب بمعنى واحد وجّهه بعضهم بأنّه للتّأكيد[2] والمبالغة في انتفاءهما، إلّا أنّ أكثر العلماء على أنّ الاقتران بين

---

(1) فاطر: 35.

(2) درج الدّرر في تفسير الآي والسّور، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: وليد بن أحمد بن صالح الحسين وإياد عبد اللّطيف القيسي، مجلّة الحكمة بريطانيا، ط1، 1429هـ – 2008م. (492/2).

المفردتين بالعطف في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[1] يقتضي المغايرة، وهو ما يدعو إلى التماس فروق بينهما.

- بالجمع بين الأقوال والنّظر في الآيات التي وردت فيها المفردتان نستطيع أن نلاحظ أنّ كلّا من مفردَتي النّصب واللّغوب تدلّان على التّعب والإعياء، فترجّح بذلك على أنّ الخلاف إنّما هو في درجة هذا التّعب.

- في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[2]. بالعودة لنفي الله جلّ وعلا عن نفسه الإعياء الذي ادّعاه اليهود، إذ لو نفى عن نفسه أشدّ درجات الإعياء، لكان بإمكانهم أن يجدّدوا دعواهم بحجّة أنّ الله إنّما نفى شدّة الإعياء، فيجوز أن يكون قد تعب تعبا خفيفا، وهذا ممّا لا يخفى على بشر، فكيف يخفى عنه سبحانه وتعالى، فدلّ ذلك أنّه لا محالة قد ذكر أدنى درجات الإعياء. وهو إلى ذلك قد عبّر بالمسّ الذي هو أدنى اللّمس وأضعف أحوال الإصابة[3] لإبطال أيّ فكرة أنّ تعبا قد مسّه فضلا عن أن يلمسه ويصيبه، وبإضافة "من" في قوله "من لغوب" والتي يقول فيها بعض العلماء أنّها زائدة[4]، وليست كذلك؛ إذ فيها من الحكمة أنّها قد تدلّ على التّبعيض، كأنّه يقول: ولم يمسّنا ولو شيء يسير من اللّغوب، أي أنّه حتى بعضٌ من أدنى درجات الإعياء ما مسّه، ثمّ هو إلى ذلك قد نوّن مفردة " لغوب" وهذا التّنوين للتّحقير[5]. فهو لم ينف الإعياء فقط، كما لم يكتف بنفي أدنى درجات الإعياء، بل نفى أن يكون قد مسّه ولو مجرّد مسّ أدنى درجات الإعياء، بل أكثر من ذلك هو قد نفى أن يكون قد مسّه ولو مجرّد مسّ؛ بعضٌ من أدنى درجات الإعياء.

ثمّ إنّ هذا الأسلوب –نفي الأشدّ ضمنيّا بنفي الأخفّ والأدنى من الشّيء– هو أسلوب قرآني فنجدها في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن

---

(1) فاطر: 35.

(2) ق: 38.

(3) التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور (326/26).

(4) فتح البيان في مقاصد القرآن، محمّد صدّيق خان البخاري القنوجي، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصريّة صيدا، 1412هـ – 1992م. (182/13).

(5) روح المعاني، الألوسي (342/13).

يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] فقد عبّر بالفصم[2] دون القصم[3]، لأنّه إذا انتفى الانفصام عنها، كان انتفاء الانقصام عن العروة الوثقى أحرى وأجلى[4].

-في قوله تعالى في سورة التّوبة: ﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[5] يلاحَظ في الآية عطف ثلاث صفات تصيب المجاهدين في سبيله وهي: الظّمأ والنّصب والمخمصة، وبالعودة إلى المعاجم والتّفاسير في مفردتي الظّمأ والمخمصة يمكن ملاحظة أنّ:

- **الظّمأ**: أشدّ العطش[6]. وجاء في معاني القرآن في قوله تعالى: ﴿يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً﴾[7]، قال: "يجوز الظّمآن والظّمان، على تخفيف الهمزة. وهو الشّديد العطش"[8].

---

(1) البقرة: 256.

(2) الفصم هو أن ينصدع الشّيء من غير أن يبين. ينظر: مقاييس اللّغة، ابن فارس (506/4).

(3) القصم: يقال: قصمت الشّيء قصما، إذا كسرته حتّى يبين. إذا هو كسر فيه بينونة يقال: قصمت الشيء إذا كسرته حتى يبين. وفيه شدّة كما في الآية "وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة" (الأنبياء: 11). ينظر: الصّحاح، الجوهري (2013/5). مقاييس اللّغة، ابن فارس (93/5).

(4) الفروق اللّغويّة (150/1).

(5) التّوبة: 120.

(6) القاموس المحيط، الفيروزآبادي (ص47).

(7) النّور: 39.

(8) معاني القرآن وإعرابه، الزّجّاج (47/4).

● **المخمصة**: "الخاء والميم والصّاد أصل واحد يدلّ على الضّمر والتطامن، فالخميص الضّامر البطن"[1]. وتطلق على المجاعة[2] وهي "شدّة ضمور البطن"[3] من الجوع.

إنّ المتتبّع للأسلوب القرآني يعلم أنّ التّناسق في درجات المفردات المعطوفة هو الحاصل. وفي شرح وتفسير المفردتين نصل إلى أنّ الظّمأ هو شدّة العطش، والمخمصة هي شدّة الجوع. وفي الآية: "ذلك بأنّهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة..." الآية. ، فنخلص من خلال المحافظة على اتّساق السّياق إلى نتيجة أنّ النّصب سيكون فيه شدّة كذلك، وهي شدّة التّعب.

وبالعودة إلى الآيات التي ذُكرت فيها المفردتان نجد:

من سورة التّوبة تمّ الوصول إلى أنّ النّصب هو شدّة التّعب.

في سورة الحجر في قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[4] في الآية نفي من أن يمسّ المتّقين تعب شديد، وقد يطرح إشكال عن أنّ الأسلوب القرآني ينفي الأظهر والأشدّ بنفي الأدنى والأخفى، وهنا نجده قد خالف ذلك بأن نفى شدّة التعب ولم ينف أقلّه!

ويجاب عنه بأنّ الآية التي قبلها في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ قد ذكر الله فيها أنّه سينزع الغلّ من قلوب المتّقين، والغلّ الذي يعنيه هنا ليس الحقد والكراهية و الحسد والبغضاء. ولذلك كان الوصف هنا للمتّقين الذين تخلّوا قلوبهم أصلا من كبائر أمراض القلوب، فتبيّن أنّ الغلّ المذكور لا يُقصّد به الخطير المحظور، وإنّما سينزع ذلك الغلّ الطّبيعي في النّفس البشريّة، والمتميّز بأنّه يسير وخفيّ، والذي قد لا يخلو منه قلب مهما بلغ من الصّفاء ، فكان نزعه هنا؛ هو نزعا لأدنى مسبّبات التّعب النّفسي التي هي من

---

(1) مقاييس اللّغة، ابن فارس (219/2).

(2) معاني القرآن وإعرابه، الزّجّاج (475/2) ومقاييس اللّغة، ابن فارس (219/2) تفسير الطّبري، الطّبري (532/9)

(3) معاني القرآن وإعرابه، الزّجّاج (148/2).

(4) الحجر: 48.

اللّغوب، وإذا نُزع هذا فنزع ما هو أكثر منه أولى وأحرى. لأنّ غايته إيصالهم إلى كمال الرّاحة والتّنعّم في الجنّة. فكانت آية نزع الغلّ نفيا للّغوب، والذي هو هنا التّعب النّفسي الخفيف، وآية عدم مسّ النّصب لهم نفيا لشدة التّعب عنهم في الجنّة.

في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿فَلَـمّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾[1] الآية تتحدّث عن المشقّة[2] والشّدّة[3] التي لقيها موسى عليه السلام وفتاه، ولو لم تكن المشقّة كبيرة لما قال موسى عليه السّلام ما قال، فكانت مفردة النّصب أدلّ على الحالة التي وصلا إليها، وأبلغ في إيصال المعنى المراد.

في سورة ص في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[4] وإن كانت القراءة المشهورة بضمّ النّون وسكون الصّاد إلا أنّها قرئت قراءة عشرية صحيحة بضم النّون والصّاد عند أبي جعفر "بنُصُب وعذاب"، وبفتح النّون والصّاد "بنَصَبٍ وعذاب"[5] عند يعقوب الحضرمي والمعنى بضُرّ وألم وعناء. ومعلوم أنّ أيّوب عليه السّلام قد ابتلي أشدّ الابتلاء فكيف يعبّر عن ذلك بغير ما يدلّ على تلك الشّدّة فكان التّعبير بالنّصب هو الأنسب والأكمل في إيصال المعنى بتمامه.

في سورة الشّرح في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾[6] يذكر المفسّرون أنّ الأمر للنّبيّ ﷺ أن ينصب ويتعب في العبادة، فبعد أن يفرغ من الجهاد أو من تبليغ الرّسالة أو من الفرائض أو من الصّلاة أو غيرها؛ أُمر أن يتفرّغ للاجتهاد في عبادة ربّه والدّعاء وقيام اللّيل وغير ذلك من

---

(1) الكهف: 62.

(2) تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان (593/2).

(3) تفسير يحيى بن سلّام، يحيى بن سلّام بن أبي ثعلبة، تحقيق: هند شلبي، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 1425هـ – 2004م. (196/1).

(4) ص: 41.

(5) التّسهيل لقراءات التّنزيل، محمّد فهد خاروف (ص455).

(6) الشّرح: 07.

العبادات[1] فقوله: "فانصب من النّصب وهو التّعب والدّأب في العمل"[2] ومعلوم أنّ عبادة النّبي ﷺ كانت شديدة، فقد وصفها الله في قوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾[3] على قول من فسّرها أنّها أشدّ وأغلظ وأصعب على الإنسان من قيامه في النّهار[4]. وكان النّبي ﷺ يجتهد في العبادة ويقوم من اللّيل حتى تفطّرت قدماه[5]. فكان الأمر بالنّصب في العبادة، وهو الاجتهاد أشدّ الاجتهاد فيها والدّأب على ذلك والمداومة عليه.

في سورة فاطر في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾[6] لو كان البدء بانتفاء اللّغوب لكان ذلك كافيا وأدعى للاقتصار عليه، لأنّه نفى الأدنى من التّعب والإعياء، لكنّه لمّا بدأ بالنّصب فقد نفى التّعب الشّديد فلم يُذكر التّعب القليل أنّه مرفوع عنهم وبقي محتملا، ولأجل ذلك أتت الزّيادة "ولا يمسّنا فيها لغوب"، لتنفي قليل التّعب أيضا، فبيّن أنّ كمال نعيم أهل الجنّة بانتفاء أدنى التّعب عنهم، فذكر أنّه لن يمسّهم أيضا وعبّر عنه باللّغوب.

الخلاصة:

من المعاجم والتّفاسير نجد تقاربا شديدا في المعنى بين النّصب واللّغوب حتى إنّ كثيرا من العلماء يجعلونهما شيئا واحدا، لا يفرّقون بينهما في الاستعمال، إلا أنّ آية فاطر بيّنت أنّ العطف

---

(1) تفسير الطّبري، الطّبري 24/ 496، تفسير الماتريدي، الماتريدي (569/10).

(2) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثّعلبي أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار التّفسير جدّة، ط1، 1436هـ – 2015م. (236/10).

(3) المزّمّل: 06.

(4) معاني القرآن وإعرابه، الزّجّاج (240/5).

(5) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: "إن كان النّبي ﷺ ليقوم ليصلّي حتى ترم قدماه – أو ساقاه – فيقال له فيقول: أفلا أكون عبدا شكورا". صحيح البخاري، البخاري، كتاب التّهجّد، باب قيام النّبيّ ثلّى الله عليه وسلّم اللّيل حتى ترم قدماه. (50/2)، صحيح مسلم، مسلم بن الحجّاج، كتاب صفة القيامة والجنّة والنّار، باب إكثار الأعمال والإجتهاد في العبادة (2171/4).

(6) فاطر: 35.

بين النّصَب واللّغوب يقتضي التّغاير، ومن آيتي ق والتّوبة أمكن ملاحظة فروق بينهما. والذي مردّه التّفاوت في درجات التّعب. فالنّصب هو شدّة التّعب واللّغوب هو التّعب الخفيف.

المطلب الثّاني: الرّيح الرّياح

الرّيح: هي الهواء المسخّر بين السّماء والأرض[1] والبحث في الرّيح والرّياح سيقتصر على المفردات التي تحمل هذا المعنى.

أكثر الذين تكلّموا في التّفريق بين الرّيح والرّياح في القرآن وصلوا إلى نتائج متقاربة تدور حول كون "المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الرّيح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب، وكلّ موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارة عن الرّحمة"[2].

إلّا أنّ هذه النّتيجة فيها نظر، ذلك أنّهم اعتمدوا على قراءة واحدة في تتبّع اللّفظتين في القرآن، فكان الاستقراء ناقصا، ومعلوم أنّ الاستقراء النّاقص يوصل إلى نتائج ناقصة!.

لقد ورد ذكر الرّيح والرّياح في القرآن في ثمانية وعشرين موضعا وسيتمّ تتبّع اختلاف القراءات في المواضع كلّها، حتى يكون الاستقراء تامّا بالاعتماد في ذلك على كتاب التّسهيل لقراءات التّنزيل[3].

أوّلا: الآيات التي قُرِأَ فيها بالإفراد والجمع معا:

1- ﴿...وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾[4] وقرأ بالرّيح مفردة: حمزة، والكسائي وخلف العاشر.

2- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦ﴾[5] وقرأ بالرّيح مفردة: ابن كثير، حمزة، الكسائي، وخلف العاشر.

---

(1) تاج العروس، الزّبيدي (412/6).

(2) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص370).

(3) التّسهيل لقراءات التّنزيل، محمّد فهد خاروف.

(4) البقرة: 164.

(5) الأعراف: 57.

3- ﴿... أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ ﴾[1] وقرأ بالرّياح بالجمع: نافع، وأبو جعفر.

4- ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ ﴾[2] وقرأ بالرّيح مفردة: حمزة، وخلف العاشر.

5- ﴿...فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾[3] وقرأ بالرّياح بالجمع: أبو جعفر.

6- ﴿...فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾[4] وقرأ بالرّيح مفردة: حمزة، والكسائي، وخلف العاشر.

7- ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ﴾[5] وقرأ بالرّياح بالجمع: أبو جعفر.

8- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ﴾[6]. وقرأ بالإفراد: ابن كثير.

9- ﴿... وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ﴾[7]. وقرأ بالرّيح مفردة: ابن كثير، حمزة، والكسائي، وخلف العاشر.

10- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾[8]. وقرأ بالرّيح مفردة: ابن كثير، حمزة، والكسائي، وخلف العاشر.

11- ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞ﴾[9]. وقرأ بالرّياح بالجمع: أبو جعفر.

---

(1) إبراهيم: 18.
(2) الحجر: 22
(3) الإسراء: 69
(4) الكهف: 45
(5) الأنبياء:81
(6) الفرقان: 48
(7) النّمل: 63
(8) الرّوم: 48
(9) سبأ: 12

12- ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾[1]. وقرأ بالرّيح مفردة: ابن كثير، حمزة، والكسائي، وخلف العاشر.

13- ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِى بِأَمۡرِهِۦ﴾[2]. وقرأ بالرّياح بالجمع: أبو جعفر.

14- ﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ﴾[3]. وقرأ بالرّياح بالجمع: نافع، وأبو جعفر.

15- ﴿...وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾[4]. وقرأ بالرّيح مفردة: حمزة، الكسائي، خلف العاشر.

ثانيا: الآيات التي قُرِأَ فيها بالإفراد فقط:

1- ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ﴾[5].

2- ﴿...حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا﴾[6].

3- ﴿...جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ﴾[7]

4- ﴿...أَوۡ تَهۡوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾[8].

5- ﴿وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا...﴾[9].

6- ﴿...فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾[10].

---

(1) فاطر: 09

(2) ص: 36

(3) الشّورى: 33

(4) الجاثية: 05

(5) آل عمران: 117.

(6) يونس: 22.

(7) يونس: 22.

(8) الحج: 31.

(9) الرّوم: 51

(10) الأحزاب: 09

7- ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا...﴾[1].

8- ﴿...بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]

9- ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾[3]

10- ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا...﴾[4]

11- ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾[5]

ثالثا: الآية التي قُرِأَ فيها بالجمع فقط: وهي آية واحدة:

1- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾[6].

من تتبُّع القراءات يتبيّن أنّ مفردتي الرّيح والرّياح في القرآن بمعنى الرّيح المعروف تكرّر سبعة وعشرين مرّة:

- إحدى عشر مرّة بصيغة الإفراد "ريح".
- مرّة واحدة فقط بصيغة الجمع "رياح".
- خمس عشر مرّة بتنوّع القراءة فيها فتأتي في قراءات بصيغة المفرد "ريح" وفي قراءات أخرى بصيغة الجمع "رياح".

ممّا سبق يتوضّح لدينا أنّ الإطلاق الذي درج عليه أكثر الباحثين يتّسم بالبعد عن الدّقّة كون الاستقراء غير تام.

---

(1) فصّلت: 16

(2) الأحقاف: 24

(3) الذّاريات: 41

(4) القمر: 19

(5) الحاقّة: 06

(6) الروم: 46.

والمؤكّد أنّ استعمالات القرآن للصّيغتين تقتضي الدّقة في موضعها أو التّوسّع في الأمر حين اجتماع الصّيغتين كما سيتبيّن من خلال تتبّع الآيات التي وردت فيها المفردة موضوع الدّراسة:

1- الرّيح بصيغة الإفراد فقط:

وردت إحدى عشر مرّة، وتكررت مرّتين في سورة يونس في الآية (22).

إنّ المتأمّل في مواضع إفراد الرّيح في القرآن يستطيع أن يتبيّن ورودها منفردة فقط على ريح العذاب، ما عدا موضع واحد في سورة يونس، فعلى خلاف هل هي ريح عذاب باعتبار المآل، أم ريح رحمة باعتبار البداية، أم هما ريحان مختلفتان كلّ ريح مغايرة في الصّفة للأخرى. وعلى العموم مردّ إفراد الرّيح وجها واحدا في القراءات العشر للقرآن الكريم يعود إلى:

- الرّيح التي تكون للعذاب المباشر، وغالبا ما تحمل اسم نوع الرّيح أو صفةً لها.
- الرّيح التي تتسبّب في إهلاك الزّرع.
- الرّيح الموصوفة، وتحمل الصّفة الملتصقة بها: كالرّيح الطّيّبة والرّيح العاصف...الخ.

وبالرّجوع للآيات نتبيّن ذلك:

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1]، "ريح فيها صرّ"هي الرّيح التي تحمل بردا شديدا، فالصّرّ: "شدّة البرد وذلك بعصوف من الشّمال في إعصار الطّلّ والأنداء في صبيحة معتمة بعقب ليلة مصحية"[2] فهذا النّوع من الرّيح الذي هذه هي صفته واحد، وهذه الرّيح بالإضافة لكونها للعذاب فهي لإفساد الزرع، فكان استعمال صيغة الرّيح مفردة هي الأصوب والأكمل، ولا يعدل عن ذلك إلى صيغة الجمع أبدا.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ

(1) آل عمران: 117.

(2) تفسير الطّبري، الطّبري (136/7).

ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1]. في الآية ذكر للرّيح في موضعين:

الموضع الأول:

بريح طيّبة: حيث وصف الرّيح بأنّها طيّبة، والرّيح الطّيّبة لم تُجمع. وقد يكون مردّ إفرادها للأسباب الآتية أو بعضها:

أوّلا: أنّ جريان الفلك إنّما يحتاج إلى ريح لا رياح، لأنّها تسير في اتّجاه واحد، ولو كانت رياحا لأثّرت على حركتها بالسّلب، والآية في هذا الموضع تبيّن أنّ تلك الرّيح سيّرتهم أحسن تسيير؛ حتى إنّهم فرحوا بها واطمأنّوا لأنّها تسير كما يشتهون، فإنّ "تمام الرّحمة هناك إنما تحصل بوحدة الرّيح لا باختلافها"[2].

ثانيا: أنّ إفرادها تماشيا مع إفراد "الرّيح" في الموضع الثّاني من الآية نفسها، إذ وَهُم فرحون بما هم عليه، في أعلى درجات الاطمئنان، يتحوّل المشهد فجأة، ولا يحتاج ذلك التّحوّل أكثر من تحوّل نوع الرّيح بسهولة تدلّ على قدرة من يسيّرهم –سبحانه وتعالى– حتى إنه لم يغيّر الرّيح من كونها رياحا إلى جعلها ريحا بل من ريح إلى ريح في سهولة وانسياب، فكانت صيرورتها عاصفا من أسهل ما يكون، وكان هذا التّحوّل السّريع دون سابق إنذار، لتصوير شدّة الارتباك الذي سيحصل لهم جرّاء ذلك، والذي يجعلهم يدركون أنّهم قد أحيط بهم، فلم يبق لهم إلّا اللّجوء إلى الله ودعوته مخلصين له الدّين، ولو كان التغيّر تدريجيا وواضحا لأعدّوا له العُدّة، وكان ذلك سببا في اعتمادهم على الأسباب وعدم التجائهم إلى الله على تلك الصّورة الاضطراريّة التي تجعلهم يدعونه مخلصين له الدّين.

ثالثا: أن الرّيح الطّيبة جاءت في مقابلة الرّيح العاصف "ورُبَّ شيء يجوز في المقابلة ولا يجوز استقلالا نحو: "ومكروا ومكر الله"[3].

---

(1) يونس: 22.

(2) البرهان في علوم القرآن، الزّركشي (11/4).

(3) المصدر السّابق (11/4).

رابعا: أن العبرة بما انتهت إليه الرّيح، وهذه الرّيح رغم أنّ ظاهرها طيّب إلّا أنّها تقدمة للرّيح العاصف فتخدعهم وتأتيهم بغتة فيكون الابتلاء أشدّ[1].

الموضع الثاني: "ريح عاصف": ومردّ إفرادها:

أولا: أنها ريح عذاب.

ثانيا: أنّها قسم خاصّ بالبحر، وهي نوع واحد من أنواع الرّيح الكثيرة، والنّوع الواحد يطلق عليه بالإفراد لا الجمع.

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[2]. الآية هنا في مثل ضربه الله في عذاب من يشرك به، وقد يكون مردّ إفراد "الرّيح" أمران:

الأوّل: أنّها ريح العذاب.

الثّاني: أنّ حالة السّقوط تستدعي ريحا واحدة ليكون السّقوط أشدّ ما يكون، ولو كانت رياحا لكان السّقوط رغم شدّته أخفّ، لأنّ الخرّ سيكون عموديّا والرّياح ستتلاعب به فتنقص قوّته، فلا يصل الخرُّ للحالة القصوى التي يستحقّها المذكور في الآية إلّا بريح واحدة.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾[3]. هذه الرّيح في سياق إهلاك الزّرع، فهي ريح مهلكة ومفسدة لما أنبته الغيث الذي أُنزل من السّماء[4]، وقد يكون مردّ الإفراد لأمرين:

الأوّل: أنّ الرّيح للإفساد والإهلاك فكانت كريح العذاب فاستحقّت الإفراد.

الثّاني: أنّ الرّيح التي تهلك الزّرع وتفسده وتجعله مصفرّا هي ريح واحدة لا رياح[5].

---

(1) التّرادف في القرآن، عثمان محمّد غريب (ص37).

(2) الحجّ: 31.

(3) الرّوم: 51.

(4) تفسير الطّبري، الطّبري (116/20).

(5) ولو أثبت العلم الحديث هذا فسيكون إعجازا علميّا يضاف للموسوعة الضّخمة التي يزخر بها القرآن من جهة الإعجاز العلمي الذي يحتويه. وقد وردت في القرآن في موضعين، في هذه الآية وفي سورة آل عمران 117 وسبق بيانها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾[1].

ومردّ إفرادها:

أوّلا: لأنّها نوع واحد من أنواع الرّياح الكثيرة، وهي الصّبا، وقد كانت رحمة للمؤمنين، وعذابا للأحزاب.

ثانيا: أنّها للعذاب، وريح العذاب تأتي مفردة فقط كما تقدّم.

﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ﴾[2].

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[3].

﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ﴾[4].

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ﴾[5].

﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ﴾[6].

الآيات الخمسة الأخيرة كلّها تتحدّث عن قوم عاد وإهلاكهم بالرّيح، والمواضع كلّها وردت فيها لفظة "الرّيح" مفردة، ويمكن إجمال أسباب ذلك في:

- أنّها ريح العذاب التي أهلك الله بها قوم عاد.
- ذكرت الرّيح الصّرصر والرّيح العقيم وكلّ واحدة على حدة هي نوع من أنواع الرّيح.

---

(1) الأحزاب: 09.

(2) فصّلت: 16.

(3) الاحقاف: 24.

(4) الذّاريات: 41.

(5) القمر: 19.

(6) الحاقّة: 06.

2- ***الرّيح أو الرّياح في الموضع الواحد:*** وهي في القرآن في خمسة عشر موضعا كما تقدّم، والتي أتت فيها مفردة "الرّيح" في قراءات بصيغة الإفراد "ريح"، وفي قراءات أخرى بصيغة الجمع "رياح".

وبالتّمعّن في هذه الآيات والمواضع يتبيّن لنا بوضوح إمكانيّة توجيه سبب الإفراد وكذا الجمع، وبالعودة للآيات يتبيّن ذلك:

ففي قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿...وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1]. يروى عن قتادة في تفسير الآية قوله: «قادرٌ الله ربنا على ذلك، إذا شاء جعلها رحمة، وإذا شاء جعلها عذابا، وإذا شاء جعلها رحمة لواقح للسّحاب ونشرا بين يدي رحمته، وعذابا ريحا عقيما لا تلقح، إنّما هي عذاب على من أرسلت عليه»[2]. فتصريف الرّياح يقتضي تصريف الرّيح كلّ واحدة على حدة كما يقتضي تصريفها مجموعة. فجاز التّعبير بالجمع كما جاز بالإفراد. والتّوجيه نفسه في سورة الجاثية في قوله تعالى: ﴿...وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3].

أمّا في الآيات التّالية وهي:

- في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾[4].
- وفي سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾[5].
- وفي سورة النّمل في قوله تعالى: ﴿...وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾[6].

---

(1) البقرة: 164.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم (275/1).

(3) الجاثية: 05.

(4) الأعراف: 57.

(5) الفرقان: 48.

(6) النّمل: 63.

- في الآيات الثّلاث السّابقة يصف الرّيح أنّها تنشر السّحاب على القراءة بالنّون في "نشرا"، كما تبشّر بنزول المطر، فيستبشر بها النّاس على القراءة بالباء في "بُشرا"[1]، وهذا ما تقوم به الرّيح الواحدة كما تقوم بها الرّياح فجاز التّعبير بالإفراد والجمع معا.

في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[2].

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾[3].

في الآيتين السّابقتين وصف لريح السّقيا، فمن جهة أنّها "منتشرة لينة تجيء من هاهنا وتتفرّق فيحسن من حيث هي منفصلة الأجزاء متغايرة المهب"[4] أن يقال لها رياح بالجمع، ومن جهة أنّ الرّيح الواحدة تثير السّحاب أيضا جاء ذكرها بالإفراد، وقد يكون إفرادها من حيث أنّها اسم جنس[5].

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾[6].

الرّيح هنا موصوفة بالجمع في قوله "لواقح" فيكون جمع الرّياح موافقا للصّفة وهو الأصل، أمّا إذا قرئ بإفرادها فيقول الطّبري: إنّ الرّيح "وإن كان لفظها واحدا فمعناها الجمع، لأنّه يقال: جاءت الرّيح من كلّ وجه، وهبّت من كلّ مكان"[7]، وقد يكون إفرادها لأنّ الرّيح الواحدة تكون

---

(1) النّكت والعيون أو تفسير الماوردي، أبو الحسن علي الماوردي، تحقيق: السّيد ابن عبد المقصود بن عبد الرّحيم، دار الكتب العلميّة بيروت. مؤسّسة الكتب الثّقافيّة بيروت. (148/4).

(2) الرّوم: 48.

(3) فاطر: 09.

(4) المحرّر الوجيز، ابن عطيّة (412/2).

(5) المصدر السّابق (412/2).

(6) الحجر: 22.

(7) تفسير الطّبري، الطّبري (84/17).

لاقحة أو ملقّحة[1]. فيكون التّعبير بالإفراد مرادا لا لأجل أنّه يراد بها اسم الجنس فحسب، وإنّما لأجل كونها تقوم بنفس العمل الذي تقوم به الرّياح من إلقاحها للسّحاب أو للشّجر[2].

﴿...فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾[3].

القاصف هي الرّيح الشّديدة[4] التي تحطم ما مرّت به وتدقّه[5] وقد يراد بها صفة للرّيح فيكون إفراد لفظ "الرّيح" لذلك، أمّا جمعها فقد يراد منه اسم لنوع من أنواع الرّيح، والتي تختصّ بالبحر[6]، فكأنّه قال أنّه يرسل ريحا واحدة من الرّياح الموجودة، وهذه الرّيح هي ريح العذاب التي تعرفونها باسم القاصف والتي تحطم الفلك وما تمرّ به وتكسرها.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[7].

فهو مثل لأعمال الذين كفروا شُبِّهت بالرّماد في اليوم العاصف تبعثره الرّياح وتفرّقه وتذروه حتى لا يُرى له أثر[8]. ويصير كأن لم يكن، ولا فرق بين الرّياح أو الرّيح في يوم عاصف، لأنّ الرّماد لصغر جرمه وخفّة وزنه وشدّة الرّيح أو الرّياح ستكون النّتيجة واحدة، وهو أنّه سيندثر بذلك، فكان التّعبير بالرّياح مُفهما لذلك، كما أنّ التّعبير بالرّيح لا يغيّر من تلك الدّلالة شيئا.

---

(1) المحرّر الوجيز، ابن عطيّة (356/3).

(2) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمّد الأمين بن محمّد المختار الشّنقيطي، دار الفكر بيروت، 1415هـ – 1995م. (267/2).

(3) الإسراء:69.

(4) بحر العلوم أو تفسير السّمرقندي، أبو اللّيث نصر بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم السّمرقندي، تحقيق: علي محمّد عوض، عادل أحمد عبد الموجود، زكريّا عبد المجيد النّوتي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1413هـ- 1993م. (276/2).

(5) تفسير الطّبري، الطّبري (499/17).

(6) لسان العرب، ابن منظور (283/9).

(7) إبراهيم: 18.

(8) الكشّاف، الزّمخشري (547/2).

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ﴾[1].

الهشيم هو النّبات الذي يصير جافّا يابسا متفتّتا فتسفيه الرّيح وتطيّره وتفرّقه[2]، وهو كالرّماد في سورة إبراهيم، فلخفّة وزنه وصغر جرمه تذروه الرّيح الواحدة كما تذروه الرّياح المختلفة إن أتته في وقت واحد. فلذلك كان التّعبير بإفراد الرّيح أو جمعها كلاهما يؤدّي أكمل معنى وأدقّه.

وفي الآيتين السّابقتين –أعني آية سورة إبراهيم في الرّماد وآية سورة الكهف في الهشيم– معنى دقيق آخر في جمع لفظ "الرّيح" وإفراده؛ وهو التّركيز على معنى خاصّ بكلّ مفردة لا يكون في الأخرى. ففي التّعبير بالرّيح كان توجيه التّركيز على حقارة أعمال الذين كفروا وهوان الحياة الدّنيا، فكان المثل الذي ضُرب لهما حقيرا كحقارة الرّماد والهشيم اللّذان تكفي ريح واحدة لتذروهما وتجعلهما هباء منثورا.

أمّا التّعبير بالرّياح فلتوجيه الأفهام لانعدام أيّ أثر سيبقى لأعمال الذين كفروا أو للحياة الدّنيا وزوالها، تماما كما تفعل الرّياح العاصفات بالرّماد والهشيم حيث يكون تأثيرها شديدا واختلاطها مؤذنا باختفاء أيّ أثر لذلك الرّماد أو الهشيم.

في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ﴾[3].

﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ﴾[4].

﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ﴾[5].

---

(1) الكهف: 45.

(2) معاني القرآن وإعرابه، الزّجّاج (291/3)، وتفسير الطّبري، الطّبري (30/18).

(3) الأنبياء: 81.

(4) سبأ: 12.

(5) ص: 36.

الآيات السّابقة التي ذكرت فيها الرّيح مسخّرة لسليمان عليه السّلام، وقد أتت المواضع الثّلاث كلّها بصيغتي الإفراد والجمع[1]، وتوجيه ذلك أنّ سليمان عليه السّلام قد سُخّرت له الرّياح كما ذُكر في الآية، والرّيح الواحدة متضمَّنة في مجموع الرّياح، فالتّعبير بالرّياح يفيد أنّ الرّيح الواحدة مسخّرة له كونها من الرّياح، كما أنّ التعبير بالرّيح لا يمنع أن تكون سُخّرت له الرّياح.

في قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[2].

وردت الرّيح بالإفراد والجمع في الآية، وتوجيه الإفراد فيه تركيز على الموقف الواحد، فالسُّفن تكون في البحر تجري، والأنسب لها أن تكون ريحا واحدة لتوجّه أشرعتها بما يساعد في حركتها، فإن أسكن الله سبحانه وتعالى الرّيح تبقى السّفن دون حركة، ثمّ إنّ إسكان الرّياح على قراءة الجمع هو إسكان للرّيح الواحدة لأنّها من الرّياح وهي ساكنة كلّها.

أمّا القراءة بالجمع فباعتبار اختلاف المواقف الذي يتكلّم عن الحالة العامّة الدّائمة في كلّ مرّة يُسكن الله فيها الرّياح، فكان تعدّد المواقف معدّدا للرّياح التي تتجدّد بتجدّدها، كما تسكن بعدد مرّات تلك المواقف.

3- الرّياح بصيغة الجمع فقط:

وردت في القرآن الكريم بصيغة الجمع فقط في موضع واحد لا غير، وهي في سورة الرّوم في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3].

---

(1) وليس كما ذكر الرّازي في تفسيره أنّها لم تُقرأ إلّا على التّوحيد والإفراد، حيث قال: "المسخَّر لسليمان كانت ريحا مخصوصة لا هذه الرّياح، فإنّها المنافع عامّة في أوقات الحاجات، ويدلّ عليه أنّه لم يقرأ إلا على التّوحيد، فما قرأ أحد الرّياح". ينظر مفاتيح الغيب، الرّازي (197/25).

(2) الشّورى: 33.

(3) الرّوم: 46.

ومردّ ذلك: أن التّعبير بالمبشّرات بالجمع يفيد معنى زائدا، حيث أنّ هذه هي الآية الوحيدة التي عدّد الله فيها منافع الرّيح، وجمع بين منافعها في البرّ والبحر، فأُنزلت منزلة "النّاطقة بالبشارة أنّه سيأتي الغيث الذي تحيي به الأرض لما فيها"[1]، ومن بشارتها أنّها "تلقح الأشجار والنّخيل، وتشقّ الأرض وينبت النّبات منها، وتجمع السّحاب وتأتي بالمطر"[2]، ومن بشارتها أيضا أنّها تُجري السّفن والفلك في البحار[3]. فناسب تعدّد المنافع وتعدّد المواضع؛ أن تأتي مفردةُ "الرّياح" بصيغة الجمع فقط للدّلالة على جزيل نعم الله على عباده بها، ولأنّ صيغة المفرد لا تحمل المعاني المرادة كلّها، فتعدّد الرّياح يستلزم جمعها، ولا يصلح الإفراد البتّة.

المطلب الثّالث: المطر والغيث والماء.

أكثر الذين يبحثون في الفروق بين الألفاظ، يدرسون الفرق بين المطر والغيث فقط دون البحث في الاستعمال القرآني للفظ الماء مقرونا بإنزاله من السّماء، فالماء معروف وهو يشمل المطر والغيث، لكن الأسلوب القرآني كما استعمل المطر أحيانا والغيث أحيانا أخرى فقد استخدم إنزال الماء أيضا، فكان إبراز وجه الدّقة في ذلك مطلبا ملحّا، والإجابة على إشكال يرِد؛ وهو ما سبب استخدام كلّ مفردة في موضع دون غيره، ولو كان استعمال مفردتي "الغيث" أو "المطر" كافيا، فلِم ذُكِرت في سياق واستُبدِلت بإنزال الماء في سياق آخر؟!.

تعريف الماء والمطر والغيث من المعاجم:

الماء: اسم جنس إفرادي، وأصله ماه. وهو جوهر لا لون له، وهو عند العرب من الأمور المعروفة التي لا تحتاج إلى شرح[4].

---

(1) تفسير ابن فورك، محمّد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، تحقيق: علال عبد القادر بندويش، جامعة أمّ القرى، ط1، 1430هـ – 2009م. (439/1).

(2) تفسير الماتريدي، الماتريدي (287/8).

(3) المصدر السّابق (287/8).

(4) تاج العروس، الزّبيدي (506/36-507).

المطر: "الميم والطّاء والرّاء أصل صحيح فيه معنيان: أحدهما الغيث النّازل من السّماء..."[1]، وقيل: هو ماء السّحاب المنسكب منه[2].

الغيث: الغين والياء والثّاء أصل صحيح، وهو الحيا النّازل من السّماء[3]، وهو المطر[4]. ولعلّ أصل الغيث يقترب من الغوث[5] التي بمعنى الإغاثة؛ وهي الإغاثة والنّصرة عند الشّدّة[6]. وقيل: "الغيث ما كان نافعا في وقته، والمطر قد يكون نافعا وضارّا في وقته وغير وقته"[7].

بتتبّع المفردات الثلاث في القرآن الكريم نجد:

آيات ذكر المطر واشتقاقاتها:

في سورة النّساء وردت مطلقة في قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ﴾[8].

في سورة الأعراف جاءت لفظة "مطر" مع الإمطار في قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[9].

في سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[10]. ذُكر الإمطار مع الحجارة بدعاء من أبي

---

(1) مقاييس اللّغة، ابن فارس (332/5).
(2) تاج العروس، الزّبيدي (132/14).
(3) مقاييس اللّغة، ابن فارس (03/4).
(4) تاج العروس، الزّبيدي (317/5).
(5) دقائق الفروق اللّغويّة، محمّد ياس خضر (ص121).
(6) مقاييس اللّغة، ابن فارس (400/4).
(7) تفسير القرطبي، القرطبي (29/16).
(8) النّساء: 102.
(9) الأعراف: 84.
(10) الأنفال: 3.

جهل[1] وقيل النّضر بن الحارث، وقد "قالوه لشبهة كانت في صدورهم، أو على وجه العناد والإبهام على النّاس أنّهم على بصيرة"[2].

في سورة هود وفي سورة الحجر أيضا ذكر عذاب قوم لوط بالإمطار بالحجارة في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾[3] وقوله عزّ وجل: ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾[4].

جاء الإمطار مقترنا بمطر السّوء الذي هو حجارة العذاب كما ذكر أهل التّفسير[5] في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِۚ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَاۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾[6].

ورد المطر مع الإمطار، ثمّ بيّن أنّه "بئس ذلك المطر؛ مطر القوم الذين أنذرهم نبيّهم فكذّبوه"[7]، وهذا في موضعين متماثلين في سورتي الشّعراء[8] والنّمل[9] في قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾.

---

(1) نصّ الحديث: عن عبد الحميد صاحب الزّيادي، سمع أنس بن مالك قال: قال أبو جهل: اللّهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السّماء، أو ائتنا بعذاب أليم، " فنزلت: {وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون..." الآية. صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قول الله تعالى: "وإذ قالوا اللّهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السّماء أو ائتنا بعذاب أليم" (62/6). صحيح مسلم، مسلم بن الحجّاج ،كتاب صفة القيامة والجنّة والنّار، باب في قوله تعالى: "وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم..." الآية (2154/4).

(2) تفسير القرطبي، القرطبي (398/7).

(3) هود: 82.

(4) الحجر: 74.

(5) تفسير الطّبري، الطّبري (272/19). الكشّاف، الزّمخشري (281/3).

(6) الفرقان: 40.

(7) تفسير الطّبري، الطّبري (389/19).

(8) الشّعراء: 173.

(9) النّمل: 58.

في سورة الأحقاف بصيغة اسم الفاعل "ممطر" في قوله تعالى: ﴿فَلَـمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

من الآيات السّابقة نستطيع أن نلاحظ ما يلي:

– وردت لفظة "أمطر" في سبع مواضع: ثلاث منها مع لفظة "مطر"، وثلاث مع "الحجارة" بالتعذيب بها، وفي موضع واحد ذكرت مع "مطر السّوء".

– وردت لفظة "مطر" في خمسة مواضع، ثلاث منها مع لفظة "أمطر"، وواحدة موصوفة بأنّها "مطر السّوء"، وواحدة على إطلاقها.

– وردت لفظة "ممطر" بصيغة اسم الفاعل من الرّباعي "أمطر" مرّة واحدة في سورة الأحقاف.

ممّا سبق نستطيع أن نستشفّ منهج القرآن في استعمال كلمة المطر ومشتقّاتها:

– ما كان فيه العذاب واضحا كإمطار الحجارة، وإمطار مطر السوء كلّها تعدّت بفعل الإمطار.

– المطر الذي هو من إمطار المطر لا يُستَعمل في القرآن إلّا في العذاب والإهلاك.

– كلّ المطر المذكور في القرآن هو من الإمطار ما عدا الذي في سورة النّساء، فذُكر مطلَقا، ولم يقيّد بالإمطار.

– آية النّساء والتّعبير بقوله تعالى: "إن كان بكم أذى من مطر" لا تدلّ على أنّ كلّ مطر هو أذى وعذاب، بدليل السّياق، فمفهوم الآية أنّه يمكن أن يكون مطر ولا يكون بكم أذى، وعند ذلك لستم معنيّين بالحكم المذكور، وإنّما خُصّ الصّنف المذكور إذا توفّر فيه شرطَا المطر والأذى منه، فإذا تخلّف الأذى عن المطر، فكان هنالك مطر ولم يكن أذى فالكلام غير موجّه لكم.

– آية الأحقاف ورد ذكر اسم الفاعل "ممطر" في قوله تعالى: "عارض ممطرنا" واسم الفاعل هنا مشتقّ من الرّباعي "أمطر" وليس من الثّلاثي "مَطرَ"، فاسم الفاعل من الثّلاثي هو "ماطر"

(1) الأحقاف: 24.

وليس ممطر، فدلّ ذلك على أنّ ألسنتهم قد قالت ما يستحقونه حقيقة بما اجترحوه من جرم[1]، وإلّا فالتّعبير بماطرنا كان هو اللّائق بالمقام الذي يقتضي استبشارهم بالغيث.

الخلاصة:

- المطر المطلق لا يدلّ على اختصاصه بنفع أو ضرّ، إلا إذا وُصف بأحدهما.
- المطر من الرّباعي "أمطر" يدلّ على العذاب والإهلاك.
- قصر دلالة مفردة "المطر" على العذاب خطأ.
- المطر من الفعل الثّلاثي "مَطرَ" يختصّ بالنّافع منه، ولذلك ورد في الحديث: "...مطرنا بفضل الله ورحمته..."[2] ولم يقل أُمطِرنا.
- الفعل مطر يطلق في الخير، أما الفعل أمطر فيقصد به العذاب[3].
- دقّة القرآن تتبيّن في ربطه الإمطار بالمطر أو بغيره بكلّ ما فيه العذاب والإهلاك، بينما ذُكر المطر ولم يُذكر معه الإمطار في موضع واحد فقط، وذلك الموضع ليس للإهلاك، إنّما هو لاحتمال حصول أذى به، فكان عدم ربطه بالإمطار هو الصّواب وما سواه غلط، وهو ما نجده قد روعي في القرآن الكريم.

آيات ذكر إنزال الماء:

ورد ذكر إنزال الماء في عشرين موضعا؛ بين التّعبير بإنزال الماء وتنزيله من السّماء:

في سورة البقرة: ﴿...وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡ﴾[4].

---

(1) دراسات جديدة في إعجاز القرآن، مناهج تطبيقيّة في توظيف اللّغة، عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة القاهرة، ط1، 1417هـ-1996م. (ص96).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الأذان، باب: يستقبل الإمام النّاس إذا سلّم (169/1). صحيح مسلم، مسلم بن الحجّاج، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنّوء (83/1).

(3) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص770).

(4) البقرة: 22.

في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾[1].

في سورة الرّعد في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾[2].

في سورة إبراهيم: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾[3].

في سورة الحجر في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾[4].

في سورة النّحل في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾[5].

في سورة النّحل في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[6].

في سورة طه: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾[7]

في سورة الحجّ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[8].

---

(1) الأنعام: 99.

(2) الرّعد: 17.

(3) إبراهيم: 32.

(4) الحجر: 22.

(5) النّحل: 10.

(6) النّحل: 65.

(7) طه: 53.

(8) الحجّ: 63.

في سورة المؤمنون في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾[1].

في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾[2].

في سورة النّمل: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾[3].

في سورة العنكبوت في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[4].

في سورة الرّوم في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[5].

في سورة لقمان في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[6].

في سورة فاطر في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ﴾[7].

---

(1) المؤمنون: 18.

(2) الفرقان: 48.

(3) النّمل: 60.

(4) العنكبوت: 63.

(5) الرّوم: 24.

(6) لقمان: 10.

(7) فاطر: 27.

في سورة الزّمر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1].

في سورة الزّخرف في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[2].

في سورة ق: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾[3].

في سورة النّبأ في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾[4].

بعد عرض آيات إنزال الماء والرّجوع إلى التّفاسير يتبيّن أنّ الاستعمال القرآني لإنزال الماء لم يخرج في سياقه عن التّفضّل والإنعام على العباد بماء السّماء، من إحياء الأرض بعد موتها، وإخراج الأنواع المختلفة من الزّروع والثّمار والنّخيل وغيرها، وسقي المخلوقات من الإنسان وسائر الحيوان، وحتّى في آية الزّمر في المثل الذي ضربه الله لعباده ليبيّن لهم قدرته وأنّ تحوّل ما خرج من الأرض هو بقدرة قادر سبحانه، كان السّياق سياق تفصيل لإنعامه عليهم، ثمّ بيّن أنّه لا يُسأل عما يفعل، ولا يفعل ما يفعل ملزما أو مقيّدا بأيّ أمر، وكان تغيير ذلك دالّا عليه وعلى قدرته المطلقة بإماتة الأرض بعد إحيائها تماما كإحيائها بعد موتها.

وهذا المعنى الذي في إنزال الماء من الخير والتّفضل والإنعام هو المعنى العامّ لإنزال الماء من السّماء وهو ما يذكره كثير من الدّارسين في مفردة الغيث[5].

آيات ذكر الغيث:

ورد ذكر الغيث في ثلاث آيات في القرآن الكريم:

---

(1) الزّمر: 21.

(2) الزّخرف: 11.

(3) ق: 09.

(4) النّبأ: 14.

(5) ولذلك تجدهم يكتفون بمحاولة إيجاد الفروق بين الغيث والمطر دون إنزال الماء، رغم أنّ المذهب المتّبع في دراسة مفردتي "الغيث" و"المطر" هو نفي التّرادف وإثبات الفروق وهذا ما يمنع القول بالتّوافق التّام في المعنى، فيلزم من ذلك وجود فروق بين إنزال الماء والغيث أيضا، وإثبات الدّقّة التي امتاز بها الأسلوب القرآني ولم يحد عنها في أيّ مفردة، وذلك بالبحث في آيات الغيث لمحاولة الوصول إلى وجه الدّقة في استعمال كلّ منها.

الموضع الأوّل: في سورة الشّورى في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[1].

في آية سورة الشّورى؛ نجد معنى الغيث اللّغوي الذي هو نزول الماء من السّماء لإحياء الأرض ومن فيها؛ مع اقتران الغيث ههنا بالإغاثة عند الشّدّة؛ فنميّز في الآية:

- أنّ نزول الغيث جاء بعد قحط شديد جعل النّاس يقنطون وييأسون من نزوله.
- أنّ الغيث لم تكن تظهر بوادره فلم يكونوا ينتظرونه بما عهدوه بالتّجربة من أمارات مجيئ المطر، ما أدّى بهم إلى اليأس والقنوط.
- أنّ الخيريّة والرّحمة مقترنة به بدليل قوله تعالى عقب ذلك: "وينشر رحمته".

الموضع الثّاني: في سورة الحديد في قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[2].

يذكر كثير من الدّارسين أنّ الغيث مختصّ بالرّحمة، بينما نجد في ظاهر آية سورة الحديد ما يوحي أنّ الغيث ليس للخير والرّحمة، ويجاب عنه أنّ تغيّر المآل بما سيصل إليه نتاج الغيث، لا يغيّر من حقيقة الغيث في ذاته، وأنّه نافع في ما أُنزل لأجله، ثمّ إنّ التغيّر إنّما وقع للنّبات بعد استوائه وليس للغيث ولا لأثره، فلا إشكال في ذلك.

ولعلّ التّأمّل في هذه الآية يدعو إلى إمعان النّظر في آية أخرى فيها أوجه من الشّبه مع آية سورة الحديد ثمّ المقارنة بينهما، فالوصول إلى نتيجة موضوعيّة مبنيّة على أسس متينة. وهذه الآية من سورة الزُّمر في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ

(1) الشّورى: 28.

(2) الحديد: 20.

ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

آية سورة الزّمر وإن كانت تحمل معنى حقيقة الدّنيا[2]، إلّا أنّ التّركيز واضح على جهة تبيين الله جانبا من قدرته التي يستطيع الإنسان أن يراها، بأنّه أنزل الماء من السّماء فأجراه عيونا، ثمّ يحيي به الأرض فينبت بذلك الماء زرعا متنوّع الأصناف، إلّا أنّه لا يبقى على حاله فييبس ويصير مصفرّا بعد خضرته، ثمّ يجعله فتاتا متكسّرا، وهو يوصل إلى أولي الألباب والعقول رسالة مفادها أنّ من فعل ذلك قادر على إحداث ما يريد، وإحياء من هلك من الخلائق بعد موتهم، وإعادة بعثهم بعد فنائهم، تماما "كالذي فعل بالأرض التي أنزل عليها من بعد موتها الماء؛ فأنبت بها الزّرع المختلف الألوان بقدرته"[3]، "ليُعلم أنّ من قدر على جعل ما جعل في الماء من اللّطف، والمعنى الذي يوافق كلّ شيء من النّبات والشّجر وإن اختلفت جواهرها وألوانها وطعمها، لا يعجزه شيء، ولا يخفى عليه شيء، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله"[4].

ثمّ إنّ المتأمّل فيها يظهر له ذلك الوقت المُستغرَق والذي دلّ عليه ذكر تفاصيل كثيرة؛ بدءًا بإنزال الماء من السّماء، ثمّ جريانه في باطن الأرض ليخرج من العيون على هيئته وخصائصه. واستعمل حرف العطف "ثمّ" في خروج الزّرع، ثمّ بعد المرور بكلّ تلك المراحل يهيج ويصفرّ وعبّر بفعل "يجعله" الذي يفيد طول مدّة التّصيير حطاما، كما أنّ التّعبير به يفيد نسبة الفعل إليه، وهو أكمل في أداء المعنى؛ ما دام السّياق سياقَ إظهار قدرته سبحانه.

بينما في سورة الحديد هو مَثَل قد ضربه الله ومثّل به الحياة الدّنيا، وأنّها "معرّضة للزّوال، غير لابثة ولا ماكثة، وهي في الحال شاغلة عن الله، مطمعة وغير مشبعة، وتجري على غير سنن

(1) الزّمر: 21.

(2) تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان (674/3).

(3) تفسير الطّبري، الطّبري (277/21).

(4) تفسير الماتريدي، الماتريدي (672/8).

الاستقامة"[1]، فلمّا كان حالها انخداع من يغفل عن حقيقتها، ومجيئ كلّ ذلك بغتة، عبّر عنه بإيجاز شديد مقارنة بما ذكره في سورة الزّمر، فاختزل كلّ الخطوات من نزول الماء ثمّ سلوكه ينابيع في الأرض، ثمّ سقيه الأرض وخروج الزّرع، واستوائه واستبشار الزّرّاع أو الكفّار به، فجمع كلّ ذلك في تعبير موجز في قوله: "كمثل غيث أعجب الكفّار نباته" ثمّ انتقل مباشرة إلى حالة الفساد في قوله: "ثم يهيج فتراه مصفرّا" ثمّ يكون حطاما في سرعة وانسياب كأكثر ما يكون، حتّى كأنّه لا يوجد وقت لهذا التّحوّل، فكان التّعبير بقوله "يكون" أدلّ على كلّ ذلك من التّعبير بقوله "يجعل" كما في سورة الزّمر. وفي سرّ استعمال مفردة "الغيث" في هذا السّياق هو أنّ زخرف الحياة يبهر المنغمس فيها كما يبهر الغيثُ الزّرّاع، فهو عندما يأتي بعد قنوط النّاس، يجعلهم مستبشرين به أيّما استبشار؛ ما ينسيهم احتمال تحوّل نتاجه إلى حطام، فكان تشبيهها بالغيث لذلك، ثم إنّه لمّا كانت الدّنيا مخادعة، وكان تحوّلها على صاحبها كأسرع ما يكون، والاغترار بها يؤدّي إلى عدم الإحساس بخداعها والاطمئنان والرّكون لها، كان كمال الانخداع أن يعبَّر بالغيث الذي هو نزول ماء الرّحمة بعد قحط وجذب، فإذا بالمشهد يتحوّل من ظاهره الذي هو غيث الرّحمة والإنبات إلى مآله الذي هو زوال ذلك النّعيم، ثم الخسران لمن خُدع به، والمغفرة والرّضوان لمن اعتبر ولم يغترّ.

الموضع الثّالث: في قوله تعالى في سورة لقمان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾[2].

(1) لطائف الإشارات، القشيري (541/3).

(2) لقمان: 31.

جاء في الحديث[1] أنّ النّبي ﷺ قال: "مفاتيح الغيب خمس: ثمّ قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾"

ورد ذكر الغيث مع الغيبيّات الخمس التي استأثر الله بعلمها، وهذا الغيث ليس كلّ الماء النّازل، بل هو الغيث الذي يكون فيه معنى الإغاثة، حيث تعجز الأرصاد الجويّة ومراكز البحث عن اكتشافه، ومعرفة كمّيته ووقت نزوله، وهذا القول متناسق مع ما وصل إليه العلم الحديث من معرفة وقت نزول المطر وكمّيّته، فالله لم يخصّ بالغيب عموم المطر، بل اختصّ نوعا منه وهو الغيث.

الخلاصة:

- المطر هو الماء النّازل من السّماء نافعا كان أو ضارّا.
- المطر من "أمطر" هو الضّار وهو مطر العذاب.
- المطر من "مَطَرَ" أوسع في الدّلالة، ويدلّ على الماء النّافع أو غير النّافع ويخرج منه مطر العذاب.
- التّعبير بإنزال الماء عامّ، واستعماله في القرآن في سياق الإنعام والخير والتّفضّل فقط.
- الغيث يحمل معنى الإغاثة، فهو من إنزال الماء من السّماء وقت القحط وشدّة الحاجة إليه وانقطاعه عن النّاس لدرجة القنوط.
- الغيث هو الذي اختصّ الله بعلمه وأبقاه في عالم الغيب في آية لقمان.

لم يخرج القرآن في الاستعمال عن المعنى الدّقيق للمفردات الثّلاث في أيّ موضع بل كان اختيار كلّ مفردة بما يقتضيه المعنى والسّياق.

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: "إنّ الله عنده علم السّاعة..." (115/6). صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، كتاب الإيمان، باب: الإيمان ما هو وبيان خصاله (39/1). واللّفظ للبخاري.

الخاتمة ونتائج البحث:

من خلال الدّراسة عن المفردة القرآنيّة يمكن الوصول إلى نتائج تكون جوابا للإشكاليّة المذكورة في أوّل البحث، ويمكن إجمال هذه النّقاط في:

- المعاني الدّقيقة قد تخفى علينا لبعدنا عن الكلام العربيّ، وإلّا فلم يكن يخفى على العرب مثل هذه الفروق، ولو وجدوا لما توانوا عن الطّعن في القرآن الذي كانوا يواجهونه بكلّ ما أوتوا من قوّة، حتى قدّموا رقابهم لأجل ذلك. فلمّا لم يفعلوا دلّ ذلك على أنّهم كانوا يفهمون الدّقيق من المعاني.
- اهتمام العرب بدقائق الألفاظ واعتبار أي خروج عنه عيبا، جعلهم يدركون دقّة المفردات القرآنيّة ولذلك لم يعترضوا على أيّ مفردة ولا جملة ولا تعبير.
- تمتاز المفردة القرآنيّة بالدّقّة في كلّ جوانبها.
- الفواصل ورغم ما تحويه من جرس صوتيّ، إلّا أنّ المفردة القرآنيّة دائما تجعل دّقّة المعنى في تكامل تامّ مع الجرس الصّوتيّ والنّغم، سواء كان ذلك النّغم متوافقا في الظّاهر، أو مخالفا له.
- العلاقة بين اللّفظ والمعنى علاقة تكامل، فما خالفت فيه الفاصلة الجرس الصّوتي في نسق ما، فإنّ لها سببا في المعنى كما أنّ لها سببا في الصّوت يجعل الجرس الصّوتي المختار أولى من غيره أيضا. فلا أولويّة للّفظ على المعنى كما أنّه لا أفضليّة للمعنى على اللّفظ.
- مراعاة الفاصلة لا يكون فقط بمراعاة الجرس الصّوتي، فحتّى الخروج عن الجرس الصّوتي هو مراعاة للفاصلة أيضا، ذلك أنّ الفاصلة تتميّز عن الأسجاع في أنّها تابعة للمعاني متكاملة معها.
- أهمّيّة المفردة القرآنيّة باعتبارها الوحدة الأساسيّة للآية فالآيات والسّور المتشكّلة من مجموع مفردات متناسقة الجرس متّسقة الأسلوب متكاملة المعنى.
- في المفردات المتقاربة في المعنى؛ اختيار مفردة على حساب أخرى يكون بالنّظر في المعنى الدّقيق الذي يحتاج إليه السّياق، والموجود في المفردة المختارة، دون غيرها.

– العلم بدقّة المفردة القرآنيّة مهمّ للمفسّر لأنّه سيجعله يتنبّه للفروق الموجودة، فيصل لاستنباط المعاني المكنونة، والمتخفّية وراء تلك الدّقّة.

– السّياق مهمّ جدّا لمعرفة دقّة المفردة القرآنيّة، والتّركيز المنصَبّ على المفردة إنّما هو لطبيعة الموضوع، وإلا فلا يمكن معرفة سرّ اختيار المفردة دون الرّجوع إلى السّياق، فبينهما ارتباط وثيق.

– المفردة القرآنيّة لا تعيي عن استيفاء المعنى الذي وُضعت له، كما أنّها لا تتعدّاه إلى معان أخرى زائدة غير مرادة.

– التّطابق التّام في المعنى بين مفردتين غير ممكن، وتفضيل القرآن لمفردة على غيرها يعود لتلك الفروق الدّقيقة التي قد تخفى.

– الكلام المعجز لا يضع مفردة مكان أخرى ولو كان تقارب المعاني شديدا، فاختيار المفردة هو منتهَى الدّقّة، سواء عُلم وجه تلك الدّقة أم لم يُعلَم.

– اختلاف القراءات يدعونا إلى الاستقراء التّام وعدم تعميم الحكم بناء على قراءة واحدة.

– المفردة القرآنيّة لا عوض عنها في ما يقاربها في المعنى ولا يمكن بحال من الأحوال تعويضها بمفردة في المعنى المراد منها.

وختاما أسأل الله الوليّ القدير أن يجعل هذا العمل –الذي ما هو إلا جهد مقلّ– صالحا، ويجعله لوجهه خالصا، ولا يجعل لأحد فيه منه شيئا، وأن يتجاوز عن أيّ تقصير صاحبَ البحث، وما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشّيطان، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. أبنية الأفعال المجرّدة في القرآن الكريم ومعانيها دراسة صرفيّة دلاليّة، أحلام ماهر محمّد حميد، دار الكتب العلميّة بيروت.
3. أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية، نجاة عبد العظيم الكوفي، دار الثّقافة، 1409هـ–1989م.
4. اتّساع الدّلالة في الخطاب القرآني، محمّد نور الدّين المنجد، دار الفكر دمشق، ط1، 1434هـ–2013م.
5. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدّين السّيوطي ، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1394هـ – 1974م.
6. أسباب النّزول، الواحدي؛ أبو الحسن علي النيسابوري، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحُميدان، مؤسّسة الرّيّان بيروت، ط1، 1411هـ – 1991م.
7. أسرار البيان في التّعبير القرآني محاضرة ضمن فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم عام 2002م.
8. أسرار ترتيب القرآن، السّيوطي جلال الدّين، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا ومرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة القاهرة.
9. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر بيروت، 1415هـ – 1995م.
10. الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة، ط3.
11. الإعجاز الصرفي في القرآن دراسة نظريّة تطبيقيّة التّوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، المكتبة العصريّة صيدا، 1429هـ – 2008م.
12. إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عباس و سناء فضل عباس، غرة ربيع الأول 1412هـ – 16 أيلول 1991م.

13. إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، مصطفى صادق الرّافعي ، دار الكتاب العربي بيروت، ط8، 1425هـ – 2005م.
14. إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلّاني، تحقيق: السّيد أحمد صقر، دار المعارف مصر، ط5، 1997م.
15. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدّين درويش، دار الإرشاد للشؤون الجامعية حمص – دار اليمامة دمشق بيروت – دار ابن كثير دمشق بيروت، ط4، 1415هـ.
16. إعراب القرآن، النّحّاس أبو جعفر، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون ودار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1421هـ.
17. الأمثال، أبو عبيد القاسم بن سلّام، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط1، 1400هـ – 1980م.
18. إنباه الرّواة على أنباه النّحاة، جمال الدّين القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة ومؤسسة الكتب الثّقافيّة بيروت، الطّبعة1، 1406هـ – 1982م.
19. أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب الرياض، ط1، 1413هـ – 1991م.
20. أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل، البيضاوي ناصر الدين أبو سسعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط1، 1418هـ.
21. أنواع التّصنيف المتعلّقة بتفسير القرآن الكريم، مساعد بن سليمان الطّيّار، دار ابن الجوزي، الرّياض، ط2، 1423هـ.
22. بحر العلوم أو تفسير السّمرقندي، أبو اللّيث نصر بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم السّمرقندي، تحقيق: علي محمّد عوض، عادل أحمد عبد الموجود، زكريّا عبد المجيد النّوتي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1413هـ- 1993م.

23. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت، 1420هـ.
24. بديع القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف، دار نهضة مصر.
25. البرهان في علوم القرآن، الزّركشي أبو عبد الله بدر الدّين محمّد، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، 1376هـ – 1957م.
26. بيان اعجاز القرآن، الخطّابي أبو سليمان حمد بن محمّد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف مصر، ط3، 1976م.
27. البيان والتّبيين، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر الليثي، مكتبة الهلال بيروت، 1423هـ.
28. تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزّبيدي، دار الهداية.
29. تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط1، 1421هـ-2000م.
30. تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، ط1، 1960.
31. تاريخ النقائض في الشّعر العربي، أحمد الشّايب، مكتبة النّهضة المصرية القاهرة، ط2، 1954م.
32. تاريخ النّقد الأدبي عند العرب، إحسان عبّاس، دار الثّقافة بيروت، ط4، 1983م.
33. تأويلات أهل السّنّة، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 1426هـ – 2005م.
34. التّرادف في القرآن الكريم بين النّظرية والتّطبيق، محمّد نور الدين المنجد، دار الفكر بيروت – دار الفكر دمشق، ط1، 1417هـ – 1997م.
35. التّصوير الفنّي في القرآن، سيّد قطب، دار الشّروق القاهرة، ط20، 2013م.

36. تطوّر البحث الدّلالي، دراسة تطبيقيّة في القرآن الكريم، محمد حسين علي الصغير. دار المؤرّخ العربي بيروت، ط1، 1420هـ – 1999م.
37. التّعبير الفنّي في القرآن، بكري شيخ أمين، دار الشّروق القاهرة، ط1، 1393هـ–1973م.
38. التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار عمار عمان الأردن، ط2، 1422هـ – 2002م.
39. تفسير ابن فورك، محمّد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، تحقيق: علال عبد القادر بندويش، جامعة أمّ القرى، ط1، 1430هـ – 2009م.
40. التّفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف القاهرة، ط7.
41. تفسير التّحرير والتّنوير، محمّد الطّاهر بن عاشور، الدار التونسية تونس، 1984م.
42. تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم الرّازي، تحقيق: أسعد محمد الطّيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكّة، ط3، 1419هـ.
43. تفسير القرآن الكريم، ابن قيّم الجوزيّة، تحقيق: مكتب الدّراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشّيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال بيروت، ط1، 1410هـ.
44. تفسير القرآن أو تفسير السّمعاني، أبو المظفر السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن الرياض، ط1، 1418هـ – 1997م.
45. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ – 1946م.
46. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث بيروت، ط1، 1423هـ.
47. تفسير يحيى بن سلّام، يحيى بن سلّام بن أبي ثعلبة، تحقيق: هند شلبي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1425هـ – 2004م.

48. مختصرُ استدراك الحافِظ الذّهبي على مُستدرَك أبي عبد اللهِ الحَاكم، ابن الملقن سراج الدّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشّافعي المصري، تحقيق ج1و2: عبد الله بن حمد اللّحيدان و سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميّد، دار العاصمة الرياض، ط1، 1411هـ.
49. تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان، عبد الرحمن بن ناصر السّعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ – 2000م.
50. جامع البيان في تأويل القرآن أو تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطّبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ – 2000م.
51. الجامع لأحكام القرآن أو تفسير القرطبي، القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدّين، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية القاهرة، ط2، 1384هـ – 1964م.
52. جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المكتبي دمشق، ط2، 1419هـ – 1999م.
53. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، تحقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية بيروت.
54. الحيوان، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، دار الكتب العلمية، ط2، 1424هـ.
55. خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط4، 1418هـ – 1997م.
56. خصائص التّعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، ط1، 1413هـ – 1992م.
57. خصائص العربيّة وطرائق تدريسها، نايف معروف، دا النّفائس بيروت، ط1، 1405هـ – 1985م.
58. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.

59. الخطاب القرآني في شخصيّة الرّسول الكريم محمّد صلّى الله عليه وسلّم، عدنان جاسم محمّد الجميلي، دار الكتب العلميّة بيروت، 1424هـ – 2003م.
60. الدّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي أبو العباس، شهاب الدين، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم دمشق.
61. دراسات جديدة في إعجاز القرآن، مناهج تطبيقيّة في توظيف اللّغة، عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة القاهرة، ط1، 1417هـ-1996م.
62. دراسات في علوم القرآن، فهد الرّومي، ط12 1424هـ – 2003م.
63. دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث القاهرة.
64. درّة التّنزيل وغرّة التّأويل، الخطيب الإسكافي محمّد بن عبد الله ، تحقيق: محمد مصطفى آيدين، جامعة أمّ القرى، ط1، 1422هـ – 2001م.
65. درج الدّرر في تفسير الآي والسّور، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: وليد بن أحمد بن صالح الحسين وإياد عبد اللّطيف القيسي، مجلّة الحكمة بريطانيا، ط1، 1429هـ – 2008م.
66. دقائق الفروق اللّغوية في البيان القرآني، محمّد ياس خضر الدّورين دار الكتب العلمية بيروت.
67. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة ودار المدني جدة، ط3، 1413هـ – 1992م.
68. ديوان الأعشى الكبير، الأعشى ميمون بن قيس، تحقيق: محمّد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز.
69. ديوان المتلمّس الضّبعي، رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي، تحقيق: حسن كامل الصّيرفي، معهد المخطوطات العربيّة 1390هـ-1970م.
70. ديوان المتنبّي، دار بيروت للطباعة والنّشر، بيروت، 1403هـ – 1983م.
71. ديوان امرئ القيس، جمع وتحقيق: عبد الرّحمان المصطاوي، دار المعرفة بيروت، ط2 1425هـ – 2004م.

72. ديوان النّابغة الذّبياني، النّابغة الذّبياني، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة، ط2.
73. ديوان الهذليين، تحقيق: محمّد محمود الشّنقيطي، الدّار القوميّة للطّباعة والنّشر، القاهرة، 1385هـ-1965م.
74. ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق: الدكتور ناصر الدين الأسد، دار صادر بيروت، 1967م.
75. الرّدّ على المنطقيّين، ابن تيمية تقيّ الدّين أبو العبّاس أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: عبد الصّمد شرف الدّين الكتبي، دار الرّيّان، بيروت، ط1، 1426هـ-2005م.
76. الرّسالة الشّافية، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف مصر، ط3، 1976م.
77. الرّسالة، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي مصر، ط1، 1358هـ – 1940م.
78. روح البيان، إسماعيل حقّي الخلوتي أبو الفداء، دار الفكر بيروت.
79. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، الألوسي شهاب الدين محمود، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 1415هـ.
80. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 1402–1982م.
81. السّياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة دراسة نظرية تطبيقية، سعد بن محمد بن سعد الشّهراني، كرسي القرآن الكريم وعلومه الرياض، ط1، 1436هـ.
82. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطّبري الرّازي اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة الرّياض، ط8، 1423هـ- 2003م.

83. شرح التّلويح على التّوضيح لمتن التّنقيح في أصول الفقه، لسعد الدّين التّفتازاني الشّافعي، وهو شرح لكتاب التّوضيح لمؤلّفه صدر الشّريعة عبيد الله بن مسعود المحبوبي النّجاري الحنفي. مكتبة صبيح بمصر، (53/1).
84. شرحان على مراح الأرواح في علم الصّرف، ديكنقوز أو دنقوز شمس الدين أحمد، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط3، 1379هـ–1959م.
85. الشّعر والشّعراء، ابن قتيبة الدينوري، دار الحديث القاهرة، 1423هـ.
86. شموس العرفان بلغة القرآن، عبّاس أبو السّعود، دار المعارف، 1980م.
87. الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، دار محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ – 1997م.
88. الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط4، 1407هـ – 1987م.
89. صحيح البخاري، أو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، البخاري أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
90. صحيح مسلم، أو المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت.
91. الصّناعتين الكتابة والشّعر، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، 1419هـ.
92. طبقات فحول الشّعراء، محمد بن سلّام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني جدة.

93. العظمة، أبو محمّد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرّياض، ط1، 1408هـ.
94. عيار الشّعر، أبو الحسن محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي القاهرة.
95. غرائب التّفسير وعجائب التّأويل، تاج القرّاء برهان الدّين الكرماني، دار القبلة للثّقافة الإسلاميّة – جدّة، مؤسّسة علوم القرآن — بيروت.
96. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمّد فؤاد عبد الباقي، ومحبّ الدّين الخطيب، المطبعة السّلفيّة، القاهرة، ط1.
97. فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان البخاري القنوجي، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية صيدا، 1412هـ – 1992م.
98. فتح الرّحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريّا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدّين أبو يحيى السّنيكي، تحقيق: علي الصّابوني، دار القرآن الكريم بيروت، ط1، 1403هـ – 1983م.
99. فتح القدير، محمّد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير دمشق، دار الكلم الطيب بيروت، ط1، 1414هـ.
100. الفروق اللّغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، محمد بن عبد الرحمن بن صالح الشايع، مكتبة العبيكان الرياض، ط1، 1414هـ – 1993م.
101. الفروق اللّغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: محمّد إبراهيم سليم، دار العلم والثّقافة القاهرة.
102. الفروق اللّغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة.

103. فضائل القرآن، القاسم بن سلّام أبو عبيد، تحقيق: مروان العطية، محسن خرابة ووفاء تقي الدّين، دار ابن كثير، دمشق بيروت، ط1، 1415هـ- 1995م.
104. في اللّهجات العربية، إبراهيم أنيس، مطبعة لجنة البيان العربي، ط2، 1952م.
105. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت القاهرة، ط11 1405هـ- 1985م.
106. القاموس المحيط، الفيروزآبادي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، أو محمد نعيم العرقوسي وآخرون، مؤسسة الرسالة بيروت. ط8، 1426هـ – 2005م.
107. القرآن الكريم وبهامشه التّسهيل لقراءات التنزيل من الشاطبية والدّرة، محمد فهد خاروف، مراجعة: محمد كريم راجح، دار البيروتي، ط3، 1433هـ–2012م.
108. الكامل في اللّغة والأدب، أبو العبّاس المبرّد محمّد بن يزيد، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة، ط3، 1417هـ–1997م.
109. كتاب التّعريفات، الشّريف الجرجاني، تحقيق مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 1403هـ – 1983م.
110. كتاب العبر، وديوان المبتدإ والخبر، في تاريخ العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر ، ابن خلدون عبد الرحمن الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر بيروت، ط2، 1408هـ – 1988م.
111. الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني، تحقيق: محمد نظام الدّين الفتيح، دار الزّمان المدينة، ط1، 1427هـ – 2006م.
112. الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، دار الكتاب العربي بيروت، ط3، 1407م.
113. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثّعلبي أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار التّفسير، جدّة، ط1، 1436هـ – 2015م.

114. اللّامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعرّي، تحقيق: محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدّراسات الإسلاميّة، ط1، 1429هـ – 2008م.
115. لباب النّقول في أسباب النّزول، جلال الدّين السّيوطي، تحقيق: أحمد عبد الشّافي، دار الكتب العلميّة بيروت.
116. لسان العرب، ابن منظور أبو الفضل محمّد بن مكرم بن علي ، دار صادر بيروت، ط3، 1414هـ.
117. لطائف الإشارات أو تفسير القشيري، القشيري عبد الكريم بن هوازن، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصريّة العامة للكتاب مصر، ط3.
118. اللّفظ الفريد في القرآن المجيد، حسّان أحمد راتب المصري، منشورات الهيئة العامّة السّورية للكتاب دمشق، ط1، 2011.
119. المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر القاهرة.
120. المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشّافي محمّد، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1422هـ.
121. مختارات شعراء العرب، ابن الشّجري أبو السّعادات هبة الله بن علي بن حمزة، تحقيق: علي محمّد البجاوي، دار الجيل بيروت، ط1، 1412هـ-1992م.
122. المستدرك على الصّحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة بيروت، ط1، 1411هـ – 1990م.
123. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث القاهرة، ط1، 1416هـ – 1995م.
124. معالم التّنزيل في تفسير القرآن أو تفسير البغوي، البغوي الشافعي محيي السّنّة، تحقيق: عبد الرّزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط1، 1420هـ.

125. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب بيروت، ط1، 1408هـ – 1988م.
126. معاني النّحو، فاضل صالح السّامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب القاهرة، ط2، 1423هـ – 2003م.
127. معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1408هـ – 1988م.
128. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 2010م.
129. معجم البلدان، شهاب الدّين أبو عبد الله ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.
130. معجم المصطلحات التّربويّة والنّفسيّة، حسن شحاتة وزينب النّجار وحامد عمّار، الدّار المصريّة اللّبنانيّة، ط1، 1424هـ – 2003م.
131. المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار، تحقيق ج16: أمين الخولي.
132. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط3، 1420هـ.
133. مفتاح العلوم، السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 1407هـ – 1987م.
134. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الدّاودي، دار القلم، الدار الشامية دمشق بيروت، ط1، 1412هـ.
135. مقاييس اللّغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ – 1979م.
136. ملاك التّأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التّنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزّبير الثّقفي الغرناطي، تحقيق: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلميّة بيروت.

137. من الإعجاز اللّغوي: أسرار التّرادف في القرآن الكريم، علي اليمني دردير، دار ابن حنظل، 1405هـ – 1985م.
138. من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، شركة نهضة مصر، 2005م.
139. الموشح في مآخذ العلماء على الشّعراء، المرزباني أبو عبد الله بن محمّد بن عمران بن موسى، تحقيق: محمّد حسين شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1415هـ-1995م.
140. النّبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله درّاز، تحقيق: أحمد مصطفى فضيلة، دار القلم، 1426هـ – 2005م.
141. النّكت في إعجاز القرآن، الرّماني أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، تحقيق: محمّد خلف الله و محمد زغلول سلام، دار المعارف مصر، ط3، 1976م.
142. النّكت والعيون أو تفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمّد الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرّحيم، دار الكتب العلميّة بيروت. مؤسّسة الكتب الثّقافيّة بيروت.
143. نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس البسيلي التونسي، تحقيق: محمد الطبراني، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء المغرب، ط1، 1429هـ – 2008م.
144. الهداية إلى بلوغ النّهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق وإشراف: الشاهد البوشيخي وآخرون، جامعة الشارقة، ط1، 1429هـ – 2008م.
145. الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، مقاتل بن سليمان، تحقيق: حاتم صالح الضّامن، مكتبة الرّشد الرّياض، ط2، 1433هـ-2011م. (ص19-25).
146. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي؛ أبو الحسن علي النيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط1 1415هـ.

147. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي؛ أبو الحسن علي النيسابوري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1415هـ – 1994م.

المواقع الإلكترونيّة:

- أسرار التّعبير القرآني، محمّد بن سعيد باصالح:

http://mhmd-basalh.blogspot.com/2012/10/blog-post_9456.html

- تأصيل ظاهرة الفروق اللّغوية ودراسة الكتب المؤلّفة فيها، أحمد عبد القادر صلاحية.

https://wadod.org/vb/showthread.php?t=6000

- تفسير الشّعراوي، محمّد متولّي الشّعراوي:

https://archive.org/stream/alhelawy03/sharawy_12#page/n256/mode/2up

- الفرقان الحق، موقع الكلمة.نت:

http://www.alkalema.net/furqan/

- لفظة قرآنيّة؟ أم مفردة قرآنيّة؟ موقع: أوجه البيان في كلام القرآن.

https://cutt.us/j4Iot

- المراحل التي تمرّ بها المفردة عند تفسيرها، مساعد الطّيّار، موقع: ملتقى أهل التّفسير.

https://cutt.us/ypuTl

- معاني كلمة الهدى في القرآن العظيم، أبو عبيدة الهاني، موقع ملتقى أهل التّفسير.

https://vb.tafsir.net/tafsir7782/#.XjasGWhKiM8

- من بلاغة اللّفظ المفرد في القرآن، وليد قصاب، موقع رابطة العلماء السّوريّين:

https://islamsyria.com/site/show_library/198

المقالات:

- التّرادف في القرآن، عثمان محمّد غريب، مجلّة النّور للدّراسات الحضاريّة والفكريّة السّنة السّادسة يوليو 2015 العدد 12، الصفحات [08 - 45].
- التّوجيه المعنوي للبنية الصّرفية في القرآن الكريم، لقمان مصطفى سعيد، مجلّة التّربية والعلم، المجلّد 17 العدد 2 السنة 2010.
- الجرس والإيقاع في تعبير القرآن، كاصد ياسر حسين، مجلّة آداب الرافدين، كلّية الآداب جامعة الموصل، العدد 9 لسنة 1978م.
- جمال الكلمة القرآنية، لخضر روبحي، مجلّة الممارسات اللّغويّة لجامعة مولود معمّري الجزائر، العدد 14، تاريخ النّشر 2012م، الصّفحات [75-89].
- الدّلالة الصّوتيّة للصّفات التي لا ضدّ لها في الخطاب القرآني (نماذج مختارة من القرآن الكريم)، فراكيس امحمّد، مجلّة الباحث المحكّمة التّابعة لجامعة ابن خلدون تيارت الجزائر، العدد التّاسع مارس 2014م. الصّفحات [08-24].
- سرّ اختيار المفردة القرآنيّة دون غيرها من البيان القرآني، أحمد ياس خضر، مجلة العلوم الإسلاميّة العدد الثّاني والعشرون 1435هـ، [385 - 403].
- صور من اتّساع دلالة الألفاظ والتّراكيب في تفسير الكشّاف، محمد فاضل صالح السّامرائي، مجلّة جامعة أمّ القرى لعلوم الشّريعة واللّغة العربيّة وآدابها ج19 العدد 42، رمضان 1428هـ. [343 - 394].
- ظاهرة التّرادف في اللّغة العربيّة وأثرها في الدّراسات القرآنيّة، السّيّد جعفر السّيّد باقر الحسيني.
- اللّغة العربيّة نشأتها ومكانتها في الإسلام، وأسباب بقائها نور الله كورت، ميران أحمد أبو الهيجاء، محمد سالم العتوم. مجلّة كلّيّة الإلهيّات بجامعة بينجول تركيا، العدد السّادس سنة 2015، الصّفحات [125-170].

- المفردة القرآنيّة بين إبداع اللّفظ وإبداع الدّلالة دراسة في جماليّة الكلمة في السياق القرآني، ممدوح إبراهيم محمود محمّد، المجلّة العلميّة لكلّية اللّغة العربيّة بأسيوط، العدد الخامس والثّلاثون الجزء الأول 2016م.
- من أسرار دقّة اللّفظ وجماليّاته في النّسق القرآنيّ دراسة في بلاغة الكلمة ودلالاتها في ضوء بعض النّماذج القرآنيّة ، الصديق حاجي، مجلة العلوم الإنسانية العدد 48 ديسمبر 2017، المجلد أ، ص [361 - 371].
- نفي ترادف ألفاظ القرآن الكريم ردّا على الدّكتور أحمد مختار عمر القائل بترادف بعضها، تومان غازي حسين، مجلّة اللّغة العربيّة وآدابها السنة 2012م، المجلد 1، الإصدار 14، الصّفحات [373 - 412].

المخطوطات:

- فروق اللغات في التّمييز بين مفاد الكلمات، نور الدّين بن نعمة الله الحسيني.